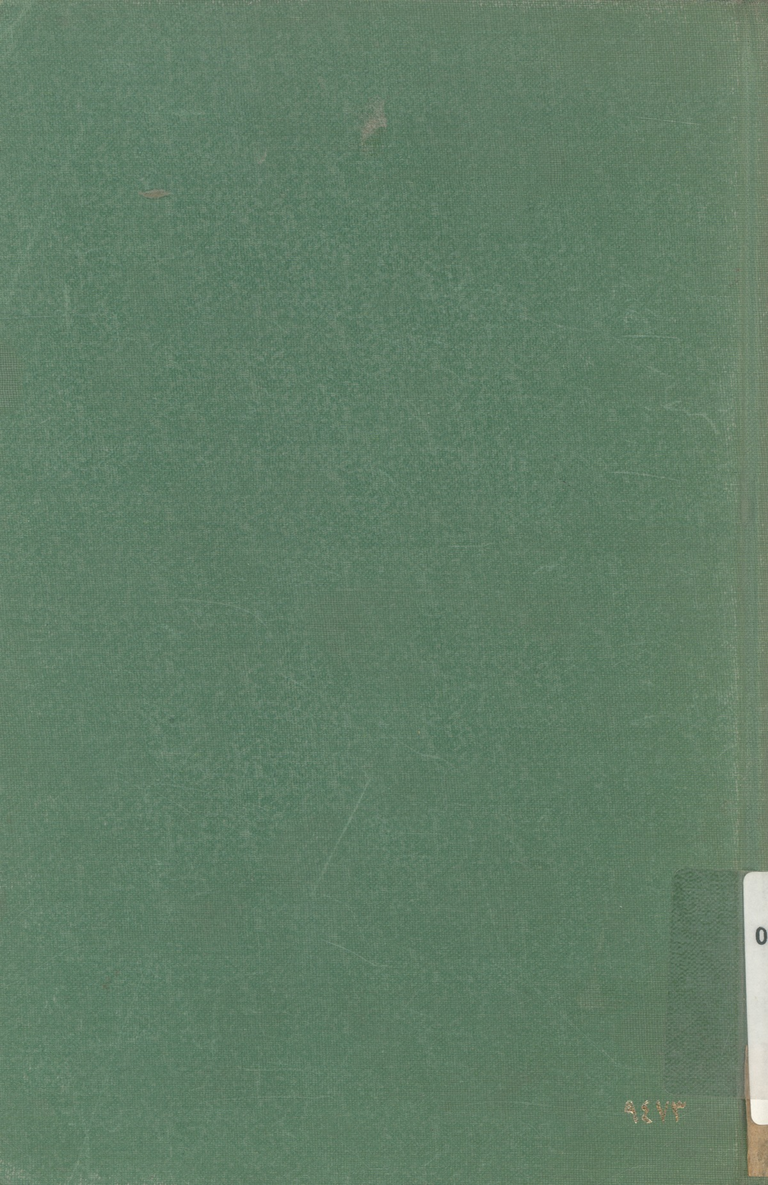

٩٤٧٣

كتاب
المنتخب
في
تاريخ آداب العرب

تأليف

م . عطايا الدمشقي

وقف على طبعه

البير عطايا

وعبد الفتاح عباده

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩١٣

الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ اداب كل امة هو علم يبحث به عن تاريخ كل من كتب في لغة تلك الامة وعن تاريخ كل ما كتب بها من نظم ونثر وعن الاساليب التي اتخذها الكتبة وعن الدرجة التي وصلوا اليها وعما حوته مؤلفاتهم من الاغراض والمعارف والعلوم وباي طريقة وصلوا اليها فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية ويسمى هذا العلم عند الاوربيين Histoire de la littérature وهو لم يكن معروفاً عندهم قبل نهضتهم الاخيرة فهو من ثمار التمدن الحديث . والافرنج المستشرقون هم اول من كتب في تاريخ آداب اللغة العربية من اواسط القرن الماضي وقد تحركت همم ابناء اللغة العربية من الادباء والمفكرين في الاعوام الاخيرة الى الاشتغال والتأليف فيه فصدر في هذه المدة غير كتاب من الكتب الهامة الممتعة في هذا العلم . ولكنه لم يصدر فيها كتابا مختصراً يعد ملخصاً لتلك الكتب فلا يوصف بالاختصار المخل ولا بالتطويل الممل بل يكون سهلا وافياً لحاجة الطلبة والناشئة من ابناء العربية . وقد توفقنا الى هذا الكتاب . وهو كتاب واف في هذا الباب قريب المأخذ سهل العبارة . وضعه مؤلفه الفاضل على طريقة واسلوب كتاب استاذ اللغة العربية في جامعة بطرسبرج العلامة المرحوم فلاديمير غرغاس المسمى "Ucmopir apaderkoù rumepamypor" اي تاريخ آداب اللغة وهو لم يقتصر في تأليفه على هذا الكتاب . بل انتخبه من عدة كتب فجمع في مؤلفه هذا كل ما يجب معرفته لكل طالب يطالع اللغة العربية . وقد زدنا عليه فوائد كثيرة فضلا عما زاده المؤلف مما تلزم معرفته لطلبة العلم في العالم العربي من المعلومات العديدة عن المصنفات المطبوعة وغيرها

هذا وقد بذلنا في تحقيقه الجهد على ما بلغ اليه الامكان حتى يسهل الاستفادة منه وها هو نقدمه الى رجال العلم وقراء العربية ونرجوا ان نكون قد وفقنا الى تذليل كثير من صعوباته حتى يروق في اعينهم ويجوز رضاهم — وما العصمة والكمال الا لله وحده

في المصادر التي يعتمد عليها في درس تاريخ آداب العرب

المصادر التي يعتمد عليها في درس تاريخ آداب العرب قسمان قسم عربي وآخر اوربي . فمن المصادر العربية يجب ان نذكر اولاً الكتب التاريخية فان المؤرخين من العرب في معرض كلامهم عن الحوادث السياسية التي جرت في ايام الدول الاسلامية يأتون غالباً في تواريخهم باخبار عديدة عن العلماء والشعراء ويسمون مؤلفاتهم ودواوينهم ويوردون شيئاً من مؤلفاتهم واحياناً احاسن اشعارهم . ثانياً سير أشهر رجال العلم وتقسم هذه السير الى عمومية وخصوصية اما السير العمومية فتحكي عن حياة عدة رجال وتسمى وفيات او معجم او أعمار او اخبار وهي مرتبة على حروف المعجم كالقاموس او حسب تاريخ سني وفاة اصحاب السير واحياناً حسب البلاد او المدن التي عاشوا بها او حسب العلوم التي اشتهروا فيها فالسير المرتبة على هذا النسق تسمى طبقات واما السير الخصوصية فهي تاريخ حياة رجل وحد وتسمى سيرة أو ترجمة وكلٌّ من السير العمومية والخصوصية كثير في اللغة العربية وسنذكر اسماء اشهر السير في باب التاريخ . ثالثاً المؤلفات التي تتضمن اسامي الكتب ومؤلفيها منها فهرست كتب جميع الامم من العرب والعجم [1] تأليف ابي الفرج محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن ابي ياقوت النديم البغدادي المتوفي في اواخر الجيل العاشر للميلاد وهي عشر مقالات جمع فيها اخباراً مهمة عن اقدم مؤلفات العرب والفرس والهنود واليونان وذكر فيها سير مؤلفيها واوصلها الى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ــ٩٨٨ م) ولولاه لضاع اخبار كثير من الكتب الثمينة . ومنها كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون [2] تأليف مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خلفا والشهير بملا كاتب چلبي المتوفي سنة ١٠٦٧م وهو يحتوي على اسامي اربعة عشر الفاً وخمسمائة مؤلف باللغات العربية والفارسية والتركية والترية مع ذكر اسماء مؤلفيها وسنة وفاتهم

(١) وقد ابتدأ في طبع هذا الكتاب العلامة الجرماني فلوغل Flügel وأتم طبعه العلامة يوحنا روديجر Johannes Roediger في ليبسك سنة ١٨٧١ م

(٢) وقد طبع العلامة فلوغل المذكور هذا الكتاب مع ترجمة لاتينية في مدينة ليبسك من سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٥٨ في ست مجلدات وجعل لهذا الكتاب احمد

اما المصادر الاوربية فعدا عن كثير من الكتب والمقالات العديدة التي سنذكر كلاً منها في محله عند اخذنا منها شيئاً يوجد مؤلف كبير في سبع مجلدات ضخام باللغة النمساوية يسمى " Literatur geschichte der Araber " اي تاريخ آداب العرب [١] تأليف العلامة همير بورغستال "Hammer Purgstalle" وقد اعتنى المؤلف ان يجمع فيه تاريخ آداب العرب من قديم الزمان الى فتح المغول مدينة بغداد سنة ١٢٥٨ م ولكن مع ان هذا العلامة كان كثير المطالعة و بذل تعباً عظيما في تأليفه هذا الا انه غير مناسب من وجوه عديدة خصوصاً لانه لا يمكن لقارئه ان يعتمد على ما فيه من الاخبار الا بعد ان يقابلها مع مؤلفات اخرى يعتمد عليها

المقدمة

ن آداب العرب امتدت مع غزواتهم في القارات الثلاث آسيا وافريقيا واوربا ولذلك كان لها تأثير عظيم على كل الشعوب الساكنة تلك القارات وخصوصاً على الامم القاطنة اوربا الذين كانت لهم علاقات كثيرة مع العرب في سوريا واسبانيا (الاندلس) وسيسيليا وايطاليا الجنوبية فهكذا كثيرون من رجال اوربا الشهيرين اقتبسوا العلم في القرون الوسطى من العرب مثلاً البابا سيلوسترس الثاني (جيربرت المتوفى سنة ١٠٠٣ م) وامبراطور المانيا فريدريك الثاني وألبرت الكبير وغيرهم كثيرون وقد ترجمت عدة مرات الى اللغة اللاتينية المستعملة في اوربا في تلك الاجيال مؤلفات كثيرة من اللغة العربية منها مؤلفات ابن سينا وابن رشد والرازي والبتاني وغيرهم في الطب والفلسفة ودامت تلك المؤلفات مدة طويلة من اهم الكتب التي اعتمد عليها في كل مدارس اوربا فهكذا يلزم لمن يهمه معرفة تاريخ نجاح اوربا وتقدمها ان يتتبع ما كان لآداب العرب من التأثير على اوربا في القرون الوسطى وعدا عن ذلك فنقول

حنيف زاده ملحقاً سماه آثار نؤاي مؤلفات جديدة وهو يحتوي على اكثر اسامي الكتب التي الفت في منتصف الجيل السابع عشر واوائل الثامن عشر وهذا الملحق مطبوع في آخر الجلد السادس من المجلدات المذكورة

(١) طبع في مدينة فينا من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٦ م

ان درس تاريخ آداب العرب كعلم « مستقل » بذاته مستحب جداً لانه احد ينابيع نجاح العالم وتقدمه المنبثقة من روح الانسان وهمته . ولكي نعرف حالة العلم والادب عند العرب يجب علينا الاطلاع التام على تاريخ حضارتهم وعمرانهم وحينئذ يمكننا فهم وتفسير كثير مما كمن وغمض من آدابهم والوقوف على حقائقها

امّا مانعرفه نحن عن حالة العرب في الزمان القديم فهو شيء قليل جداً لان اقدم الاخبار الحقيقية التي وصلت الينا لا تتجاوز القرن الاول من الميلاد والذي نعرفه منها فقط هو ان اقدم مملكة كانت في جنوب بلاد العرب هي مملكة بني حمير وانه كان لملوكهم سلطة على قبائل نجد ونعرف ايضاً انه قامت في الشمال الشرقي دولة ملوك الحيرة وكان لملوكها وامرائها سطوة على القبائل المجاورة للحيرة كعملاء لأكاسرة الفرس وانه في الشمال الغربي قامت دولة الامراء الغساسنة وكانوا عملاء للقياصرة البزنطية Byzanten (الروم) ولذلك كانت بين الدولتين الاخيرتين عداوة دائمة وحروب متواصلة . اما في الحجاز فكانت السلطة بيد قبيلة شريفة النسب والحسب شهيرة بالتقوى والعدل وهي قبيلة قريش في مكة . اما القبائل الساكنة اواسط البلاد فكانوا دائماً في عداوة ووقعت بينهم حروب كثيرة ولكي يقوى بعضهم على الآخر كانوا يلتمسون النجدة تارة من امراء بني حمير واخرى من امراء الحيرة فلذلك كانوا يخضعون مرة لهؤلاء واخرى لاولئك

والعرب كما انهم في السياسة كذلك في الاعتقادات الدينية كانوا في اختلاف عظيم فان قبائل ربيعة وغسان و بعض عشائر من قضاعة كانوا يتدينون بالدين المسيحي اما بنو حمير وكند و بنو الحارث بن حرب فكانوا يتدينون بدين اليهود وبنو تميم كانوا مجوساً وغيرهم من القبائل كانوا يعبدون الكواكب والنجوم . اما في الحجاز حيث بنى اسماعيل بن ابراهيم الكعبة حسبما كانت تعتقد العرب بالتقليد فكانوا يعترفون بوجود الهٍ واحدٍ الا انهم مع ذلك كانوا يعبدون الاصنام ايضاً

فهكذا كانت على وجه الاجمال حالة العرب السياسية والدينية قبل ظهور النبي (صلعم) فهو الذي جمع العرب بدعوته واخرجهم من الجهل الى سبيل التمدن والنجاح حتى صار لهم صيت وشهرة في تاريخ العالم كله وهو الذي شرفهم بالدين وحسن اخلاقهم

فأثر ذلك على تقدمهم في العلوم فصاروا ورثة لتمدن اليونان والرومانيين وغيرهم من امم الزمان القديم ولكن ذلك لم يحدث دفعة واحدة بل ان الجيل الاول بعد وفاة النبي (صلعم) قد مضى اكثره في الحروب الخارجية واخضاع شعوب كثيرة لسلطة العرب . فامتدت سلطتهم في الشرق الى ما وراء النهر والهند وفي الغرب الى جبال بيرين الفاصلة بين فرنسا واسبانيا والى الاوقيانوس الاتلانتيكي وعدا ذلك في تسكين الفتن الداخلية التي كان سبب بعضها الاختلاف الديني وسبب الاخرى تنازع السلطة بين الامراء . فلذلك نرى ان العرب في ذلك الجيل لم تشتغل الا في درس القرآن والحديث وجمع شعر شعراء الجاهلية وحفظه فوضعوا على اساس ذلك علم الكلام وعلم الفقه واصول علوم اللغة العربية . فان الخلفاء من بني امية كعبد الملك وغيره اشتهروا بحبهم للشعر وبانعاماتهم الجزيلة على شعراء عصرهم . فالحقيقة ان العرب لم تبتدئ ان تشتغل بالعلم الا نحو نصف الجيل الثامن وذلك بعد قيام العباسيين باهبة الخلافة فان هؤلاء الخلفاء وضعوا كل جهدهم بنقل علم اليونان وغيرهم من الامم المتمدنة السالفة الى اللغة العربية بواسطة الترجمة فان الخليفة المنصور (تولى الخلافة من سنة ٧٥٤ الى ٧٧٥ م) أمر بترجمة مؤلفات كثيرة من كتب علماء اليونان والهند في الفلسفة والطب والرياضيات من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية الى اللغة العربية وكذلك الخليفة هارون الرشيد (تولى الخلافة من سنة ٧٨٦ الى سنة ٨٠٩ م) جمع نسخاً عديدة من الكتب اليونانية أخذ اكثرها من مكاتب المدن العديدة التي افتحها واهدى له بعضها القيصر نيقيفور فبنى لها الخليفة في بغداد مكتبة عظيمة دعاها بيت الحكمة وجمع فيها كل الكتب وعين عدة من رجال العلم لترجمة تلك الكتب من اللغة اليونانية الى العربية . واما ابنه المأمون (تولى الخلافة من سنة ٧١٣ الى سنة ٨٣٣ م) فانه جعل ديواناً للمترجمين وعين لهم معاشاً قدره ثلاثمائة الف درهم في كل سنة . وقرب اليه العلماء من اليونان والفرس والسريان والقبط والهنود ورفع منزلتهم واكثر من جعالاتهم وتنشيطهم في مطالعتهم العلوم وفي اكتشافاتهم . وبنى في مدن عديدة مدارس عالية ووقف لها الاوقاف الكثيرة المدخول . وفي ذلك الجيل تُرجم الى اللغة العربية المؤلفات الاتية :

في علم الجغرافيا والفلك مؤلفات بطليموس وفي الرياضيات مؤلفات اوقليدس وارخميدس وفي الطب مؤلفات ديوسكوريدس وابو قراط وجالينوس وفي الفلسفة مؤلفات ارسطوطاليس وثاوفرسطس وغيرهم (١) . وكان لمؤلفات ارسطوطاليس الاهمية العظمى في تثقيف عقول العرب فانها ترجمت عدة مرات الى لغتهم وشرحت ايضاً مرات كثيرة من علمائهم . ولكن نتأسف ان المؤرخين من العرب لم يذكروا اية مؤلفات ترجمت اولا ولذلك يصعب علينا جداً ان نحدد اية منها ترجمت في خلافة هارون الرشيد واية في خلافة غيره

أما المؤلفات التاريخية والشعرية فلم تترجم الى اللغة العربية لانها لم تأت على ذوق العرب وعدا ذلك لان اكثرها مملوء بالخرافات التي تضاد نظر العرب في امر الدين

واعلم ان الخلفاء العباسيين اهتموا جداً في امتداد العلم بين رعاياهم فانهم اسسوا لذلك في اشهر المدن التي كانت تحت سلطتهم في دمشق وبغداد والبصرة والكوفة وفي مدن اخرى مدارس عليا حيث كان عدد كثير من طلبة العلم يدخلون اليها افواجاً وكانوا يبدأون بدرس القرآن وحفظه على ظهر القلب وحفظ عدد كثير من الاحاديث مع اسانيدها ثم بدرس الصرف والنحو ومطالعة دواوين الشعراء الاقدمين وبعد ذلك يتبع طالب العلم منهم شيخاً من العلماء يدرس عليه في المدرسة العليا او غالباً في بيته ويكون له كخادم في منزله فيدرس عليه احسن المتون في علم الكلام ويقرأ عليه القرآن فيفسره له الشيخ تفسيراً كاملاً ثم يقرأ عليه الشعر وعلم الصرف والنحو مطولاً ثم علم المعاني والبيان والبديع والعروض ويتم الطالب علمه بدرس الفقه والمنطق وعلم المناظرة فيصير له حق حينئذ ان يكون خطيباً أو اماماً أو قاضياً او مفتياً او استاذاً او غير ذلك

(١) ان اكثر هذه المؤلفات ترجمت اولا من اللغة اليونانية الى السريانية لان المترجمين الاولين كانوا من السريان ثم ترجمت من السريانية الى العربية : Wenrichə De aucturne graecorum versionibus et commentarüs etc. commentatis Lipsiae 1842) ومن اراد ان يعرف المكاتب التي كانت عند العرب فليقرأ رسالة العلامة كاترمير في المجلة الآسوية Journal Asiatique III Série) et VI) ورسالة العلامة همير في المجلة المذكورة سنة ١٨٤٨ (نمرة ٢ من شهر شباط)

من الوظائف وكان كثيرون من طلبة العلم بعد اتمام دروسهم في مدرسة عليا او عند أحد الشيوخ في بيته يسافرون من مدينة الى اخرى ليسمعوا دروس الاساتيذ المشهورين في علم من العلوم الذي يختارونه و بعد ذلك ينالون منهم اجازة في تعليم ذلك العلم للآخرين

ومما ساعد تقدم العلم ونجاحه عند العرب هو اخضاعهم عدة امم متمدنة منهم اليونان والسريان والفرس والقبط فان كثيرين من علماء هذه الامم تدينوا بشريعة الاسلام ودرسوا اللغة العربية والفوا فيها المؤلفات العديدة التي حازت على شهرة عظيمة ويشهد بذلك كثيرون من علماء العرب ذاتهم منهم العلامة عبد الرحمن بن خلدون فانه خصص لذلك في مقدمته لكتاب العبر وديوان في ايام العرب والعجم والبربر فصلا وهو ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم يقول فيه: «من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو اعجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة وانما احكام الشريعة التي هي اوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين وكان يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القرآء اي الذين يقرأون الكتاب وليسوا اميين لان الأمية كانت يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا فقيل لحملة القرآن قراء اشارة الى هذا» . فلما بعد النقل احتيج الى وضع التفاسير وغيرها فاحتيج الى وضع القوانين النحوية وغيرها من قوانين العربية فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد قدمنا ان الصنائع من منتحل الحضر وان العرب أبعد الناس عنها والحضر لذلك العهد هم العجم فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي والزجاج وغيرهم وكلهم عجم في انسابهم وانما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى الخ (يراجع مقدمة ابن خلدون)

ومما ساعد جداً على انتشار التمدن العربي ايضاً هو انقسام الخلافة الاسلامية في

نصف الجيل الثامن اي منذ تولت الخلافة الدولة العباسية الى دول عديدة بعضها مستقل بذاته و بعضها غير مستقل فكثرت لذلك المراكز السياسية و بسببها تعددت مراكز العلم والادب فنرى في حلب دولة بني حمدان وفي بلاد فارس الدولة البوية وفي مصر الدولة الفاطمية وفي الاندلس بني امية فان امراء هذه الدول وغيرها اخذوا ينازعون الخلفاء العباسيين حبهم للعلم والادب واكرامهم العلماء والشعراء حتى ان كل واحد منهم كان يجتهد بملاطفتهم واستمالتهم الى قصبة مملكته ونرى مثلاً على حبهم للعلم في الخليفة الحاكم الثاني ملك الاندلس الذي تولى الملك من سنة ٩٦١ الى سنة ٩٧٦ م فانه كان رجلاً عالماً محباً للعلم والعلماء وقد جمع مكتبة عظيمة قال بعض المؤرخين انها كانت تحتوي على اربعمائة الف مجلد وقال آخرون على ستمائة الف مجلد وكان له في كل مدن الشرق عملاء ينتنون له نسخ الكتب القديمة والجديدة وكان يصرف على ذلك الاموال الجزيلة منها الف دينار ارسلها الى ابي الفرج[١] ولد ابو الفرج سنة ٨٩٦ وتوفي (سنة ٩٦٦ م) ثمن اول نسخة من كتابه المسمى كتاب الاغاني – ويحكى ان هذا الخليفة قرأ كل الكتب التي كانت في مكتبته (وكانت قائمتها ٤٤ مجلداً فقط) وكتب في كل كتاب منها ملاحظات على الحواشي وشيد الخليفة الحاكم الثاني في كل مدن الاندلس مدارس عليا ودعا اليها الاساتيذ المشهورة فكانوا يلقون الدروس فيها بكل العلوم والفنون المعروفة في ذلك العصر وكانت تجتمع في بلاطه اشهر علماء زمانه من سائر اقطار العالم ومن كل طوائف المسكونة من اي ملة كانوا وكان الخليفة يتجادل معهم في كثير من المسائل العلمية ويسمع الشعراء ويناشدهم ويجازي من ينال السبق في الشعر والعلم جزاءاً وافراً وصار للعرب صيت حميد وشهرة في اوربا فصار يهاجر اهلها الى الاندلس ويتسابقون لمطالعة العلم فيهاوكان يدرسون على العرب الفلسفة والرياضيات والطبيعيات والطب . ولكن منذ سقوط سلطة بني امية وانقسام الاندلس الى امارات صغيرة اخذ العلم والادب في انحطاط وافضت العداوة والحروب المتواصلة بين حكام البلاد الى ضعف العرب في الاندلس ولم يستطيعوا ان يقاوموا هجوم المسيحيين عليهم من اهل اوربا فتملك هؤلاء سنة ٤٩٢ م مدينة غرناطة وهكذا انتهت دولة العرب في الاندلس

اما في القرن العاشر بعد انحطاط الدولة العباسية قام في الشرق بإزر العلم والتمدن الامراء من بني سباسان في ما وراء النهر وبنو حمدان في الجزيرة والشام والبوئية في بلاد فارس والعراق وفي الجيل الحادي عشر قامت بعدهم السلاطين السلجوقية وممن اشتهر منهم في اهتمامه بالعلم والادب ورواج سوق التمدن السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الذي وضع نظاماً لمالية الدولة وتمكن ان يصرف اموالاً جزيلة على فتح قنوات جديدة للماء وتمهيد الطرق بين المدن وبناء خازات بينها للراحة من تعب السفر ولتغيير الخيل وغير ذلك من اسباب النجاح وعمر المدارس في مدن كثيرة منها المدرسة النظامية في بغداد سنة ١٠٦٧ م والمستشفيات ومراصد الفلك

ولم يكن اهتمام الخلفاء الفاطميين في مصر بالعلم والادب وانتشاره بين رعاياهم باقل من اهتمام الخلفاء السلجوقيين في الشرق فان الخليفة الحاكم بامر الله وان كان خفيف العقل الا انه بنى في القاهرة سنة ١٠٠٥ م داراً للعلوم سماها دار الحكمة وكانت اساتيذها العلماء يقبضون معاشهم من مال الدولة ويدرسون طلبة العلم في كل الفنون والعلوم وكان في دار الحكمة مكتبة كبيرة جداً وكان يسمح لكل طالب ان يزورها ويطالع فيها وينال هناك كل ما يلزمه من الطعام والشراب بدون ان يدفع شيئاً من المال على ذلك وكان الخليفة يأتي عادة الى تلك المكتبة ويحضر المجادلات والمناقشات التي كانت تدور بين العلماء فيها . وليس باقل من ذلك كان ايضاً اهتمام الدولة الايوبية التي خلفت الدولة الفاطمية في مصر وبر الشام في القرن الثاني عشر بالعلم والادب فمنهم السلطان نور الدين فانه بنى مدارس في بغداد وحلب وغيرهما من المدن والسلطان صلاح الدين مع كثرة حروبه شيد مستشفى في مصر ومرصداً للكواكب في دمشق وغير ذلك من العمارات المفيدة

فنرى مما سبق انه بسبب اهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلم والادب انتشرا وثبتا في الشرق ثباتاً قوياً حتى ان فتح المغول لبغداد سنة ١٢٥٨ م لم يأت بضرر عظيم للعلم وخصوصاً لان بعض خانات المغول كانوا يحبون العلم ويميلون الى العلماء ولكن في هذا الجيل اي الثالث عشر بسبب الحرب والفتن الدائمة اخذت الآداب العلمية في الانحطاط الى ان فتحت آل عثمان بر الشام ومصر في الجيل السادس عشر فانحصرت

الآداب العلمية حينئذ في الاتراك والفرس ولم يكن للعرب حظ كبير منها لانهم فقدوا عصبيتهم ودولتهم ولكن في العصر التاسع ابتدأوا ينهضون من غفلتهم وذلك بسبب تأثير التمدن الاوربي عليهم فنراهم يترجمون من اللغات الاوربية كتباً مفيدة في كثير من العلوم ويطبعونها وينشرون عدة جرائد سياسية وادبية وعلمية في القسطنطينية و بيروت و بغداد والقاهرة والاسكندرية وغيرهما من المدن الكبيرة في آسيا وافريقيا واوربا واميركا

وبناء على ما تقدم يمكننا ان تقسم تاريخ آداب العرب الى اربعة ادوار الدور الاول من قديم الزمان الى نهاية خلافة بني امية سنة ٧٥٠ م وفي هذا الدور كان الشعر عند العرب في اقصى درجة من النمو والازدهاء . والدور الثاني منذ استيلاء الخلفاء العباسيين على الملك الى فتح المغول بغداد سنة ١٢٥٨ م وهذا الدور هو دور انتشار العلوم والآداب ونجاحها بسبب تأثير القرآن الشريف والعلوم الشرعية من جهةٍ ومطالعة العلوم اليونانية وترجمتها الى اللغة العربية من جهة اخرى . والدور الثالث منذ فتح المغول بغداد الى غزو نابوليون مصر وهذا الدور هو دور انحطاط الآداب العربية والدور الرابع وهو الاخير يبتدئ من حلول نابوليون مصر الى وقتنا الحاضر وهو دور النهضة العربية التي حصلت بسبب تأثير التمدن الاوربي

ونحن في كتابنا هذا تاريخ الآداب العربية نبحث في باب مخصوص عن الآداب في الزمان القديم اي في ايام الجاهلية ثم تدل على اهم ما اتت به القريحة العربية من المؤلفات في كل علم على حدة حسب سني تأليفها

فصل في الآداب والشعر قبل الرسول

ان المؤرخين من العرب يسمون الاعصر التى قبل ظهور الاسلام « بأيام الجاهلية » لانه حسب زعمهم لم يكن للعرب في تلك الايام معرفة الا بالشعر والحسب والنسب وما يتعلق بذلك من الاخبار وعلى ما زعموا كانت لهم معرفة بتفسير الاحلام ولا شك انه كان لهم علم باوقات طلوع الكواكب وغروبها وخصوصاً التي لها علاقة بتغيير فصول

السنة والتي كانت لهم دليلا في أسفارهم الطويلة بالقفار . هذا ما يقوله المؤرخون من العرب وهو صحيح من جهة واحدة فقط وذلك لان سكان بلاد العرب من قديم الزمان حتى عصرنا الحاضر يقسمون الى قسمين الحضر والمدر وهم سكان المدن والقرى والوبر وهم البدو [١] . وكان للحضر منهم من قديم الزمان ممالك منتظمة مثلا الملوك من بني حمير وملوك الحيرة والملوك الغسانية وكانت رعاياهم تشتغل بالحراثة والزراعة والصناعة والتجارة مع الامم المجاورة المتمدنة وكانوا يعرفون الكتابة [٢] واما الوبر فلم يكن لهم

---

(١) والواحد منهم بدوي وهم العشائر التي تنتقل من محل الى آخر وتعيش من نتاج الابل والغنم والخيل لا تفلح ارضاً ولا تسكن بلداً .

(٢) ومما يبرهن على صحة الرأي بان الكتابة كانت معروفة عند العرب قبل النبي (صلعم) عدة شهادات منها ان النبي نفسه كان يدعوا ذاته أمياً فلو لم تكن الكتابة معروفة في ايامه لما لزمت كلمة للتمييز بين الامي وغيره . وقد اجمع العلماء بان اول سورة نزلت على الرسول هي سورة اقرأ بسم ربك الذي خلق . فكانت اذاً القراءة معروفة عند العرب واذا كانت القراءة معروفة فلا بد من كتابة ليقرأوها . ويحكي المؤرخون الاولون ان نضر بن الحارث احد اعداء النبي (صلعم) كان يحكي لاهل قبيلته اخبارا عديدة من تاريخ اليونان والفرس وكان يطالع تلك الاخبار في ادراج يشتريها في الحيرة وكان على ما روى اولئك المؤرخون لورقة بن نوفل ولامية بن الصلت معرفة بتوراة اليهود وانجيل النصارى فلا بد من ان بعض الاسفار من الكتب المذكورة كانت دارجة في ايامهما بين العرب فتمكنا من مطالعتها وفي عدة ابيات من شعر الجاهليين نرى ذكرا للرسوم والعهود التي لا تكون الا بالكتابة منها في معلقة لبيد بن ربيعة العامري حيث يقول

فمدافع الريان عري رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

وكذلك معلقة الحارث بن حلزة اليشكري حيث يقول

واذكروا حلف ذي المجاز وماقد م فيه العهود والكفلاء

يذكرهم بالعهود المكتوبة بين بني بكر وتغلب فينتج مما تقدم ان ما قاله المؤرخون من المسلمين بان مر امر بن مرة (مروة) هو اول من علم العرب الكتابة يجب ان نفهمه انه هو الذي عرفهم كتابة جديدة اخذها عن السريان

شغل آخر سوى رعي المواشي ولذلك الفرق بين الحضر والوبر عظيم جداً في التمدن وأخبار المؤرخين المسلمين عن معارف العرب في الزمان القديم يطلق على اهل الوبر فقط فان القبائل منهم التي كانت ترعى مواشيها في حدود البلاد كان لها علاقات متواصلة مع اهل الحضر وغيرهم من الامم المتمدنة فمن تلك القبائل خرجت الشعراء وكانوا اكثر تمدناً من غيرهم من القبائل التي كانت ترعى مواشيها في وسط بلاد العرب فان هؤلاء لم يكن لهم تأثير في نجاح الامة العربية مطلقاً

واعلم ان المؤلفين من العرب لم يفسروا كيف ابتدأ نظم الشعر عندهم وكيف نبغوا فيه اما نحن فنقول انهم ابتدأوا بالبيت الواحد والبيتين فكانوا اولا يقولون النثر المسجع في جمل صغيرة كما ترى ذلك في امثالهم ثم صاروا يوازنون كل جملة من النثر بالاخرى حتى توصلوا رويدا رويداً الى نظم البيت او البيتين . وكان الشاعر في تلك الابيات يعبر عن الاحساسات التي كان يشعر بها كالحب والغضب والحماسة وغير ذلك وكانوا يستعملون ذلك الشعر بحر الرجز لسهولته وخفته ويسمون القطعة منها الرجوزة والجمع اراجيز وبعد ذلك صاروا يرتجلون منه اكثر من بيتين ويعبرون بها عن احساستهم النفسية ويصفون الوقائع الحربية والخيل والابل والصحراء وغير ذلك مما يقع تحت نظرهم وصاروا يستعملون عدا الرجز اوزاناً اخرى منها الطويل والكامل والوافر وغيرها من البحور فان الاغلب العجلي الذي عاش قبل الرسول بقليل كان يمدح في اراجيزه محبوبته ويذكر آثار حبها ويصف الجراد ويتأسف على ما مضى من شبابه . مع ذلك نرى قبل ذلك الجيل اي في آخر الجيل الخامس اشعاراً في ارق نظم وادق لفظ واوسع معنى وابدع صورة تدعى قصائد والواحدة قصيدة ويقال ان اول من قال قصيدة هو المهلهل بن ربيعة من بني تغلب قالها في قتل اخيه وذهبوا ان الفرق بين الاشعار المرتجلة والقصائد هو ان في الشعر المرتجل يعبر الشاعر عن احساساته النفسانية حالما ينفعل من شيء ويقول الشعر بدون تحضير كما يقول الجهلة البسيطة واكثر ما يكون الشعر المرتجل من بحر الرجز ولا تتجاوز القطعة منه العشرة الابيات وقيل بل السبعة والقصائد ترد من جميع الابحر ولا تسمى قصيدة الا اذا ازادت عن السبعة الابيات وكان من نظمها قصد ما وقلما تقال مرتجلة بل ان اكثر الشعراء كانوا ينقحونها قبل انشادها وهي اما يقصد بها مدح قبيلة

او بطل او امير [١] واكثر القصائد القديمة يبتدىء بذكر المحبوبة وذكرحبها وادخلها والآثار التي تركتها في الحي بعد رحيلها ثم يصف فيها الشاعر شجاعته وحروبه ونزاله فيصف عند ذلك كل ما يراه في ذلك المقام من المواد وكل الحوادث التي تجرى فيه فيصف الحصان والجمل والناقة والسيف والرمح والقتال ويمدح شجاعته اوشجاعة قبيلته وشرفها وجودها ويذم العدو ويعـدد نقائصه مثلا الجبانة والبخل وهلم جرًّا فهذه اهم الاشياء التى وصفتها العرب في اشعارها القديمة التى وصلت الينا في المعلقات والحماسة والدواوين وكتاب الاغاني وغيرها ومع ان هذه الاشعار قليلة الفحوى الا انها حسنة الوصف المطابق للحقيقة قوية العبارة عميقة في معناها وفي بلاغتها وفصاحتها لانظير لها

وبما ان النظر الى الحوادث كل منها على حدة بدون جامع او علاقة بينهاهو مزية في الساميين جميعاً فلذلك نرى ان العرب الذين هم ساميون لاباع لهم في الشعر الذي يصف حوادث عديدة ذات رابط واحد تاريخي او دهمي محزن او مطرب ومع ان شعرآءهم وصلوا في البلاغة والفصاحة الى اعلي درجة فقدا كتفوا بالتعبيرعن احساساتهم وتأثرهم النفساني ووصف ما شاهدوه في الطبيعة التي حولهم بدون رابط ولذلك نرى ان اشعارهم ليست على ذوق اكثر الاوربيين الذين يجدون فيها غالباً صوراً بديعة كل صورة على حدة بلا معنى او فكر جامع يضم تلك الصور بعضهاالى بعض حتى انه يمكننا ان نحذف من قصيدة عدة ابيات بدون ان يشعر القارىء نقصاً منها. وهذا لا يمكن في الاشعار الاوربية.

ويعد مؤرخو العرب اكثر من مائتي شاعر عاشوا في الجاهلية ولكن لم يصل الينا من اشعارهم الا القليل وذلك لان اهل العلم ابتدأوا بجمع اشعارهم وتدوينها بعد مئة

---

(١) انظر كتاب العلامة أهلورد : Ahlwart : Ueber Poésie : und Poetik der Araber gotha 1856. Bemerkungen über die Aechttheit وايضاً كتابه der alten Arabischen gedichte. Greisswald1872. وانظر ايضاً Brackelmann. geschichtetder arab. Litter. Berlin, 1899 — 1900

وخمسين سنة من الهجرة [١] عند ما كان قد نسي كثير من الاشعار لان العرب في ذلك الوقت كانت مشتغلة بالفتوحات فضاع كثير من شعر الجاهلية ولم يصل الينا . واشهر الشعرآء الذين وصل الينا القليل من شعرهم هم امرؤ القيس وطرفة وزهير ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة والحارث بن حلزة وهم اصحاب المعلقات السبع [٢] و بعض المتقدين

(١) وكان اول من جمع اشعار الجاهلية ابو العباس مفضل الضبي (المتوفي سنة ٧٨٤ م) وتبعه في ذلك ابو سعيد عبد الملك الاصمعي (المتوفي سنة ٨٢٨ م) ثم ابو يوسف يعقوب بن السكيت (المتوفي سنة ٨٥٨ م) وابو سعيد الحسن السكوى (المتوفي سنة ٨٨٨ م) (انظر الفهرست صفحة ١٥٧ و١٥٨)

(٢) ان بعض العلماء من المتأخرين يزعمون ان المعيقات سميت بهذا الاسم لانها كانت معلقة على حيطان الكعبة الشريفة ولكن العلامة نولدكه Nöldeke برهن في كتابة المسمى Betraïge Zur kentniss der Poesie der alten araber - ان ذلك غلط وان المعلقات معناها المنتخبات . قال العلامة اسكندر اغا ابيكاريوس في كتاب تزيين نهاية الارب في انبآء العرب ان العلماء من المتقدمين قد انتخبوا من نفائس اشعار الاقدمين القصائد المسبعات فهي سبعة اسابيع اولها المعلقات وقد ذكرت اسماء اصحابها في المتن وهي الطبقة الاولى وثانيها المجهرات واصحابها النابغة الذبياني والاعشى ميمون وعبيد بن الابرص وبشر بن ابي حازم وأمية بن ابي الصلت وعدي بن زيد والنمر بن تولب وثالثهما المنتقيات واصحابها المهلهل بن ربيعة ودريد بن الصمة وعروة بن الورد وأوس بن حجر والمنتخل بن عويمر والمرقش الاصغر والشنفرى والازري وهي الطبقة الثالثة ورابعها المذهبات واصحابها حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الجلاح والسموءال بن عاديا وخداش بن زهير والحارث بن عباد وهي الطبعة الرابعة خامسها المراثي واصحابها ابو دويب الهذلي وكعب بن سعد والاعشى الباهلي وعلقمة المطموس الحميري وابو زيد الطائي ومتمم بن نويرة ومالك بن الريب وهي الطبقة الخامسة وسادسها المشوبات واصحابها كعب بن زهير والمثقب العبدي والقطامي والشماخ بن ضرار وعمر بن احمد وتميم بن ابي مقبل وهي الطبقة السادسة وسابعها الملحمات واصحابها الفرذوق وجرير والاخطل وعبية الراعي وذو الرمة والكميت بن زيد والطرماح وهي الطبفة السابعة وهي التسع والاربعون قصيدة عيون اشعار العرب في الجاهلية . انتهى . وقد جمعها اسكندر

من علماء اللغة العارفين بطبقات الشعراء يعدون النابغة الذبياني والاعشى ميمون من اصحاب المعلقات عوض عنترة والحارث بن حلزه. وقد نقحت هذه المعلقات وشرحها كثيرون من العلماء وطبعت عدة مرات في الشرق والغرب ومن اشهر مطبوعاتها في اوربا طبعة في ليبسيا بعناية العلامة ارنولد سنة ١٨٥٠ م وتسمى باللاتينية هكذا: "Septem Mo'al lakat carmina antiquissima Arabum." وفي سنة ١٨٧١م طبع العلامة أهلورد دواوين خمسة من هؤلاء الشعراء وهم امرؤ القيس والنابغة وطرفة وزهير وعنترة مع ديوان علقمة[1] وسماه هكذا: " Diwans of the six ancient arabic poets " اي دواوين ستة شعراء الجاهلية.

اما الآن فنسرد سيرة اشهر شعراء الجاهلية:

أولاً: (امرؤ القيس)[2] من قبيلة كندة وقال اصحاب السير انه ابن حُجر احد ملوك بني اسد وكان من صباه ذكياً متوقد الذهن فلما ترعرع اخذ يقول الشعر وكان يحب اللهو ويتبع صعاليك العرب فطرده ابوه فأبى ان يقيم معه وما زال امرؤ القيس مع صعاليك العرب حتى قتل بنو اسد اباه لانه كان ظالما فحلف امرؤ القيس ان يأخذ بثأر ابيه من بني اسد واخذ يحاربهم وغلبهم عدة مرات الا انه بسبب طول حروبه سئمت منه اصحابه فسار الى القسطنطينية الى قيصر الروم يوستينيانوس يستنجده على اعدائه. وسم هناك بقميص البسوه اياه قيل لانه اتهم بانه كان يميل الى بنت القيصر

اغا ابيكاريوس في مؤلفه المذكور المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٧

(١) هو علقمة بن سيف بن ذي يزن الحميري احد اصحاب المراثي (انظر الملاحظة السابقة)

(٢) واسمه الحقيقي جندح وكنيته ابو الحارث او ابو زيد وقيل ابو وهب او ابو كبشة ولقبه الملك الضليل وذو القروح والكندي وكانت امه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث اخت كليب والمهلهل التغلبيين. انظر رسالة العلامة ريكرت Ruckert المسماة Imrailkais der Dechter undkonig (راجع نسبه واخباره في كتاب الاغاني الجزء الثامن صفحة ٦٢ طبعة بولاق)

فمات في مدينة أنقره سنة ٥٦٠ م وجمع اشعاره عدة من العلماء[١] وكثيرون من علماء العرب يعدون امرؤ القيس افحل شعراء الجاهلية من ذوي الطبقة الاولى ويقولون انه كان اول من ابتدأ في شعره بذكر طلول محبوبته وبالتفنن في الاوصاف حتى انه بلغ في ذلك مبلغاً عظيماً وانه جمع في كل قصيدة من قصائده صوراً كثيرة من حياة البدو وأنشدها على نسق واحد بديع مقبول فان تشبيهاته واستعاراته حسنة جداً ولم يصل احد الى ما وصل اليه امرؤ القيس في المديح والهجو واحسن صنعة في شعره هو وصفه جواده [٢] فليس له في ذلك مثيل. ولذلك ضرب المثل بامرىء القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب .

ثانياً : (طرفة بن العبد البكري)[٣] من بني قيس من قبيلة بكر بن وائل وبلغ مع حداثة سنه مالم يبلغه القوم مع طول اعمارهم وله ديوان شعر يستشهد به اهل اللغة وكان في صباه منصباً على اللهو ويشرب الخمر وينفق عليها ماله فآل به الحال الى انه توجه مع خاله جرير المتلمس الى ملك الحيرة عمرو بن هند وكان يأمل طرفة ان يصلح احواله بشعره ولكنه أهاج على نفسه غضب ملك الحيرة بسبب هجائه [٤] فامر عامله في البحرين بدفنه حياً وله من العمر ست وعشرون سنة ولذلك يدعى الشاب القتيل او

(١) وطبع ديوانه العلامة دي ستان de Stane في باريز سنة ١٨٢٨ مع ترجمة لاتينية . وقد جمع الاب اليسوعي لويس شيخو اهم اخبار واشعار امرؤ القيس من كتب عديدة وسردها في كتابه المعروف بشعراء النصرانية المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ .

(٢) بقوله :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلِ
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ
له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

(٣) واسمه الحقيقي عمرو بن العبد بن سفيان وكنيته ابو عمرو وسمي طرفة باسم شجرة .

(٤) وذلك ان عمرو بن هند عين طرفه نديماً لاخيه قابوس وكان قابوس ولي العهد جباراً متكبراً فهجاه طرفة بشعر فوصل ذلك الى الملك عمرو بن هند فعمد على قصاصه فدعا طرفة وخاله المتلمس وارسلهما الى عامله في البحرين برسالة يأمره بها ان يقتلهما

الغلام القتيل او ابن العشرين . والمتقدون من العرب يعدون طرفة من فحول شعر الطبقة الاولى[1] اما مطلع معلقته فهو

لخولةَ أطلال ببرقه ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ
وُقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجملِ

ثم يأخذ فيها بوصف ناقته ثم ملذات العيش بين الخمر والنشا ثم يمدح ذاته ويعدد افعاله واخيراً يسود قوانين الحياة وافكاره فيها وكيف يجب ان تكون وقد اشتهرت الابيات الاخيرة من معلقته حتى صارت كالامثال منها :

ولا خيرَ في خيرٍ ترى الشرَّ دونه ولا قائل يأتيك بعد التلددِ
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ولا يأتيك بالاخبار من لم تزَوِّد
ويأتيك بالاخبار من لم تَبِع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعدِ
أرى الموت عداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ما اقرب اليوم من غد
عن المرءِ لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي .

ثالثاً : (زهير ابن ربيعة) الملقب بابي سلمى المزني من بني مرة وكان اباً لكعب المشهور بمدائحه للنبي (صلعم) وكانت أخلاق زهير وحياته مخالفة لاخلاق امروءالقيس وحياته وكان من عائلة اشتهرت بالشعر ومات قبل البعثة النبوية بسنة وكان ينقح شعره مدة طويلة ولذلك تدعى قصائده بالحوليات المنقحة لانه كان ينقحها حولاً اي سنة ثم ينشدها وهو يعد عند الحجازيين اشعر الشعراء . وقد مدح زهير في معلقته وغيرها من القصائد الاميرين الحارث بن عوف وهرم بن سنان من امراء بني مرة اللذين مشيا في الصلح بين بني عبس وذبيان وحملا عنهم ديات القتلى في حرب داحس والغبراء من اموالها[2] . وينسبون لزهير نحو عشرين قصيدة يمدح بها الاميرين المذكورين وغيرهما

فرأى الملتمس من عمرو بن هند شراً واوى الرسالة لمن يقرأها له فعرف فحواها وهرب الى بر الشام اما طرفة فلم يبالي بشيء واوصل الرسالة الى عامل عمرو بن هند في البحرين فقتله شر قتلة

(١) وقد طبع معلقته العلامة ولبرس Wullers في مدينة بونا سنة ١٨٢٩

(٢) وكان الداعي لهذه الحرب خصام جرى بين قيس بن زهير احد امراء بني

من ابطال العرب وهي جميعها في غاية الفصاحة والبلاغة . ومما يقال عن زهير انه كان لا يعاطل في الكلام ويتجنب وحشي الشعر ولا يقول الا ما يعرفه ولم يمدح احداً الا بما فيه . قال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره وكان ابوه ربيعة شاعراً وخاله بشامة بن الغذير شاعراً واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين واخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه :

عبس وحذيفة امير بني ذبيان بسبب سباق خيلهما وذلك ان الغبراء فرس حذيفة سبقت داحس فرس قيس بن زهير لان حذيفة اكمن في حفرة على طريق الفرسين فتياناً فلطموا وجه داحس وردوه عن الغاية . فلما علم قيس بالمكيدة غضب وقتل اخا حذيفة عوف (وقيل ابنه ابا قرفة) فانتشبت بسبب ذلك حرب بين بني عبس وبني ذبيان دامت اربعين سنة الى ان اصلح بينهم الاميران المذكوران من بني مرة . ومما يحكى عن احدهما الحارث بن عوف ومستحب سرده هنا نقلا عن كتاب الاغاني هو: «حدثني ابراهيم ابن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال الحارث بن عوف بن ابي حارثة اتراني اخطب الى احد فيردني قال نعم قال ومن ذلك قال اوس بن حارثة بن لأم الطائي فقال الحارث لغلامه ارحل بنا ففعل فركبا حتى اتيا اوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله فلما رأى الحارث بن عوف قال مرحباً بك يا حارث وقال كربك ما جاء بك يا حارث قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل اوس على امرائه مغضباً وكانت من عبس فقالت من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه قال ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن ابي حارثة المري قالت فمالك لا تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءني خاطبا قالت افتريد ان تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فماذا قالت تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول له انك لقيتني مغضبا بامر لم تقدم مني فيه قولا فلم يكن عندي فيه من الجواب الا ما سمعت فانصرف ولك عندي كل ما احببت فانه سيفعل فركب في اثرهما . قال خارجة بن سنان (الظاهر انه غلام الحارث) فوالله اني لاسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فاقبلت على الحارث يكلمني غما فقلت له هذا اوس بن حارثة في اثرنا وقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نقف عليه صاح يا حارث اربع عليّ ساعة فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً فبلغني ان

وما يغني توقي الموت شيئاً ولا عقد التميم والفضار
اذا لاقى منيته فامسى يساق به وقد حق الحذار
ولاقاه من الايام يومٌ كما من قبل لم يخلد قدار

وأبن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر وهو القائل

اوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لاكبر بناته فاتته فقال يا بنية هـذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءني طالباً خاطبا وقد اردت ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولمَ قلت لاني امراة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحى منك ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما فيه قال قومي بارك الله عليكِ ادعي لي فلانة لابنته الوسطى فدعتها ثم قال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها وقالت اني خرقاء وليست بيدي صناعة ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما تعلم وليس بابن عمي فيرعى حقي ولا جارك في بلدك فيستحييك قال قومي بارك الله عليك ادعي لي بهية يعني الصغرى فاتى بها فقال لها كما قال لها فقالت انت وذاك فقال لها اني قد عرضت ذلك على اختيك فابتاه ولم يذكر لها مقالتيهما فقالت لكني والله الجميلة وجها الصناع يداً الرفيعة خلقا الحسيبة اباً فان طلقني فلا اخلف الله عليه بخير فقال بارك الله عليكِ ثم خرج الينا فقال قد زوجتك يا حارث بهية بنت اوس قال قد قبلت فامر امها ان تهيئها وتصلح من شأنها ثم امر ببيت فضرب له وانزله اياه فلما هيئت بعث بها اليه فلما ادخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قات وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه اعند ابي واخوتي هذا والله ما لا يكون قال فامر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بهـا معنا فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت وعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحق بي فقلت افرغت قال لا والله قلت ولم قال قالت لي اكما يفعل بالامة الجليبة او السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله اني لارى همة وعقلاً وارجو ان تكون المراة منجبة ان شاء الله فرحلنا حتى جئنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل عليها وخرج اليّ فقلت افرغت قال لا والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا اراه فيـك قلت وكيف قالت اتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها وذلك في ايام حرب عبس

انى لاحبس نفسي وهي صادية عن مصعب ولقد بانت لي الطرق
رعوا عليــة كما ارعى على هرم جدي زهير دفينا ذلك الخلق
مدح الملوك لسعي في مسوتهم ثم الغــنى ويد الممدوح تنطلق

(انظر ترجمة زهير بن ابي سلمى واشعاره في كتاب شعراء النصرانية المتقدم ذكره)

رابعاً : (لبيد بن ربيعة) من بني عبس المشهور بجوده وشعره قد ادرك الاسلام وكان يعجب من بلاغة آيات القرآن الشريف فاسلم وله من العمر ٩٠ سنة وصحب النبي (صلعم) في هجرته الى المدينة ومات في الكوفة سنة ٦٦٢ م في خلافة معاوية ولما اسلم لبيد لم يقل الشعر بعد ذلك . اما معلقته فاولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبَّدَ غولها فرجامها

خامساً: (عمرو بن كلثوم) بن عمرو بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل الشاعر المشهور من اهل الجزيرة وام عمرو

وذبيان قلت فيكون ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى اهلك فلن يفوتك فقلت والله اني لا ارى همة وعقلاً ولقد قالت قولاً قال فاخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فشينا فيما بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان تحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين فانصرفنا باجمل الذكر قال محمد ابن عبد العزيز فمدحوا بذلك وقال فيه زهير ابن ابي سلمى

امن امِ اوفى دمنة لم تكلم

قد ذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فاصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتى من افالٍ مزنم
ينجمها قومٌ لقــوم غرامةً ولم يهريقوا بينهم ملءَ محجم

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

وفي قصيدة يقول فيها :

تداركتما الاحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد ذلت باقدامها النعل

وهذه لهم شرف الى الآن ورجع فدخل بها فولدت له بنين وبنات

ليلى بنت المهلهل اخي كليب وكان عمرو بن كلثوم سيد قومه بني تغلب وسادهم وله من العمر خمسة عشر سنة وقال الشعر واجاد فيه الا انه كان من المقلين ويقول بعضهم بل وصل الينا من شعره القليل وعلى رأيهم ان قصيدته المعلقة كانت تزيد على الالف بيت وانه وصل الينا ماحفظه الناس منها والمشهور ان بني تغلب كانت تعظم معلقته جداً ويرويها صغارهم وكبارهم فمن الغريب انه بقي منها نحو مائة بيت فقط وأولها

ألاهُبي بصحنك فاصبحينا ولا تُبقي خمورَ الأندَرينا
مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

ومما يحكى عن عمرو بن كلثوم ان بني تغلب انتخبته ليحامي عنهم امام ملك الحيرة عمرو بن هند في خصام جرى لهم مع بني بكر وخبر ذلك على ما رواه الشيباني ان عمراً ابن هند جمع بكراً وتغلب واصلح بينهم بعد حرب البسوس واخذ من الحيين رهناً من كل حي مئة غلام من اشرافهم وكانوا يصحبونه في مسيره ويغزون معه فسرح عمرو ابن هند ركباً من بني تغلب و بني بكر الى جبل طيِّء في امر من اموره فنزلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات احلاف بني بكر فقيل انهم اجلوا التغلبيين عن الماء وحلوهم عن المفازة فمات التغلبيون عطشاً وقيل بل اصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلكوا وسلم البكريون . فطلب بنو تغلب ديات ابنائهم من بني بكر فرفضوا وكادت رحي الحرب تدور بينهم فدعوا بعضهم بعضاً الى الصلح وتحاكموا الى عمرو بن هند فجاءت اليه بنو تغلب يقودها عمرو بن كلثوم وجاءت بنو بكر ومعهم الحارث بن حلزة فارتجل كل منهما امام عمر بن هند قصيدة يمدح بها قومه ويدافع عنهم فأثرت قصيدة الحارث بن حلزة على عمرو بن هند فقضى لبني بكر

وعمرو بن كلثوم هذا هو الذي قتل بعد ذلك ملك الحيرة عمرو بن هند وتحرير ذلك عن كتاب الاغاني ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه « هل تعلمون احداً تأنف امه من خدمة امي » فقالوا « نعم ام عمرو بن كلثوم » قال « ولم » قالوا « لان اباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل اعز العرب و بعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه » .فارسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أمّه امة . فاقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني

تغلب واقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب وامر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق وكانت هند عمة امرؤ القيس بن حجر الشاعر وكانت ام ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي ام امرؤ القيس وبينهما هذا النسب وقد كان عمرو ابن هند امر امه ان تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف فقالت هند « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى «لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها» فاعادت عليها وألحت فصاحت ليلى«واذلاه يالتغلب» فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف عمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو ابن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة(انتهى عن كتاب الاغاني) وتوفي عمرو بن كلثوم سنة ٦٠٠م وله من العمر مائة سنة وقيل بل وهو ابن مائة وخمسين. وقد طبعت معلقته في مدينة بونا سنة ١٨١٩ مع ترجمتها اللاتينية بقلم العلامة كوزغارتن .

سادساً : (عنترة بن شداد العبسي) وقيل ان شداد جده وغلب على نسبه لانه نشأ في حجره واسم ابيه عمرو بن شداد بن عمرو بن قواد بن مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس ويلقب بعنترة الفلحاء لتشقق شفتيه وعنترة الفوارس لشجاعته وبالغراب لسواد جلده وكانت أمه أمة حبشية يقال لها زبيبة وكان لعنترة أخوة من امه عبيد وكان هو عبداً ايضاً لان العرب كانت تستعبد بني الاماء الا انهم كانوا يعترفون بمن انجب منهم فان شداد اعترف بنسب عنترة والحقه به وكان السبب بذلك ان طيأ اغارت على بني عبس فاصابوا منهم واستاقوا ابلاً فتبعهم العبسيون فلحقوا وقاتلوهم عما معهم وعنترة فيهم فقال له شداد« كر يا عنترة» فقال عنترة «العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر» فقال « كرّ وانت حر» فكرّ عنترة وقاتل يومئذ قتالا حسناً فادعاه شداد بعد ذلك والحق به نسبه وكان عنترة ينوه عن نسبه في شعره من ذلك قوله

اني امرؤٌ من خير عبس منصباً   شطري وأحمي سائري بالمنصل
واذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت   الفيت خيراً من معم مخول

وقضى عنترة كل عمره في الحروب والقتال وقول الشعر فصارت العرب تعده من فحول ابطالها واخذت تروي عنه النوادر والاحاديث وما زالت الرواية بذلك تنتقل من جيل الى آخر ويزاد فيها حتى صارت مع الزمان رواية كبيرة كتبت اخيراً (١) وتعرف الآن بقصة عنترة بن شداد العبسي يلتذ بسمعها وقراءتها الى الآن كثيرون من اهالي الشام ومصر . اما شعر عنترة فمن ارقّ والطف شعر الجاهلية الا ان كثيراً من الشعر منسوب له وليس له والصحيح ان كثيراً مما رواه الاصمعي وابو عمرو ابن العلاء والمفضل وابو سعيد السكري من شعره هو حقاً له وان كثيراً مما رواه غيرهم ليس من شعره بل منسوب له فقط (٢)

اما معلقته فهي مشهورة مطلعها

هل غادر الشعراء من مُتردَّم   امهل عرفتَ الدارَ بعدَ توهُّمِ

قيل ان السبب في قول هذه المعلقة ان رجلا من بني عبس ذكر سواد عنترة وامه واخوته فسبه عنترة وفخر عليه وقال فيها يقول له لاحضر البأس واوفى المغنم واعف عن المسئلة واجود بما ملكت وافضل الخطبة الصماء فقال له الرجل انا اشعر منك قال ستعلم ذلك وقال معلقته وذكر فيها حرب داحس وغبراء وحبه لعبلة ابنة عمه مالك وما يجده منها ومن فراقها وحالة ناقته ويمدح جواده وشجاعته وما لاقاه في النزال والحروب ومن ارق ابياته في معلقته قوله في عبلة

(١) قيل ان اول من كتبها الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بباب العزيز في القاهرة كتبها في اثنين وسبعين كتاباً

(٢) لاحظ ما كتبه عن ذلك العلامة الفردت (Bemerkungen 57) وكذلك مقالة للعلامة ثوربيك Thorbeck تسمى Antarah, ein vor islami-cher Dichter Leipzig. 1867) وقد طبع معلقته في اوربا اول مرة العلامتان Menil و Willmet في مدينة ليدن سنة ١٨١٦ واما ديوانه فقد طبع عدة مرات في سوريا ومصر وهو مشهور

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومات عنترة قتيلاً قبل سنة ٦١٥ واختلف فيمن قتله فالبعض يقولون انه وزَر بن جابر النبهاني رماه بسهم فقطع مطاه (ظهره) فتحامل بالرمية حتى اتى اهله وهو مجروح وقال

وان ابن سلمى عنده فاعلموا دمي

ومات منها و بعضهم يقول غير ذلك .

سابعاً : (الحارث بن حلزة) بن مكروه بن يزيد بن عبدالله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل الخ اشتهر بمحاماته عن قبيلته بني بكر امام ملك الحيرة عمرو بن هند كما سبق الكلام في خبر عمرو بن كلثوم وانشد الحارث حينئذ معلقته[1] ارتجالاً متوكئاً على قوسه وانتظم كفه وهو لا يشعر حتى فرغ منها وذكر الحارث فيها فضائل قومه وشجاعتهم وعرّض ببعض الابيات لعمرو بن هند من ذلك قوله :

أعلينا جُنَاحُ كِندَةَ ان يغـ نم غازيهم ومنّا الجزاء

وكان عمرو بن هند من كندة ومع كل ذلك فان عمرو بن هند دله بشعره واندهش من بلاغته ولقوله القصيدة في موقف واحد فأحبه وجعله من ندمائه ولم يبال بانه مصاب بالوضح (اي الجذام) ولما قضى عمرو بن هند لبني بكر أطلق رهنهم وكانوا عدة فتيان من اشراف بني بكر ولكنه قصّ قبل اطلاقهم نواصيهم ودفعها للحارث ليعرفوا انه كان السبب في اطلاقهم ومات الحارث في الجيل السادس من الميلاد [2]

و بعض المحققين يعدون النابغة الذبياني والاعشى من اصحاب المعلقات بدل عنترة ابن شداد العبسي والحارث بن حلزة

(النابغة الذّبياني) : اسمه زياد بن ضباب بن ضباب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن

(١) التي مطلعها

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاوٍ يمل منه الثواء

(٢) وقد طبع معلقته فى اوربا اول مرة العلامة Vullers سنة ١٨٢٧ م

عوف بن سعد بن ذبيان وكنيته ابو امامة وابو عقرب وابو ثمامة ولد نحو سنة ٥٣٥م . ولما نبغ (اي بلغ من السن الرجولية) قال الشعر وهو من شعراء الطبقة الاولى وكان يضرب للنابغة قبة من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها فيستحسنها أو يعيبها فما استحسنه منها حفظ وكان النابغة في باب الملك المنذر الثالث والنعمان الرابع وكان خاصاً بالنعمان ومن ندمائه واهل أنسه وله فيه القصائد الكثيرة منها قصيدته المشهورة التي مطلعها :

يا دارَ ميّةَ بالعلياء فالسَّنَدِ أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ
وقفتُ فيها اصلاً لا اسائلها عيّت جواباً وما بالدارِ من احدِ

ويعدها بعضهم من المعلقات وقد وصف بها امرأة فوشي للنعمان بانها زوجته المتجردة ومن القصائد التي نوه بها عن المتجردة قصيدة مطلعها

أمن آلِ مية رائح او مغتدِي عجلان ذا زاد وغير مزَودِ

ومنها

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتّقتنا باليدِ
بمخضّب رخص كأن بنانه علمٌ يكاد من اللطافة يعقدِ

فلما وشي به خاف من النعمان وهرب الى غسان ونزل بعمرو بن الحارث الاصغر وامتدحه بقصيدة مطلعها

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيءُ الكواكبِ
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآئب

وعاش هناك الى ان استطلعه النعمان فعاد اليه . اما شعره ففي غاية الحسن والجود نقياً من العيوب خصوصا مطالع قصائده واواخرها وكان البدو من اهل الحجاز يحفظون شعره ويتفاخرون به وليس للغاية نظير في وصف الاحساسات النفسية كالخوف وماشابه. من ذلك قوله :

سرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد
فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن صود

وتوفي النابغة في اوائل الجيل السابع سنة ٦٠٤ م [١] .

(اعشى قيس) : المعروف بالاعشى الاكبر هو ميمون بن قيس بن جندل من بكر بن وائل ويكنى ابا بصير (وقيل ابا نصير او نصر) وهو احد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم من الطبقة الاولى والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب كما يتقدم امرؤ القيس اذا غضب والنابغة اذا رغب وزهير اذا رغب . وكانت العرب تغني بشعر الاعشى وتسميه صناجة العرب سكن الحيرة وكان يتردد على النصارى فيها يأتيهم ويشتري الخمر منهم فانه كان يحب شربه واحسن شعره ما قاله بعد طعام وشرب ويحكى انه كان يوافي سوق عكاظ و ينشد هناك شعره فيحفظ عنه ويغنى به ولذلك كانت العرب تضيفه وتهاديه ليمدحها ويطير ذكرها . قيل ان احدهم المحلق الكلابي كان له ثماني بنات فزوجهن جميعاً لابيات قالها الاعشى فيه . وحكي عن امرأة كسدت عليها بناتها فاتت الاعشى وسألته ان يشبب بواحدة فواحدة منهن و بعثت له هدايا فما زال يشبب بواحدة فواحدة حتى زوجن جميعاً . ومن قصائده الشائعة قصيدة يشبب فيها بهريرة محبوبته مولاة حسن بن عمرو بن مرثد وقد عدها بعضهم في جملة المعلقات السبع مطلعها :

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً ايها الرجل

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضُها تمشي الهُوينا كما يمشي الوجي الوجل [٢]

وللاعشى قصائد عديدة منها قصيدة يمدح بها النبي (صلعم) أوردها ابن هشام في كتاب سيرة الرسول [٣] . قال ابن هشام وفد الاعشى الى النبي (صلعم) بقصيدته التي

---

(١) وقصيدته التي مطلعها « يا دار مية » طبعت في اوربا عدة مرات منها في الدر المختار للعلامة الفرنساوي سلوستر دي ساسي وقد طبع ديوانه في المجلة الاسيوية الفرنساوية Journal asiatique العلامة الفرنساوي دي رانبورغ سنة ١٨٦٨ ثم طبعه مع ترجمة فرنساوية في باريز سنة ١٨٦٩ .

(٢) طبعت عدة مرات منها في كتاب الدر المختار الذي جمعه العلامة سلوستر دي ساسي في باريز .

(٣) طبعه العلامة ووستنفيلد المستشرق الالماني سنة ١٨٥٨ — ١٨٦٠ م في غوتنجن .

امتدحه بها فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح احداً قط الا رفع قدره فلما ورد عليهم قالوا له « اين اردت يا ابا نصير » قال « اردت صاحبكم هذا لاسلم » قالوا « انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رفق ولك موافق قال : وما هن » فقال ابو سفيان بن حرب : القمار قال لعلي ان اصبت منه عوضاً عن القمار ثم ماذا : قالوا الربا قال ما دنت ولا ادنت ثم ماذا قالوا الخمر قال : أوه ارجع الى صبابة قد بقيت لي في المهراس فاشربها فقال له ابو سفيان : هل لك في خير ما هممت به قال : وما هو قال: نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يسير اليه امرنا فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً وان ظهر علينا اتيته فقال : ما اكره ذلك فقال ابو سفيان : يا معشر قريش هذا الاعشى والله لئن اتى محمداً واتبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة (في اليمامة) رمى به بعيره فقتله سنة ٦٢٩ م . قال يحيى بن علي قبر الاعشى بمنفوحة وانا رأيته فاذا اراد الفتيان ان يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات الاقداح .[1]

ومن شعراء الجاهلية نذكر ايضاً :

(علقمة الفحل) وهو علقمة بن عبدة التميمي من اهل نجد وسادات تميم وشعرائهم المشهورين ومما يعرف عنه انه وفد الى الحارث الوهاب سيد بني غسان ملك الشام بقصيدة يمدحه فيها مطلعها :

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلى وقد شط وليها   وعادت عواد بيننا وخطوب

وكان اخو علقمة شأس اسيراً عند الحارث مع عدة رجال من بني تميم فطلب علقمة اطلاقهم وكان سبب اسرهم ما حكاه ابن الاثير ان الحارث الغساني خطب الى المنذر ابنته هنداً فوعده بها وكانت هند لا تريد الرجال فصنعت بجلدها شبه البرص فندم المنذر على تزويجها وامسكها عن ملك غسان فصارت الحرب بسبب ذلك وأسر

(١) انظر اكثر شعره في كتاب شعراء النصرانية صفحة ٦٥٧

خلق كثير من اصحاب المنذر منهم شأس بن عبد اخو علقمة (اهـ.) فلما مدح علقمه الحارث بقصيدته المذكورة وطلب منه فك أسر اخيه لبى الملك دعاه واطلق له اخاه وكل الاسرى من قبيلته ومن شعر علقمة الجيد قصيدة مطلعها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كبيرٌ بكى لم يقض عبرته اثر الاحبة يوم البين مشكوم

ومما يحكى عن علقمة انه جاء يوماً الى امرؤ القيس وهو قاعد في الخيمة وخلفه زوجته ام جندب فتذاكرا الشعر فقال امرؤ القيس انا اشعر منك فقال قل فاقول وتحاكما الى ام جندب فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها

خليليَّ مرَّا بي على ام جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

ومنها يصف فرسه

فللسوط الهوب وللساق درةٌ وللزجر منه وقع اهوج منعب

فقال علقمة في القافية والري قصيدته التي مطلعها

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هـذا التجنب

ومنها يصف فرسه

فادركهن ثانياً من عنانه يمر كمرّ الرائح المتحلب

فقالت لامريء القيس ان علقمة اشعر منك قال وكيف قالت لانك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك وانه جاء هـذا الصيد ثم ادركه من عنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك وسمي علقمة الفحل . وتوفى علقمة سنة ٥٦١ م [١]

(الشنفري) وهو العظيم الشفتين كان شاعرا من الازد العدائين وكان في العرب من العدايين من لا يلحقه الخيل منهم الشنفري وسليك بن السلكه وعمر بن براق واسير ابن جابر وتأبط شراً قيل ان الشنفري حلف مرة ليقتلن من بني سلامان مئة رجل

---

(١) وقد طبع ديوانه في لندرة ومصر واورد صاحب الاغاني كثيراً من اشعاره وتجد منها كثيراً في كتاب شعراء النصرانية

فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الشنفري منهم الرجل يقول له « اطرنك » ثم يرميه فيصيب عينيه فاحتالوا عليه فامسكوه وكان الذي امسكه اسير بن جابر احد العدايين رصده حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فامسكه ليلاً ثم قتله فمرَّ رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت شظية من الجمجمة في عينيه فمات منها فتمت القتلى مئة ومن احسن شعرة القصيدة المساة « بلامية العرب » مطلعها :

اقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل [1]

واكثر المحققين من المستشرقين يعدون ان هذه القصيدة ليست للشنفري بل نظمت بعده بزمان طويل ونسبت اليه .

(السموأل) بن عاديا والبعض يقولون ان عاديا حده ونسب اليه وان اباه غريض . كان السموأل يهودياً مشهوراً بالوفاء هو صاحب الحصن المعروف بالابلق كانت العرب تنزل فيه فيضيفها و بالسموأل يضرب المثل في الوفاء يقال اوفى من السموأل لانه فضل قتل ابنه على غفر امانة اودعها عنده امرؤ القيس لما سار الى الشام يزيد القيصر وكانت الامانة ادرعاً وفي ذلك يقول السموأل :

وفيت بادرع الكندي اني اذا ما خان اقوامٌ وفيت
واوصى عادياً يوماً بأن لا تهدم يا سموأل ما بنيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً وماءً كلما شئت استقيت

ومن اشعاره المعروفة قصيدة يمدح بها قومه اوردها ابو تمام في كتاب الحماسة مطلعها

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان للسموأل اخ يدعى سعية شاعر ايضاً وابن يدعى شريحاً مدحه الاعشى في

(١) طبعها العلامة سلوستردي ساسي في كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وترجمت الى الفرنساوية بقلم العلامة Tresnel اوردها في رسالته في تاريخ العرب قبل الاسلام المطبوعة في المجلة الآسوية سنة ١٨٣٤م والى النمساوية بقلم العلامة Weil مرة وبقلم العلامة Rulkert اخرى وثالثاً بقلم العلامة Reuss

شعره وعلى ما يقول المحققون ان السموأل عاش في اواخر الجيل السادس ومات في اوائل الجيل السابع وكان معاصراً للأعشى . ويقال انه توفى سنة ٥٦٠ م

ومن شعراء الجاهلية : (حاتم الطائي) وقد اشتهر بالجود والكرم حتى جرى ذكره مجري الامثال فيقال « اجود من حاتم طي» وقد وصل الينا من شعره شيء قليل جاء في ديوان الحماسة وكتاب الاغاني وغيرهما من كتب الادب وله ديوان معروف باسمه توفي حاتم سنة ٦٠٥ م وقبره بعوارض وهو جبل لبني طي ويحكى عن جوده الحكايات الكثيرة ومن غريبها ان نفراً من بني اسد مروا بقبر حاتم فقالوا : ان نزلنا بحاتم فلم يقرنا وجعلوا ينادون يا حاتم ألا تقري اضيافك ثم ناموا جميعاً وكان رئيس القوم رجلاً يقال له ابو الخيبري فنام ايضاً حتى اذا كان السحر وثب وجعل يصيح وارحلتاه فقال له اصحابه مالك قال خرج والله حاتم بالسيف وانا انظر اليه حتى عقر ناقتي قالوا كذبت فنظروا الى راحلته فاذا هي منخزلة لا تنبعث فقالوا والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها ثم اردفوه فانطلقوا فساروا واذا براكب يلحقهم فنظروا فاذا هو عدي بن حاتم راكباً قارناً جملاً اسود فلحقهم وقال ايكم الخيبري فدلوه عليه فقال جاءني ابي في النوم فذكر لي شتمك له وانه قرى راحلتك لاصحابك وقد قال في ذلك ابياتاً ورددها حتى حفظتها وهي :

ابا الخيبري وانت امرؤ حسودُ العشيرة شتامها
فماذا اردت الى رمة [1] بداوية صخب هامها [2]
تبغي اذاها واعسارها وحولك عوث وانعامها
وانا لنطعم اضيافنا من الكوم [3] بالسيف نعتامها [4]

وقد امرني ان احملك على جمل فدونكه فأخذه وركبه وذهبوا [5]

ومن شعراء الجاهلية ايضاً :(ذو الرمة) غيلان بن عقبة بن مسعود الثقفي لقب بذي الرمة لانه اجتاز مرة بخباء ميّ بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وسألها ان تسقيه ماء وكان

(١) لغة في رمة اي قرية (٢) براحلة شرسه قوية الرأس (٣) قطعة من الابل (٤) نختارها (٥) هذه الحكاية مأخوذة من شعراء النصرانيه . وطبع ديوان الطائي في لندن سنه ١٨٧٢ وطبع ايضاً في بيروت ومصر

على كتفه رمة[١] فلما ناولته الماء قالت له اشرب ياذا الرمة فصار ذلك لقباً له وكان سبباً لتعلقه بها فهويها وهام بحبها هياماً شديداً حتى مات. قيل لم يكن احد في زمان ذي الرمة اشعر منه ولا احسن منه جواباً . قال ابو عبيدة كان ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ويرد فيحسن الرد ويُعتذر فيحسن التخلص وقال ابو عمرو ختم الشعر بذي الرمة وختم الرجز برؤبة من العجاج[٢] ومن شعر ذي الرمة في ميّ قوله

نظرت الى اظعان ميّ كأنها	ذرى النخل أو اثلٌ تميل ذوائبه
فاسبلت العينان والقلب كاتمٌ	بمغدورق نمت عليه سواكبه
اذا نازعتك القول مية او بدا	لك الوجه فيها اونضا الدرع ساكبه
فما شئت من حسن بديع ومنطق	رخيم ومن خلق يعلل جاذبه

القرآن الشريف وتأثيرة في آداب العرب

ان القرآن الشريف وحي من الله تعالى انزله على نبيه ورسوله محمد (صلعم) ليس دفعة واحدة بل حسب مقتضى الاحوال والظروف منذ دعوة النبي الى وفاته فكان له ولكل المسلمين دستوراً في اعمالهم الدينية والدنيوية وكان للآيات الاولى التي انزلت في مكة تأثير عظيم على كل من سمعها من العرب حتى ان كثيرين من عرب البادية الذين زاروا مكة في ابتداء دعوة النبي (صلعم) حفظوا عدة آيات منها ونقلوها الى قبائلهم المتفرقة في كل بلاد العرب ونشروها بينهم ففعلت في نفوسهم وقلوبهم جداً وبالاجمال يقال ان الآيات التي انزلت في مكة كانت تذهل العرب وتدهشهم بفصاحتها و بلاغتها وكانوا يلتذون جداً بسمعها ونقلها والآيات التي انزلت بعدها في المدينة كانت لايضاح وتفصيل الآيات التي انزلت في مكة او لبيان الفروض الدينية اوكانت اخباراً عن الانبياء السالفة ولم يكن في نية الرسول (صلعم) جمع الآيات كلها في كتاب واحد بل كان ينوي ان تطبع في قلوب المؤمنين ولما أراد الخليفة ابو بكر بعد

(١) قطعة من الحبل (٢) طبع العلامة بتنر Bitner في فينا سنة ١٨٩٦ م القصيدة الاولى من ديوان العجاج

وفاةالنبي(صلعم)جمعهالم يجدمنهامكتوباً الاالقليل على صحف من سعف النخل والجلود وعظام الجمال فاعتنى بجمع كل ذلك وامر بكتابة الباقي عن حفظة القرآن لئلا يذهب شيء منه بموتهم اذ كانوا عرضة للقتل في الجهاد . وجعل كل ذلك عند حفصة ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان ووقع الخلاف في قرآة القرآن الشريف بين حفظته امر الخليفة زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام من كبار الصحابة بان يجمعوا كل ما كان عند حفصة من الصحف وينسخوها ويرتبوها واذا اختلفوا في قراءة شيء منها فيكتبوه بلغة قريش فلما اتموا ذلك وعملوا عدة نسخ ارسل الخليفة عثمان الى كل مصر من الانصار الاربعة بنسخة واصدر امره بالاعتماد عليها وحدها فقط ويحرق ما سواها من النسخ وكان ذلك بين سني ٦٤٥ و٦٥٠م والنسخ التي وصلت الينا من القرآن هي جميعها منسوخة عن النسخ التي امر الخليفة عثمان بضبطها . ويسمى القرآن الشريف بالفرقان والذكر والتنزيل والمصحف والكتاب ويحتوي على ١١٤ سورة في كل سورة عدة آيات تختلف بين الثلاث آيات كسورة النصر ومائتين وست وثمانين آية كسورة البقرة وقسموها ايضاً الى اجزاء متساوية فهي ثلاثون جزءاً وقسم بعضهم كل جزء الى اربعة احزاب فالقرآن الشريف هو اول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب وذلك لانه على اساسه وضع علم الكلام وعلم الفقه ولاجل فهمه وضبط قرآءته اعتنت العلماء بجمع اشعار شعراء الجاهلية ودرسها وبناء عليه وعلى اشعار الجاهلية وضع علم الصرف والنحو وعلم المعاني والبيان وعلم اللغة وفي جميعها يستشهد بآيات من القرآن وعدا ذلك لا يمكن فهم كثير من مصنفات علماء العرب بدون درس القرآن ومعرفته التامة

ونختم هذا الباب بذكر طبعات وترجمات القرآن الشريف فاول طبعة ظهرت في اوربا في فينيسيا سنة ١٥٣٠ والثانية في غمبرغ سنة ١٦٢٤ ثم في پادده سنة ١٦٩٨ وفي بطرسبرج سنة ١٧٨٧ وفي قازان سنة ١٨٠٣ وبعد ذلك طبع عدة مرات في القسطنطينية وطهران وتبريز وكلكته وعدة مدن اخرى في اوربا وآسيا واول ترجمة هي ترجمة بيلياندر الى اللغة اللاتينية سنة ١٥٤٣ ثم ترجم القرآن الى كل لغات اوربا تقريباً

آداب العرب بعد ظهور الاسلام

ان علماء العرب انفسهم يقرون بالاولية في الشعر للشعراء الذين عاشوا في زمن الجاهلية فان اشعارهم قد انتشرت بالرواية في كل بلاد العرب فساعدت على تحسين أخلاقهم وتربيتهم وذلك لان شعرآءهم كانت تحمد الشجاعة والصبر عند الشدائد والضيافة والجود وغير ذلك من كرم الاخلاق فلما جاء الاسلام جمع قبائل العرب كلها في شعب واحد وفتح لهم بابا واسعاً للحضارة .ولكن الحروب الخارجية التي قامت لانتشار عزّ الاسلام والفتن الداخلية في مدة الجيل الاول للهجرة اشغلت العرب عن الشعر وكذلك التغيير الذي جرى في زيّ عيشهم وفي سياستهم كان سببا آخر لكساد سوق الشعر أيضاً فعوض الشعرآء المستقلين الذين كان عزّ جهدهم اكتساب الشهرة والمجد بين قبائلهم قامت شعرآء تمدح الخلفاء والامرآء وتنتظر منهم النعم والصلات فاننا نعلم من التاريخ ان الخليفة امير المؤمنين عثمان عين لعدة شعرآء صلات كانوا ينالونها من بيت المال .

وجعلت الناس بعد ظهور الاسلام تدرس وتحفظ شعر شعرآء الجاهلية باجتهاد كلي وصارت شعرآؤهم تعدها انموذجاً لهم في الشعر وتجري على نسقها ولكن كثيرين منهم لم يصلوا الى ما وصل اليه اولئك من السبق الى المعنى والبساطة ورنة الشعر مع ذلك فانهم زينوا اشعارهم بالتشبيهات الدقيقة والاستعارات المناسبة وانواع البديع الجميلة حتى ان روح الشعر القوي في العرب ظهر بقوة جديدة في اشعارهم رغما عن كل الموانع والعوائق لذلك وان كانت اشعارهم دون اشعار الجاهلية الّا ان لها فضائل عديده ومزايا لا يمكن ان يغض عنها النظر [1] فنهم الاخطل وجرير والفرزدق

---

(١) هذا رأي العلامة غرغاس وغيره من علماء الشرق والمستشرقين اما نحن فنقول ان شعرآء الجاهلية كان بين شعرهم الحسن والمستحسن والروي ولم يصل لنا منه بالرواية الا الحسن والباقي ضاع واما الشعراء الذين عاشوا بعد ذلك فقد تركوا لنا جميع ما قالوه من الشعر وقد وصل الينا كله بالكتابة الحسن والمستحسن والروي فلذلك عند مقابلة شعر الجاهلية الذي كله حسن مع الروي من شعر غيرهم يكون الفضل للاول ولكن لو قابلنا الحسن من شعر الجاهلية مع الحسن من شعر

من شعرآء بني أمية (من سنة ٦٨٥ الى سنة ٨٠٩ م) وابو نواس شاعر الخليفة العباسي هارون الرشيد (من سنة ٧٨٦ الى سنة ٨٠٩ م) و بعده ابو تمام والبحتري وفي الجيل العاشر المتنبي وابن هاني وغيرهم كثيرون .

وقبل ان نبدأ بالكلام عن كل شاعر منهم على حدته نذكر هنا بالاختصار طبقات الشعرآء حسب ازمانهم وشيئاً عن ترتيب دواوينهم اي مجموعات اشعارهم فنقول :

ان بعض علماء الادب يقسمون الشعراء الى طبقتين القدماء والمتقدمين وهم الذين عاشوا قبل دخول الجيل الثاني من الهجرة والمحدثين وهم الذين عاشوا بعد ذلك و بعضهم يقسمونهم الى اربع طبقات : الجاهليين وهم الذين عاشوا قبل الاسلام والاسلاميين وهم الذين عاشوا في مدة ظهور الاسلام الى آخر الجيل الاول من الهجرة والمولدين وهم الذين ولدوا في الاسلام فامام الجاهليين امرؤ القيس وامام الاسلاميين ذو الرمة وامام المولدين ابو نواس واخيراً المعاصرين او العصريين وهم شعرآء الجيل الحاضر وزاد بعضهم طبقة خامسة المخضرمين وهم الذين ادركوا من الجاهلية واسلموا كحسان وكعب.

اما دواوينهم فهي مرتبة اما حسب ترتيب حروف المعجم فيضعون القصائد التي قافيتها الالف اولا ثم التي قافيتها الباء ثم التي قافيتها التاء وهلم جراً واما حسب تاريخ نظمها واما حسب معناها فيقسمون الديوان الى ابواب لكل باب موضوع مخصوص و يضعون كل قصيدة في بابها والطريقة الاولى شائعة اكثر من غيرها وانسب من وجه واحد وهو انها تسهل للمطالع البحث على بيت شعر من قصيدة اذا كان يذكر قافيته ووزنه والطريقة الثانية موافقة من وجه آخر وهي انها تسهل على المحقق البحث في كيفية نجاح الشاعر وتقدمه وهذا حسن جداً خصوصاً اذا كان الديوان مصحوباً بترجمة الشاعر كما يصنع ذلك كثيرون من المصححين . والطريقة الثالثة انهم يقسمون القصائد والقطع الى ابواب مخصوصة لا تزيد غالباً عن العشرة وهي (١) الفخر او الحماسة (٢) المديح والتهاني (٣) المراثي (٤) الهجاء (٥) الغزل والنسيب (٦) الخمريات (٧) العتاب (٨) الاوصاف

غيرهم لقلنا ان شعر هؤلاء اسلس العبارة ارق واطن واعمق في المعنى واوسع دائرة وخصوصاً شعر اهل الاندلس .

(٩) الطرويات (١٠) الزهد . وهذه الابواب ليست كلها في كل ديوان لان كل شاعر كان ينظم القصائد على حسب ذوقه فلذلك نرى في بعض الدواوين ابواباً لا توجد في غيرها .

اما (الحماسة) فهي الفخر بالشجاعة والتحريض على اتيان المآثر الحميدة ووصفها وقد يفتخر الشاعر اما بنفسه او بمآثر اخر من ابناء قبيلته او بمآثر قبيلته واشعار الحماسة كثيرة في الجاهلية والاسلام وذلك لان من طبع العرب الافتخار بجنسيتهم فلذلك نراهم يحمدون ويفتخرون بفضائل ومآثر ابطالهم ليعود ذلك على القبائل التي منها اولئك الابطال .

اما (المديح) فهو قصائد موضوعها مدح فضائل ومآثر خليفة او ملك او امير او بطل او رجل مشهور ويقترب نوعاً من الحماسة وهذا الباب من الشعر انتشر كثيراً في ايام الخلفاء من بني أمية والعباسيين وقصائده اطول من قصائد غيره من ابواب الشعر واكثر عدداً حتى انه قلما يوجد شاعر لم ينظم شعراً في المديح ومن كثرة اعادة المعاني في هذا الباب نرى ان كثيرين من الشعراء المتأخرين جعلوا يستعملون الاستعارات والتشبيهات الغريبة حتى صار معنى بعض ابياتهم معقداً

و (الهجاء) وهو ضد المديح وموضوعه ذم العدو وذله والشعراء في قصائدها من هذا الباب تعيب الاعداء بالجبن والرذالة والبخل ودناءة الحسب والنسب وغير ذلك من الصفات التي تذل الرجال وتحط بقدرهم واعلم ان كثيرين من الشعراء يوجهون سهام هجائهم الى صفات الانسان الذاتية فلذلك ترى ان اشعارهم ليست الا نظماً مملوءاً من الشتم الرذيل ولا ننكر ان بعضهم كانوا يوجهونها نحو الاعيان والاكابر حتى نحو الخلفاء والامراء ايضاً

واما (الغزل) والنسيب فهو التشبب بالجمال والحسن وبالحب ووصف الخمر ويوجد فرق واضح بين الغزل في الجاهلية والاسلام اولاً انه ليس بين شعر الجاهلية قصيدة كلها غزل وثانياً انك لا تجد بيتاً الا من النادر تستحي من نشده العذراء خلافاً للغزل بعد الجاهلية الا انه يستثنى منه شعر الاندلسيين فانهم يخالفون شعراء الشرق في رقة المعنى وطهارته والاحترام للمرأة فيشبهون بذلك شعراء الجاهلية والشعراء الاوربيين

ووصف الخمر ومدحه الذي نجده في بعض ابيات من شعر الجاهلية مثلاً كقول عنترة العبسي

ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بازهر في الشمال مقدم
فاذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فلا اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

ونضج في الاسلام باباً مخصوصاً يسمى «الخمريات» وفي قصائده تصف الشعراء المكان والزمان اللذين يختاران لشرب الخمر وآنيته والندماء ويذكرون فضائله ويبتدعون بذكر صفاته واسمائه العديدة الا ان الشعراء من اهل السلوك منهم ابن الفارض قد خصصوا للخمر قصائد طويلة رنانة يعنون فيها بالخمر الدين و بالحبيب الذات الالهية ولهم في ذلك باع طويلة وذوق سليم وافكار سامية

و(الطرويات) وهي قصائد مخصوصة بوصف الصيد وآلاته والوحش والطير الذي يصطاد وغير ذلك مما يختص بالصيد والقنص

واما (المراثي) فموضوعها مدح مرحوم صديقاً كان او قريباً او مولىً وتعداد فضائله ومآثره والبكاء عليه والتأسف على فقده . وان تكن مراثي الجاهلية قليلة الابيات الا انها افعل في النفس واشد عبارة من مراثي المتأخرين ومن احسن مراثي الجاهلية شعر الخنساء [١] قالته في موت اخيها صخر وكذلك في الاسلام شعر الملك المعتضد بالله امير قرطبة واشبيلية الذي عزل عن الملك ونفي من بلاده وحبس فقال الشعر يتأسف به على ضياع اصحابه واقاربه وملكه

ثم (الزهد) ومعناه النسك وترك لذات الدنيا وفي قصائد هذا الباب من الشعر ينشد الشاعر ندامته على ما فعل من الذنوب والخطايا وتوبته عنها وعن كل لذات الدنيا وفتنها ويدعو الى الله بقلب تائب ويصلي اليه ليغفر له ويرحمه . وهذا الباب من الشعر

(١) طبع في بيروت سنه ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ ويسمى انيس الجلساء في ديوان الخنساء ملحقاً بشعر خرنق اخت طرفة وبترجمة فرنساوية . وطبع ايضاً في مصر

لم يكن معروفاً عند الجاهلية لكنه نشأ في الاسلام ومن افضل الشعراء في هذا الباب الخليفة علي بن ابي طالب ثم ابو العتاهية ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم .

ولننظر الآن الى ما جاء به الشعراء بعد ظهور الاسلام فنقول :

ان النبي (صلعم) لم يحب الشعراء واوضح دليل على ذلك قوله في امرئ القيس انه احسن الشعراء وقائدهم الى الجحيم ولكنه لما عرف ما لهم من القوة والتأثير على العرب سمح للشعراء من اصحابه ان يردوا عنه أسهم اشعار اعدائه مثل ورقاء بن مالك وكعب بني اشرف وغيرهما ومن اصحاب الرسول من الشعراء :

١ً (حسان بن ثابت) ويكنى بابي عبد الرحمن الانصاري توفي سنة ٦٧٣ م وقد كفّ بصره قبل موته . قيل انه عاش مئة وعشرين سنة ستين منها في الجاهلية وستين في الاسلام وقيل لما كان اهل مكة يعيرون الاسلام ويهجون صاحبه أذن الرسول لحسان ان يحمي اعراضَ المسلمين فقال القصائد في ذلك وكثير من شعره في السيرة النبوية لابن هشام وفي كتاب الحماسة وكتاب الاغاني [1] وغيرها من كتب مجموعات الادب

٢ً (كعب بن زهير) المزني وقد تقدم الكلام عن ابيه وكان ابوه احد اصحاب المعلقات اما كعب فكان اولاً من اعداء الرسول وقد قال فيه الشعر يهجوه ويهجو اصحابه ثم اسلم بعد ذلك واعتذر في قصيدة مطلعها :

بانت سعاد وقلبي اليوم مبتول متيمٌ عندها لم يجز مكبول

ومنها

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وانشد كعب هذه القصيدة للنبي بحضور المهاجرين والانصار فوهبه النبي وشاحه واشترى هذا الوشاح بعد ذلك الخليفة معاوية بعشرين الف دينار [2] .

(١) انظر الجزء الرابع صفحة ١ طبع مصر (٢) وقد طبع هذه القصيدة العلامة فرتيغ سنة ١٨٢٢ وسماها : Caab ben Zohair Carmen ثم طبعها مع شرح ابن هشام العلامة جويدي Guidi في رومية وطبعت في القسطنطينية وبولاق وكلكته ولها شروح كثيرة انظر كتاب الظنون لحاجي خلفا المجلد لرابع نمرة ٩٤٤٧

٣ً الخليفة امير (المؤمنين علي بن ابي طالب) توفي سنة٦٦٣ م وقد اشتهر في الجيل الاول من الهجرة بعلمه وشعره وله مجموع مئة حكم ترجم الى الفارسية والتركية وكتاب نهج البلاغة وهو مجموع خطب ومواعظ وينسبون له ديوان شعر يدعى انوار العقول والصحيح ان بعض هذه الحكم والمواعظ والعقائد هو من تأليف ونظم الخليفة علي ولكن اكثرها حسبما يظن المحققون من العلماء فهو من قلم احد الشعراء من نسله وهو الامام شريف مرشد المتوفى سنة ١٠٤٤ م [١]

شعراء بني أمية

قلما تداخلت الخلفاء من بني أمية في المسائل الدينية التي شغلت في ايامهم عقول كثيرين من اهل العلم والادب ولكن اكثرهم اشتهروا في حبهم للشعر وكانوا بعد انتهاء اشغالهم اليومية من سياسة المملكة وشأن الدولة والنظر الى دعاوي الناس يخصصون بقية اوقاتهم للشعر والغناء والرقص وغير ذلك من انواع الملاهي فان الخليفة يزيد ابن معاوية (تولى الخلافة من سنة ٦٨٠ م الى ٦٨٥) كان يحب اللهو والطرب جيداً وله ديوان شعر في غاية الرقة وكذلك الخليفة عبد الملك (تولى الخلافة من سنة ٦٨٥ الى سنة ٧٠٥ م) وهو الذي أمر بان تكون لغة الحكومة في كل المملكة اللغة العربية واجراها في جميع الدواوين فانه كان يحب الشعراء ويصلهم وكذلك كل رجال دولته منهم امراء بني المهلب وغيرهم كانوا يقتدون بالخلفاء ويصلون الشعراء بصلات جزيلة فلذلك كثرت الشعراء في ايام بني أمية . وكانوا كانهم حلقة سلسلة متوسطة بين شعراء الجاهلية والمتأخرين وهم يشبهون كثيراً شعراء الجاهلية في ذوقهم واساليبهم ومن مشاهير شعراء بني أمية الاخطل وجرير والفرزوق وكانوا متعاصرين

---

(١) وقد طبعت حكمه عدة مرات في اوربا منها طبعة العلامة فليشر وتسمى ' Alis Hundert Sprüch ,, وبعد طبع العلامة كاوبر سنة ١٧٤٥ بعض اشعاره في مجموع سماه " Ali ben Abi Tabib carmina ,, ومن شروح ديوانه العديدة طبع واحد في القاهرة سنه ١٨٤٠ ويدعى شرح ديوان سيدنا علي بن ابي طالب وقد طبعت حكمه وكتاب نهج البلاغه طبعه حجر عدة مرات في تبريز

اما (الاخطل) فهو اولهم قال ابو عمرو الشيباني (وهو احد علماء اللغة عاش في ايام هارون الرشيد) لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه احداً وكذلك يونس النحوي كان يفضل الاخطل ويقول درست شعر الاخطل وجرير والفرزدق وتدققت وبحثت فيه فوجدت عشر قصائد للاخطل لا سقط ولا فحش فيها واما باقي قصائده فهي اوطى منها درجة وفي شعر جرير وجدت ثلاث قصائد تعادل قصائد الاخطل المشار اليها ولم اجد قصيدة واحدة الفرزدق تساويها ولكن لو ضاع شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة العربية . وكان جرير يقول ادركت الاخطل وله ناب واحد ولو ادركته وله نابان لأكلني واسم الاخطل غياث وقال بعضهم غوَيث بن غوث من بني مالك التغلبي ويكنى ابا مالك ولقب بالاخطل ومعناه السفيه وكان نصرانياً وامدح الشعراء لكريم واوصفهم لخمر واخبثهم هجاء في عفاف من الفحش وكان يقول ما هجوت احداً قط بما تستحي العذراء ان تنشده اياه وكان الاخطل يدخل على الخليفة عبدالملك بغير اذن وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة من ذهب فيها صليب ذهب وكان له مقام عظيم بين العرب يرضون بحكمه ويهابونه ويكرمونه ومع ذلك فانه كان يذل لقسه ويطيعه ويتمم اوامره . وكان الاخطل في صباه فقيراً فوفد من الجزيرة الى دمشق ووقف بباب معاوية وانشده قصيدة يهجو بها الانصار فغضب عليه معاوية فطلب يزيد ان يعفو عنه فابى الا ان تعفو الانصار فطلب اليهم يزيد فعفو عنه والى ذلك يشير الاخطل بقصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية مطلعها :

صحا القلب الا من ظعائن فاتني بهن اميرٌ مستبدٌ فاصعدا

ومنها

ولولا يزيد بن الملوك وسيبه تجللت حدباراً من الشر انكدا
وكم انقذتني من جرور حبالكم وخرساء لو يرى بها الفيل بلدا
ودافع عني يوم جلق غمرة وهماً ينسيني السلاف المهوّدا
وبات نجياً في دمشق لحيةٍ اذا عضَّ لم ينم السليم واقصدا

وتوفي الاخطل طاعناً في السن سنة ٩٥ هجريه ووصل الينا من ديوانه نسخة واحدة خطت في الجيل السابع من الهجرة توجد في مكتبة المعرض الاسيوي في بطرسبرج

قد اعتنى بطبعها الاب انطون صالحاني في بيروت سنة ١٨٩١ .

ومن ظريف شعر الاخطل قوله :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الاعمال

وقد سمع هذا البيت من الاخطل هشام بن عبد الملك فقال له هنيأ لك يا ابامالك هذا الاسلام فقال يا امير المؤمنين ما زلت مسلماً في ديني .

(جرير) بن عطية بن الخَطَفي واسمه حذيفة بن بدر من كليب بن يربوع (تميم) والجرير الحبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة والزمام وسمي جريراً «ابوحزرة» لان امه رأت في منامها وهي حبلى به كانها ولدت جريراً من شعر اسود فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فزعة فاولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس فسمته جريراً وكان معاصراً للاخطل ولكنه اصغر منه سناً وللفرزدق واحسن قصائد وهي التي يهجو بها الفرزدق او يردّ بها على هجائه وقد جمعت قصائدهما هذه في كتاب واحد وتسمى بالنقائض وكل قصيدة منها هي على وزن وقافية القصيدة التي ترد عليها واعلم ان شعراء ذلك العصر اتفقوا على هجاء جرير بعضهم حسداً له على منزلته عند الخلفاء و بعضهم كانوا يتعارضون له لكي يهجوهم فيكتسبوا بذلك شهرة ومن ظريف اخباره ما رواه صاحب الاغاني قال « ان رجلاً قال لجرير «من اشعرالناس» قال له «قم حتى اعرفك بالجواب » فاخذ بيده وجاء به الى بيت ابيه عطية وقد اخذ عنزاً لها فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به « اخرج يا ابت » فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال « اترى هذا » قال « نعم » قال « أو تعرفه » قال « لا » قال « هذا ابي أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز» قال « لا » قال « مخافة ان يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن » ثم قال « اشعرالناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً» . وكذلك ما اورده صاحب الاغاني عن محمد بن سلام قال العلاء بن جرير العنبري وكان شيخاً قد جالس الناس «اذا لم يجيء الاخطل سابقاً فهو سكيت والفرزدق لايجيء سابقاً ولا سكيتاً وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيتاً»[1] واورد

(١) شبه الشعراء الثلاثة بخيل السباق . فالسابق الذي يصل قبل الآخرين الى

صاحب الاغاني ايضاً عن محمد بن سلام قال رأيت اعرابياً من بني أسيد اعجبني ظرفه وروايته فقلت له ايهما (أي جرير والفرزوق عندكم) اشعر قال بيوت الشعر اربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وفي كلها غلب جرير قال في الفخر :

اذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله :

ألستم خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله :

فغضِّ الطرف انك من نميرٍ   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله :

ان العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له   وهنَّ اضعف خلق الله اركانا

وامتدح جرير يزيد بن معاوية وعبد الله بن مروان وغيرهما من خلفاء بني أمية وكانت صلاتهم تصل اليه ومدح الامراء منهم الحجاج بن يوسف والي الكوفة وغيره ومن ظريف ما حكاه صاحب الاغاني رواية عن محمد بن سلام قال حدثني ابو العراف قال :

قال الحجاج لجرير وللفرزدق وهو في قصره بجريّ البصرة أتياني في لباس ابائكما في الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة وشاور جرير دهاة بني يربوع فقالوا له ما لباس ابائنا الا الحديد فليس جرير درعاً وتقلد سيفاً واخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنجاز واقبل في اربعين فارساً من بني يربوع وجاء الفرزدق في هيئته فقال جرير :

لبست سلاحي والفرزوق لعبة   عليه وشاحا كرج [1] وخلاخله
اعدُّوا مع الخز الملاء فانما   جريرٌ لكم بعل وانتم حلائله

ومن ظريف شعر جرير في الفخر قوله :

---

(١) مهر مكان الرهان والمصلي الذي يصل بعد السابق والسكيت هو الاخير .

ان الذي حرم المكارم تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا
مضرٌ ابي وابو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من اب كابينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الي قطينا

وقد شاع شعر جرير بين الناس في عصرة وحفظوه وانشدوه وتغنوا به حتى ان سكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب كانت من الذين يفضلون شعره على شعر الفرزدق وقد حفظت منه شيئاً كثيراً ويقال ان جريراً عاش ثمانين سنة فلما بلغه موت الفرزدق بكى وقال اما والله لانني قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحداً وكل منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد او صديق الاوتبعه صاحبه . وتوفي جرير بعد الفرزدق بنصف عام وذلك سنة ٧٢٨ م [1] .

(الفرزدق) ابو فراس همام بن غالب بن صعصعة من دارم من تميم والفرزدق لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم او القطعة من العجين وهي كلمة معربة من الفارسية بار زاده ولقب بها لانه كان غليظاً جهم الوجه وكان جدة صعصعة اشتهر في الجاهلية بمكرمة لم يسبقه احد اليها من العرب وذلك انهم كانوا يدفنون البنات عند ولادتهن (ويسمون ذلك وأداً والمدفونة وئيداً او وئيدة) اذا اصابهم جدبٌ فكان صعصعة يأتي الى ابي البنت العازم على وأدها ويبتاعها منه بناقتين وجمل ويأخذ عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت حتى تبين او يدركها الموت وجاء الاسلام وقد فدى صعصعة ثلاثمائة موؤودة وقيل اربعمائة وقد افتخر الفرزدق بجده في عدة قصائد منها القصيدة التي مطلعها :-

ابي احد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر
اجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم انه غير مخفر
على حين لا تحيا القنات واذ هم عطوف على الاصنام حول المدور
انا ابن الذي رد المنية فضله فما حسب دافعت عنه بمعور
وفارق ليل في نساء اتت ابي تمارس ريحا ليلها غير مقمر

[1] راجع كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان طبعة مصر الجزء الاول صفحة ١٠٢ وكتاب الاغاني لابي الفرج طبعة مصر الجزء السابع من الصفحة ٣٧ الى ٧٧

فقالت اجر لي ما ولدت فانني اتيتك من هزل الحمولة مقتر
رأى الارض منها راحة فرمى بها الى جدد منها الى شر مخفر
فقال لها فئي فاني بذمتي لبنتك جارٍ من ابيها القنوّر

وقال ايضاً

وَجدي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد

وكان صعصعة هذا شاعراً ايضاً وهو الذي يقول :

اذا المرؤ عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدنا مصافيا
فلا تسألني عما لديه فانه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

وأما ابوه غالب بن صعصعة فقد اشتهر بالجود والكرم وفيه يفتخر الفرزدق بقوله :

واذا ناديت كلب على الناس ايهم احق تباج الماجد المتكرم
على نفرهم من نزار ذوي العلا واهل الجراثيم التي لم تهدم
فلم يميز عن احسابهم غير غالب جزى لعنان كل ابيض خضرم

ولد الفرزدق في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤١ م واتى به ابوه غالب بعد واقعة الجمل الى امير المؤمنين علي ابن أبي طالب بالبصرة فقال ان بنيَّ هذا من شعراء مضر فاسمع منه قال علمه القرآن فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى ان لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن وحفظه ومات غالب في اول ايام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه :

لقد ضمت الاكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب

ونشأ الفرزدق في البصرة ولكنه خرج منها الى الكوفة هارباً خوفاً من والي العراق زياد بن سفيان وكان حاقداً عليه لكثرة هجائه الناس وخصوصاً بني نهشل وكان سعيد منهم ثم هرب منه الى المدينة وكان العامل فيها من قبل معاوية سعيد بن العاص فأتاه الفرزدق ملتجأ اليه ومدحه فقبله سعيد وأنعم عليه وعاش الفرزدق في المدينة يقتطف اثمار العيش الطيب ولذات تلك البلدة المشهورة حتى تولى امارة المدينة مروان بن الحكم وكان لا يحب الفرزدق لهجوه ورديءُ سيرته واجتمع الى مروان اهل المدينة وشكوا اليه سفه الفرزدق وما قاله من الاشعار في نسائهم وحرمهم فاجمعوا على حده وطرده من

المدينة فلما علم بذلك الفرزدق خرج هارباً حتى اتى سعيد بن العاص واخبره بالخبر وكانت عنده حينئذٍ أولاد علي بن أبي‌طالب واحفاده فاعطاه كل واحد منهم مئة دينار وراحلة.وساعدوه على السفر من المدينة فرحل عنها متوجهاً الى مكة وأخبر في طريقه بموت زياد بن سفيان فرجع الى البصرة آمناً واتى عبيد الله بن زياد وامتدحه فقبله عبيد الله ووصله

والمشهور من اخبار الفرزدق سيرته مع امرأته النوار نوردها هنا من كتاب الاغاني ان رجلاً من بني امية خطب النوار بنت اعين المجاشعية فرضيته وجعلت امرها الى الفرزدق فقال اشهدي على نفسك شهوداً ففعلت واجتمع الناس لذلك فقال الفرزدق لقد أشهدتكم النوار انها جعلت امرها لي وانا اشهدكم انني قد تزوجتها وأصدقتها كذا وكذا فانا ابن عمتها واحق بها فبلغ ذلك النوار فابته واستترت منه فالح عليها فجزعت ولجأت الى بني قيس ثم الى غيرهم ولم يزل يتتبع الفرزدق بالهجاء من كانت النوار تلجأ اليهم حتى اتت اخيرًا مكة ونزلت خولة بنت منظور زوجة عبد الله بن الزبير واستشفعت بها اليه فانضم الفرزدق الى حمزة بن عبد الله واستشفع به الى ابيه فجعل امر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى حتى حكم عبد الله على الفرزدق وامره أن يختار اما طلاقها واما النفي الا أن النوار اذنت بعد ذلك لعبد الله بتزويجها بالفرزدق على مهر عشرة آلاف درهم فتزوجها واصطلحا وتزوجت به ورضيت به وولدت له الاولاد ولكن سعادتها لم تدم فانه خرج بها من مكة وكانت في الطريق تخالفه وتعيبه على افعاله لانها كانت حسنة الدين وتكره كثيرًا من امره فتزوج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام وكانت هذه اعرابية نصرانية وكان ذلك سبباً للنزاع بينهما فان النوار جعلت تلومه وتعيره بها وهو يفضل حدراء عليها وقال في ذلك الاشعار الكثيرة فلما ضاق صبرها بعثت الى جرير فجاءها فشكت اليه امرها فاخذ جرير يهجو الفرزدق ويعير قبيلة حدراء والفرزدق يجيبه فاشتدت العداوة والهجاء بينهما وما زال جرير يهجو الفرزدق وحدراء وقبيلتها حتى امتنع اهل حدراء ان يحملوها الى الفرزدق وقالوا له انها ماتت كراهة ان يهتك جرير اعراضهم وبعد ذلك تزوج الفرزدق على النوار رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع امها الحيضة من بني الحارث ثم طلقها لمنافرة امها له وهجا امها ايضاً

ولم تزل النوار ترفقه وتستعطفه حتى اجابها الى طلاقها واخذ عليها ان لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلاً بعده ولا تقطع من مالها ما كانت تبذله له واخذت عليه ان يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ثم ندم على ذلك وقال :

ندمت ندامة الكسعي لما ... عدت مني مطلقة نوارُ

ولو اني ملكت يدي وقلبي ... لكان علي للقدر الخيار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين اخرجه الضرار

وكنت كفاقئ عينيه عمداً ... فاصبح ما يضيئ له النهار

وقد اجمع اهل الادب على ان الفرزدق لم يكن سفيها فقط بل كان ردئ السيرة ايضاً ويعد له مكرمة واحدة وهو حبه الشديد لآل علي بن أبي طالب فانه لم يرده عن ذلك سطوة بني امية وكان يجاهر في ذلك ومما يدل على ذلك ما حكاه صاحب كتاب الاغاني أولاً :

لقي الفرزدق الحسين بن علي متوجهاً الى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين ما وراءك قال يا ابن الرسول انفس الناس معك وايديهم عليك فقال ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني . فلما قتل الحسين قال الفرزدق فان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تتغير لم يزدها الله الا ذلاً الى آخر الدهر وانشد :

فان انتم لم تثأروا لابن خيركم ... فالقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

ثانياً روى : لما حج هشام بن عبد الملك في ايام ابيه فطاف وجهد انْ يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من اهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام فيملكوه وكان الفرزدق حاضراً فقال انا اعرفه فقال الشامي ومن هو يا ابا فراس فانشد يقول قصيدة يمدحه :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هـذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العـلم

وهي سبعة وعشرون بيتاً فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وامر بحبس الفرزدق بين مكة والمدينة فقال :

أتحبسني بين المدينـة والتي   اليهـا قلوب الناس يهوى منيعها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد   دعينا له هؤلاء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فاطلقه :

وشعر الفرزدق كثير الاساليب ومقبول عند الناس ودارج على السنتهم الى ايامنا ومما يعاب فيه انه كان يسرق الشعر من غيرة وينسب لنفسه فمن ذلك ما حكاه صاحب الاغاني ناسباً ذلك الى طلحة بن عبد الله بن عوف قال لقي الفرزدق كثيراً (وكان شاعراً ايضاً) بقارعة البلاط وانا وهو نمشي نريد المسجد فقال له الفرزدق يا ابا صخر (كنية كثير) انت انسب العرب حين تقول:

اريد لانسى ذكرها فكانها   تمثل لي ليـلى بكل سبيل

يعرض له بسرقته (البيت) من قوله (الشاعر) جميل [1] فقال له كثير وانت يا ابا فراس افخر الناس حين تقول :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

وهـذا البيت لجميل سرقه الفرزوق

واورد صاحب الاغاني حكاية اخرى قال مر الفرزدق بابن ميادة [2] وهو ينشد

لو ان جميع الناس كانوا بربوة   وجئت بجدي ظالم بابن ظـالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا   سجوداً على اقدامنـا بالجماجم

فسمعه الفرزدق فقال اما والله انا ابن الفارسيه لتدعنه لي او لانبشن امك من قبرها فقال له ابن ميادة خذه لابارك الله لك فيه فقال الفرزدق :

---

(١) نسب جميل واخباره انظر كتاب الاغاني الجزء السابع من صفحة ٧٧ الى ١١٠ (٢) اخبـار ابن ميادة ونسبه انظر كتاب الاغاني الجزء الثاني من صفحة ٨٨ الى ١٢٠

لو ان جميع الناس كانوا بربوة وجئت بجدي دارم بن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على اقدامنا بالجماجم

وتوفي الفرزدق من مرض ذات الجنب سنة ٧٢٨ م وله من العمر سبعون سنة وترك عدا كتاب النقائض المشار اليه عدة قصائد في المدح والعتاب والهجاء وقطع كثيرة (١)

شعراء بني العباس

مما لم تكن الخلفاء العباسيون باقل مما كانت عليه خلفاء بنو امية من حب الشعر والشعراء والغناء والمغنيين والموسيقى والموسقيين فان بلاطهم كان مجلساً للعلماء والشعراء وكانوا ينعمون اليهم ويكرمونهم وكذلك الخاصة من حواشي الخلفاء من وزراء وحجاب وامراء وحكام البلاد العديدة التي استولى عليها العباسيون كانوا يقتدون بالخلفاء ويقربون اليهم الشعراء ويكرمونهم ويصلونهم .وكثرت انعاماتهم حتى قيل انهم اسرفوا في الانعامات يقال ان الشاعر ابا تمام نال خمسين الف دينار جزاءً على قصيدة مدح فيها ابا دلافة احد قواد الخليفة المأمون والحق يقال ان هذا الاكرام والانعامات جلبت على الشعر انحطاطاً ظاهراً وذلك لان الشعراء صاروا خدمة للخلفاء والامراء متعلقين بهم اذ كانوا يكسبون رزقهم منهم فصاروا يمدحونهم حيث لا يليق المدح فحط ذلك كثيراً في قدر الشعر ولكن انقسام الخلافة العباسية الى امارات كثيرة مستقلة في الجيل التاسع وقى الشعر من السقوط التام ومن انقياد الشعراء الى اهواء الحكام والامراء فان كثيرين من الامراء المستقلة كانوا يجتهدون ان يجذبوا الى بلاطهم احسن الشعراء ويدفعون لهم الاموال الجزيلة فارتفع قدر الشعر حينئذ اذ لم تكن الشعراء تحت ساطة الحكام بالتمام . ولذلك ترى دواوين شعراء ذلك العصر مختلفة الفحوى ومواضيعها كثيرة بالنسبة الى دواوين الشعراء

(١) وقدطبع ديوانه العلامة الفرنساوي بوشير Boucher(عن نسخة محفوظة في جامع ايا صوفيا في القسطنطينية) مع ترجمة الى اللغة الفرنساوية في باريز سنة ١٨٧٠ م وكثير من اشعاره في كتاب الاغاني لابي فرج الجزء الثامن من صفحة ١٨٦ الى ١٩٧ وفي الجزء التاسع عشر صفحة ٢ الى ٥٢ وفي كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ١٩٦ وفي غيرهما من كتب الادب

المتقدمين وشعرهم بديع سلس العبارة ولكن ليس فيــه تلك القوة والبساطة والبداهة التي كانت لشعر الجاهلية .

شعراء القرن الثامن

١ — أبو مُعاذ بشّار بن بُرد الضرير

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو بشّار بن برد بن برجوخ توفي في خلافة المهدي سنة ٧٨٣ م امتدح الخلفاء من بني امية والعباسيين وهو كانه حلقة بين سلسلتين شعراء العصرين المذكورين وقد اورد صاحب الاغاني ٢٦ جدًّا لبشار اسماؤهم كلها عجمية وجده برجوخ من طخارُستان من سبي المهلَّب ابن ابي صفرة وكان ابوه بُرد من فيء خيرة القشيرية امرأة المهلَّب وكان مقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة بخيرفان فوهبت بُرداً بعد ان زوجته لامرأة من بني عُقيل كانت متصلة بها فولدت له امرأته وهو في مُلكها بشاراً فاعتقته ولذلك يقال لبشار العقيلي . بعد ذلك صار بردٌ طيـاناً يضرب اللبن حاذقاً بالتطيين وكان يقول ما رأيت مولوداً اعظم بركة من ابني بشار ولقد ولد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم ولم يمت بُرد حتى قال بشار الشعر ومما يحكى عنه انه كان اذا هجا قوماً جاؤا الى ابيه فشكوه فضربه ضرباً شديداً فكانت امه تقول له كم تضرب هذا الصبي الضرير اما ترحمه فيقول بلى والله اني لارحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه اليَّ فسمعه بشار فطمع به وقال : يا ابتِ هذا الذي يشكونه مني اليك هو قول الشعر واني ان الممت عليه اغنيتك وسائر اهلي فان شكوني اليك فقل لهم : اليس الله يقول ليس على الاعمى حرج . فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار فانصرفوا وهم يقولون فِقه برد أغيظ لنا من شعر بشار وكان لبشار اخوان بشرٌ و بشير قصابين ولما بلغ بشار في الشعر وصار له مقام بين الناس لم يترك بيت ابيه وكان اخواه يلبسا ثيابه فيوسخونها فاذا لبسها انكر رائحتها فاذا كان في مجلس في تلك الثياب فيقال له ما هذا يا مُعاذ اجاب هـذه ثمرة معاشرة الاخوان. حكى صاحب الاغاني قال حدث محمد بن الحجاج قال كنا مع بشار فاتاه رجل فسأل عن منزل رجلٍ ذكره له فجعل يفهمه ولا يفهم فاخذ بيده وقام يقوّمه الى

منزل الرجل وهو يقول :

اعمى يقود بصيراً لا ابالكمُ قد ضلَّ من كانت العَميانَ تَهديه

حتى صا الى منزل الرجل ثم قال له هذا هو منزله يا اعمى .

وكان بشار شاعراً ذا ذوق سهل العبارة صحيح اللغة وذلك لانه نشأ في البدو بين بني عقيل وكثيراً ما يُستشهد بشعره وكان احسن الشعراء المحدثين ابتداءً من ذلك مطلع قصيدته :

ابى طلل بالجزع ان يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيماً

وبالفرع آثار بقين وباللوى ملاعب لا يعرفن الا توهمَّاً

وما اظرف قوله :

يا ليلتي تزدادُ نُـكرَا من حبِّ ما احببت بكرَا

حوراء اذا نظرت اليك سَقَتكَ بالعينين خمرَا

وله اخبار واشعار عديدة مع امرأة اسمها عبدة منها قوله :

يزهدني في حب عبدة معشرٌ قلوبهمَ فيها مخالفـةً قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب

فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا وألف بين العشق والعاشق الصب

وله ميمية بديعة نظمها لابي مسلم ابراهيم بن عبدالله بن الحسن يحرضه ويشير عليه فلما قتل ابو مسلم خاف بشار ان تشتهر ميميته فقلبها وجعل التحريض فيها على ابي مسلم والمديح والمشورة لابي جعفر المنصور مطلعها :

أبا مسلم ما طيب عيش بدائم ولا سالم عمـا قليل بسالم

وله قصائد عديدة في مدح المهدي وكان المهدي يصله أولاً الا انه كان يأمره ان لا يقول الغزل والنسيب ولكن بشار لم يسمع له وكان سبب موت بشار ما حكاه صاحب الاغاني قال خرج بشار مرة الى المهدي ويعقوب بن داود وزيره فمدحه ومدح يعقوب فلم يحفل به يعقوب ولم يعطه شيئاً ومرَّ يعقوب ببشار وهو يريد منزله فصاح به بشار طال الثواء على رسوم المنزل (يعني طال انتظاره صلة من المهدي ويعقوب

فقال يعقوب فاذا تشاء ابا معاذ فارحل فغضب بشار وقال يهجوه :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

ولما طالت ايام بشار على باب يعقوب دخل عليه وكان من عادة بشار اذا اراد ان ينشد او يتكلم يتفل عن يمينه وشماله و يصفق باحدى يديه على الاخرى ففعل ذلك وأنشد :

يعقوب قد وفد العفاة عشيته متعرضين لسيبك المنتاب
فسقيتهم وحسبتني كمونة نبتت لزارعها بغير شراب
مهلاً لديك فانني ريحانة فاشمم بانفك واسقها بذناب
طال الثواء عليَّ تنظر حاجةً شمطت لديك فمن لها بخضاب
تعطى الغزيرة درها فاذا ابت كانت ملامتها على الحلاب

فلم يعطف ذلك يعقوب عليه وحرمه . فانصرف الى البصرة مغضباً فلما قدم المهدي البصرة اعطي عطايا كثيرة ووصل الشعراء وذلك كله على يدي يعقوب فلم يعط بشاراً شيئاً من ذلك . فجاء بشار الى حلقة يونس النحوي فقال هل ههنا احد يحتشم قالوا له لا فانشأ بيتاً يهجو فيه المهدي فسعى به اهل الحلقة الى يعقوب فدخل يعقوب على المهدي وقال له : يا امير المؤمنين ان هذا الاعمى قد هجاك فقال بأي شيء فقال بما لا ينطق به لساني فامر بضربه حتى مات ثم القي في زورق ورمي في البطيحة في موضع يعرف بالخرارة فحمله الماء فاخرجه الى دجلة البصرة فاخذ وأُتي به اهله فدفنوه و بعد ذلك ندم المهدي على قتله حين لا ينفع الندم (١)

٢ — ابو نواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح المعروف بابي نواس الحكمي كان جدُّ ابي نواس مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ونسبته اليه قيل ان ابا نواس ولد في البصرة سنة ٧٦٢ م ونشأ فيها وقيل انه ولد بالاهوانة ونقل الى

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٨٨ وكتاب الاغاني الجزء الثالث صفحة ١٩ — ٥٢ والجزء السادس صفحة ٤٧ — ٥٣

البصرة وعمره سنتين وكان ابوه هانىء من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني امية وكان من اهل الشام وانتقل الى الاهواز للرباط (اي للملازمة ثغر العدد) فتزوج جلبان فولدت له عدة اولاد منهم ابو نواس قيل ان امه اسلمته الى بعض العطارين في البصرة فرآه عنده ابو اسامة وألبة بن الحباب الاسدي (١) فاستحلاه فقال له «اني ارى فيك مخايل ارى ان لا تضيعها وستقول الشعر فأصحبني فأخرجك» فقال له «ومن انت قال انا ابو أسامة» فقال «نعم أنا والله في طلبك وقد اردت الخروج الى البصرة بسببك لآخذ عنك واسمع منك شعرك» فصار ابو نواس معه فقدم به بغدادوكان ابو نواس درس النحو في البصرة على ابي زيد وابي عبيدةوعاش سنة في البدو ليتقوى في اللغة. ولما قدم بغداد نال صلات الخلفاء ولا سيما هرون الرشيد فانه كان يناديه ويجالسه قال ابو عبدالله الجماز كان ابو نواس اظرف الناس منطقاً واغزرهم ادباً واقدرهم على الكلام واسرعهم جواباً واكثرهم حياء وكان ابيض اللون جميل الوجه مليح النغمة والاشارة ملتف الاعضاء بين الطويل والقصير مسنون الوجه قائم الانف حسن العينين والمضحك حلو الصورة لطيف الكف والاطراف وكان فصيح اللسان عذب الالفاظ حلو الشمائل كثير النوادر وأعلم الناس كيف تكلمت العرب رواية للاشعار علامة بالأخبار كان كلامه كله شعر موزون. وكان ابو نواس مولعاً بالخمر والحب ولبعض اشعاره في الخمر ليست له بل هو انتسبها لنفسه وهي نظم شاعر معاصر له يدعى حسين بن الضحاك من ذلك ما حدث به محمد بن عبدالله مولى بني هاشم ابو جعفر قال سمعت الحسين ابن الضحاك يقول: لما قلت قصيدتي :

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الابل والشاء

انشدها ابا نواس فقال ستعلم لمن يرويها الناس اليَّ ام لك فكان الامر كما قال رأيتها في دفاتر الناس في اول اشعاره (٢)

---

(١) انظر ترجمة ابي اسامة في كتاب الاغاني الجزء السادس عشر صفحة ١٤٨ — ١٥١ (٢) انظر اخبار حسين بن الضحاك في كتاب الاغاني الجزء السادس صفحة ١٧٠ — ٢١٣

واما شعر ابي نواس في المديح فاكثره مصنوع بخلاف شعره في المراثي فانه سهل التناول وله فعل في النفس واما غزله فمع ما فيه من اللطف والرقة فمكروه لانه يخرج فيه عن حد الحشمة والادب وهجاؤه وان كان يفعل في النفس الا انه غالباً غليظ وسفيه واما شعره في العتاب فمقبول وفيه جدٌّ اكثر مما في سواه وطروياته مأخوذ اكثرها عن شعر القدماء ولكن اشعاره في الزهد ليست بديعة في اللغة والمعنى فقط بل كأنها ناتجة من قلب انسان مؤمن حسن السيرة وكان المأمون يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول ابي نواس :

الا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وكانت وفاة ابي نواس ببغداد بين سني ٨٠٦ و٨١٣ م وتوفي قتيلاً بحيلة نصبها له اعداؤه (١)

٣ — ابو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو ابو اسحاق اسماعيل ابن القاسم بن سويد بن كيسان الغزيُّ بالولاء العيني المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور

ولد ابو العتاهية سنة٧٤٨م (١٣٠ هـ) بعين التمر . قيل لما غزا خالد بن الوليد عين التمر سبى كيسان مع جماعة من صبيان اهلها فوجههم الى ابي بكر فوصلوا اليه وبحضرته عباد بن رفاعة الغزي فجعل ابو بكر يسأل الصبيان عن انسابهم حتى اتى على كيسان فذكر له انه من غزة فلما سمعه عباداً استوهبه من ابي بكر فاوهبه له فاعتقه فتولى غزة وكان ابو اسماعيل القاسم حجاماً من اهل درجة ولذلك كان ابو العتاهية يقول ان عيره في نسبه:

---

(١) وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم ابو بكر الصولي وعلي بن حمزة ولهذا يوجد اختلاف في نسخ ديوانه . انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول من صفحة ١٣٥ الى ١٣٧ وكتاب الاغاني الجزء الثامن عشر صفحة٢ —٢٩ وقد طبع ديوانه عدة مرات في بيروت ومصر وغيرهما وهو مشهور لا حاجه الى ذكر شيء منه . واحسن طبعة هي طبعة اسكندر آصاف طبعت في القاهرة بالمطبعة العمومية سنه ١٩٩٨

الا انما التقوى هو العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقي نقيصة اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

ونشأ ابو العتاهية بالكوفة وكان هو واهله يعملون الجرار الخضر ويبيعونها وقيل بل ان عبيد زيد اخيه كانت تعمل له الخزف والجرار وكان زيد يبيعها ويوردون شهادة على ذلك قول ابي العتاهية « انا جرار القوافي واخي جرار التجارة » وكان على ما يحكى رجلاً نظيفاً ابيض اللون اسود الشعر له وفرة وجعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة وكني بابي العتاهية لانه كان يحب الشهرة والمجون والتعته قيل ان الخليفة المهدي قال له يوماً « انت متحذلق متعته » فاستوت له كنية وسارت له في الناس . وشعر ابي العتاهية لطيف المعاني سهل الالفاظ قليل التكلف الا انه كثير الساقط والمرزول كان الاصمعي يقول : « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » وا كثر شعره في الزهد والامثال قال المبرد « ابو العتاهية حسن الشعر قريب المأخذ لشعره ديباجة ويخرج القول كمخرج النفس قوة وسهولة واقتداراً » وكان ابو العتاهية يقول « لو شئت ان اجعل كلامي كله شعراً لنعلت » . وامتدح ابي العتاهية الخليفة المهدي وكان يحضر ناديه وينال بره وتعرف بجاريته عتبة واخـذ يذكرها في شعره فغضب المهدي لذلك وامر بحبسه فكتب اليه يستعطفه :

ألا أيها الملك المرجى عليه نواهض الدنيا تحوم
اقلني ذلة لم اجرِ منها الى لوم ولا مثلي ملوم
وخلصني تخلص يوم بعثٍ اذا للنار برّزت الجحيم

فرقّ له وامر باطلاقه . ولما بويع الهادي استخفى أبو العتاهية خوفاً منه وكان الهادي ينقم عليه لملازمته اخاه هارون ثم انفذ اليه رقعة فيها :

ألا شافع عنـد الخليفة يشفع فيدفع عنــا شرَّ ما نتوقع .
يردعني موسى على غير عثرةٍ ومالي ارى موسى من العفو اوسع

فارسل اليه الهادي اماناً وامر له بمال ولم يزل عنده مكرماً حتى توفي وتولى الامر هارون الرشيد فدخل عليه وامتدحه بقصيدة غراء :

جرى لك من هارون بالسعد طائره امام اعتزام لا تخــاف بوادره .

وكان لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر وكان الخليفة يجري عليه في كل سنة خمسين الف درهم ولما قدم الرشيد من الرقة لبس ابو العتاهية الصوف وتزهد وكان ابو العتاهية شديد البخل وحدث ثمامة قال دخلت يوماً الى ابي العتاهية فاذا هو يأكل خبزاً بلا شيء فقيل له وكيف ذلك فقال رأيت قدامه خبزاً يابساً من رقاق فطير وقدحاً فيه لبن حليب فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها في اللبن ويخرجها فلا تتعلق منه بقليل ولا كثير فقلت له كأنك اشتهيت ان تتأدم بلا شيء وما رأيت احداً قبلك يتأدم بلا شيء . ويحكى عن بخل ابي العتاهية حكايات غريبة غير هذه ولكنه كان يقول في شعره عكس ما يفعل ومنه

اذا المرؤ لم يعتق من المال نفسه   تملكه المال الذي هو مالكه
ألا انما مالي الذي انا منفقٌ   وليس لي المال الذي انا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي   يحق والا استهلكته مهالكه

وعاش ابو العتاهية الى ايام المأمون وامتدحه ثم عاد الى زهده وانقطع عن اصحابه الى ان مرض مرضه الذي توفي فيه واختلف في سنة وفاته قبل سنة ٨٢٦ م وقيل سنة ٨٢٧ م او ٨٢٩ ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد [١] وكان أمر ان يكتب على قبره :

اذن حي تسمعي   اسمعي ثم عي دعي
انا رهن بمضجعي   فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة   اسلمتني لمضجعي
ثم ترى الحي ثابتاً   في ديار التزعزع
ليس زادٌ سوى التقى   فخذي منه أودعي [٢]

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٧١ وكتاب الاغاني الجزء الثالث صفحة ١٢٦ — ١٨٢ (٢) وتوجد نسخة من ديوانه في المعرض الآسوي في بطرسبورج . وقد طبع ديوانه في بيروت مرتين ويسمى الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية رواية عن ابي عمر يوسف النمري وكتب مشاهير الادباء كالاصفهاني والمبرد وابن عبد ربه والمسعودي والماوردي والغزالي وغيرهم والطبعة

اشهر شعراء القرن التاسع

١ . ابو تمام حبيب بن اوس الطائي

توفي سنة ٢٣١ هـ

ولد ابو تمّام سنة ٨٠٥ م بناحية منبج من بلاد الشام ونشأ بمصر وهو شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب منها ويعسر تناوله على غيره وله كتاب الحماسة المشهور ومجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه كثيراً من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره قيل انه كان يحفظ اربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع وشعره كثير وكان يمدح الخلفاء ونال جوائزهم ومن نخب قصائده التي يمدح بها الواثق يقول فيها :

جاءتك من نظم اللسان قلادةٌ سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

ومن ظريف شعره قوله :

وطول مقام المرء في الحي مخلقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبةً الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

ولابي تمام قصائد عديدة يمدح بها أكابر دولة بني العباس منهم ابا دلف القاسم بن عيسى ومحمد بن حميد وخالد بن يزيد وابا الحسين بن محمد الهيثم وغيرهم . وله اخبار كثيرة . قال الصولي رأيت الناس يطبقون على ان ابا تمام مدح الخليفة بقصيدته السينية فلما انتهى فيها الى قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس

قال الوزير اتشبه امير المؤمنين باجلاف العرب فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وانشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فقال الوزير للخليفة أي شيء طلبه فاعطه . وتوفي ابو تمام سنة ٨٤٦ م . ويوجد

الثانية سنة ١٨٨٨ في آخرها فهرس تفسير ما ورد في الديوان من الغريب

نسخ من ديوانه في مكتبة المعرض الآسيوي في بطرسبورج وغيرها من مكاتب اوربا والقاهرة (١)

٢ . البحتري الوليد بن عبيد الطائي

توفي سنة ٢٨٤ هـ

ويكنى ابا عبادة شاعر فاضل فصيح نقي الكلام ولد في مدينة منبج الواقعة بين حلب والفرات سنة ٨٢٠ م ونشأ وتخرج فيها ثم انتقل منها الى بغداد وقال الشعر وبرع فيه وكان يتشبه في شعره بابي تمام ويراه صاحباً واماماً ويقدمه على نفسه حتى ان بعضهم قال له ان الناس يزعمون انك اشعر من ابي تمام فقال والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر ابا تمام والله ما اكلت الخبز الا به ولوددت ان الامر كما قالوا ولكن والله تابع له آخذ منه لائذ به نسيمي يركد عند هوائه وارضي تنخفض عند سمائه وحكى ابو بكر الصولي ان البحتري كان يقول « كان اول امري في الشعر انني صرت الى ابي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان يجلس ولا يبقى شاعر الا قصده وعرض عليه شعره فلما سمع شعري اقبل علي وترك الناس فلما تفرقوا قال لي انت اشعر من انشدني فكيف حالك فشكوت خلة » (٢) فكتب الى اهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق وشفع لي اليهم وقال لي امتدحهم فصرت اليهم بكتابه ووظفوا لي اربعة آلاف درهم فكانت اول ما اصبته وأقام البحتري في بغداد زماناً طويلاً يمتدح الخلفاء واولهم المتوكل وكثيرين من الاكابر والرؤساء ثم عاد الى الشام وله فيها اشعار كثيرة يذكر فيها حلب ونواحيها ومن بديع شعره في المتوكل قصيدة مطلعها :

اخفي لك هوى في الضلوع واظهر وألام من كمد عليك واعذر

وللبحتري كتاب حماسة على مثال حماسة ابي تمام وكتاب معاني الشعر وتوفي وله من العمر سبع وسبعين سنة بمنبج وقيل بحلب سنة ٨٩٧ م وقد جمع ديوانه علي بن حمزة الاصبهاني ولم يرتبه على حروف المعجم واما ابو بكر محمد الصولي فجمع ديوانه ورتبه

(١) انظر كتاب الاغاني الجزء الخامس عشر صفحة ١٠٠ — ١٠٨

(٢) اي حاجة وفقراً يقال في المثل الخلة تدعو الى السلة أي الحاجة تدعو الى السرقة .

على حروف المعجم توجد منه نسخة في بطرسبرج واخرى في باريز ونسخة في القاهرة وقد طبع كتاب الموازنة بين ابي تمام والبحتري للشيخ العلامة القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الاموي في القسطنطينية سنة ١٢٨٧ للهجرة (١)

٣ — ابو بكر محمد بن دُرَيْد الشاعر فقيه اللغة

توفي سنة ٣٤١ هـ

ولد ابو بكر محمد بن دريد في البصرة سنة ٨٣٧ م ولما تغلبت الزنج على هذه المدينة هرب الى عمان واقام بها اثنتي عشر سنة ثم عاد الى البصرة وسكنها ثم خرج الى نواحي فارس وصحب الشاه ابن ميكال عبدالله بن محمد وولده اسماعيل ابا العباس وامتدحهما بقصيدته المشهورة المقصورة مطلعها :

اما ترى راسي حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضي

وقد اعتنق بهذه المقصورة جماعة من العلماء المتقدمين والمتأخرين وشرحوها ثم ان ابا بكر ألف لابني ميكال كتاب الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة ومن مؤلفات بن دريد كتاب الاشتقاق وكتاب السرج واللجام وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب المقتبس وكتاب الملاض وكتاب زوار العرب وكتاب اللغات وكتاب السلاح وكتاب غريب القرآن ولم يكمله وكتاب المجتبى وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة وكان المتقدمون من العلماء يقولون ان ابن دريد كان اعلم الشعراء واشعر العلماء . وانتقل ابن دريد بعد عزل ابني ميكال الى بغداد فامر الخليفة المقتدر ان يجري عليه خمسون ديناراً في كل شهر لما كان قد اخبر عن مكانه في العلم والشعر ولم يزل ينالها حتى توفي بداء الفالج سنة ٩٣٢ م وله من العمر خمس وتسعون سنة . (٢)

---

(١) انظر كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ١٧٥ — ١٧٩ وكتاب الاغاني الجزء الثامن عشر صفحة ١٦٧ — ١٧٥ (٢) انظر كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٩٧ وكشف الظنون لحاجي خلفا المجلد السادس نمرة ١٢٨٠٧ وقد طبع قصيدة ابن دريد المقصورة العلامة بويزنف

اشهر شعراء القرن العاشر

وفي القرن العاشر اشتهر من الشعراء ابو الطيب المتنبي وابو القاسم محمد بن هانئ .

١ — ابو الطيب المتنبي

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي الجعفي الكوفي المعروف بالمتنبي .

ولد ابو الطيب سنة ٩١٥ م بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من قبيلة كندة المشهورة بل هو جعفي القبيلة وقيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج عليه لؤلؤ امير حمص نائب الامراء الاخشيدية فاسره وفرق اصحابه وحبسه ثم استتابه واطلقه وعاش ابو الطيب في ضيق عيش الى ان لحق بالامير سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب سنة ٩٤٨م . فصار يمتدحه ويسير في صحبته وله فيه القصائد العديدة وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء فيتكلمون بحضرته فوقع مرة بين ابي الطيب وبين ابن خالويه النحوي كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي وضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه وخرج دمه يسيل على ثيابه واذ لم ينتصر سيف الدولة لابي الطيب غضب وفارقه ودخل مصر سنة ٩٥١ ومدح كافور الاخشيدي وانوجور بن الاخشيد وكان كافور صاحب مصر فاكرم ابا الطيب وانعم عليه بصلات جزيلة ووعده بولاية بعض اعماله ولكن لما رأى كافور تفاخر ابي الطيب بشعره وسموه بنفسه خافه ولم يعطه ولاية ولما لم يرضه هجاه وفارقه سنة ٩٦١م ولما عوتب كافور في ابي الطيب قال « يا قوم من ادعى النبوة مع محمد (صلعم) أما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم » ووجه كافور خلفه رواحل الى جهات شتى فلم تلحقه . وقصد ابو الطيب بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل جائزته ورجع من عنده قاصداً بغداد ثم الى الكوفة فعرض له في طريقه فاتك بن ابى الجهل الاسدي في عدة من اصحابه وكان مع ابي الطيب ايضاً جماعة من اصحابه فقاتلوهم قيل لما رأى ابو الطيب ان الغلبة عليه

سنة ١٨٢٨ م وكتاب الاشتقاق العلامة وستنفلد سنة ١٨٥٤ م وكتاب السلاح العلامة شفارزلوزه في ليبسيا سنة ١٨٨٦ م

اراد ان يفر فقال له غلامه مفلح « لا يتحدث عنك الناس بالفرار ابداً وانت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم»

فكرَّ راجعاً حتى قتل وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٩٦٥ م

وقد اشتغل ابو الطيب بفنون الادب ومهر فيها وكان من المطلعين على غريب اللغة وحواشيها وقد عاش في صباه مدة طويلة بين اهل البدو فاكتسب الحرية وشرف النفس وترى ذلك في كثير من اشعاره ومما يدل على ذلك انه لم يلتحق بسيف الدولة حتى شرط عليه أن لا يقبل الارض بين يديه حين يدخل عليه وان لا يقول الشعر الا جالساً وكان ابو الطيب يقف بين يدي كافور في رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة وكان يحب الصدق والعفاف ويعاب عليه التكبر وحب الذات والبخل اما شعره فهو في غاية البلاغة حتى انه يعد في درجة امرىء القيس وكان ينتقد شعره قبل ان يقوله واشتهر في وصف وقائع الحرب ومدح الشجاعة وفي الحكم وحكمه اشهر من ان تذكر وقد اعتنى العلماء بديوانه فشرحوه ويقال انه يوجد اكثر من اربعين شرحاً لديوانه . (١)

٢ . ابو القاسم محمد بن هانىء الازدي الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ هـ

كما اشتهر في الشرق ابو الطيب المتنبي كذلك اشتهر في الغرب معاصره الشاعر ابو القاسم محمد بن هانيء من احدى قرى المهدية بافريقيا وكان شاعراً اديباً فانتقل الى الاندلس وولد له محمد المذكور بمدينة اشبيلية فنشأ بها ودرس على اهل العلم فحصل له حظ وافر من الادب ونظم الشعر واتصل بصاحب اشبيلية وحظى عنده وكان ابو القاسم كثير الانهماك في الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة . ولما اشتهر ذلك عنه نقم عليه اهل

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٦ وكشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثالث نمرة ٥٦٥ وقد طبع ديوان المتنبي عدة مرات في كلكتة سنة ١٨١٤ م وفي برلين مع شرح الواحدي وهو احسن الشروح سنتي ١٨٥٩ — ١٨٦١ م وفي بيروت سنة ١٨٦٠ وطبعة اخرى للشيخ ابراهيم اليازجي مع شرح مفيد جداً. وقد ترجم ديوانه الى اللغة النمساوية العلامة همير Hammer وسماها

اشبيلية وساءت المقالة في حق الملك بسببه واتهم بمذهبه فاشار الملك على ابي القاسم بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها الناس خبره فانفصل عنها وخرج الى المغرب ولقي جوهراً القائد مولى المنصور فامتدحه ثم توجه الى جعفر ويحيى بن علي وكانا بالمسيلة وهي مدينة الزاب وكان واليها فبالغا في اكرامه والاحسان اليه فنمى خبره الى المعز ابي تميم معد بن المنصور العبيدي فاتصل به وتوجه معه الى مصر وامتدحه فبالغ في الانعام عليه ثم رجع الى المغرب لاخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما وصل الى برقة اضافه شخص من اهلها فاقام عنده اياماً في مجلس انس قيل انهم عربدوا عليه وقتلوه وقيل انه خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فاصبح ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من عمره وكانت وفاته سنة ٩٧٢ م ولما بلغ الخليفة المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه وقال « هذا الرجل كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق فما توفر لنا ذلك رحمه الله تعالى » .ومن نخب شعره قصيدته النونية يمدح بها المعز بالقيروان اولها:

هل من اعقه عالج يبرين	ام منهما بقر الحدوج العين
ولمن ليال ما ذممنا عهدها	مذ كنَّ الا انهنَّ شجون
المشرقات كأنهنَّ كواكب	والناعمات كأنهنَّ غصون
بيض وماضحك الصباح وانها	بالمسك من طرر الحسان لجون
ادمي لها المرجان صفحة خده	وبكى عليها اللؤلؤ المكنون
اعدى الحمام تأوهي من بعدها	فكأنه فيها سجعن رنين

وهي دلالة على علو درجته وحسن طريقته وديوانه كبير وليس بين شعراء المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة (١)

وكتب عنه ايضاً العلامه neblis der grösse arabische Dichter 1823 Mot ديتريسي Ditrici رسالة بالمساوية سماهــا المتنبي وسيف الدولة طبعت في ليبسيا سنة ١٨٤٨ (١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٤ و٥ وقد طبع ديوانه في مصر سنة ١٢٧٤ للهجرة وفي بيروت سنة ١٨٨٦ ووقف على طبعه المعلم شاهين عطيه

اشهر شعراء القرن الحادي عشر

واشتهر في القرن الحادي عشر :

ابو العلاء المعري وابو الوليد بن زيدون الاندلسي والخليفة ابو القاسم المعتمد على الله وابو نصر احمد بن عبد الرزاق الطنطراني

١ . ابو العلاء المعرى

توفي سنة ٤٤٩ ﻫ

هو الشاعر الحكيم الفيلسوف ابو العلاء احمد ابن عبد الله ابن سليمان التنوخي

ولد ابو العلاء سنة ٩٧٣ م في معرة النعمان وتسمى أيضاً المعرة وهي بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة واصيب في سنة ٩٧٧ بالجدري وغشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة فعمي . وعاش ابو العلاء مدة طويلة في مدينة حلب يحضر هناك ديوان الامراء بني حمدان ويمتدحهم فينعمون عليه وزار سنة ١٠٠٦م بغداد ثم دخلها ثانية سنة ١٠٠٨ م وأقام بها سنة وسبعة اشهر ثم رجع الى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف واخذ عنه الناس فسارت اليه الطلبة من كل الا فاق وكاتبته العلماء والوزراء الى ان مات سنة ١٠٥٧ م وله من العمر ٨٤ سنة . وقد جمع ابو العلاء ما قاله من الشعر في شبابه في ديوان سماه سقط الزند وشرحه وسمّى الشرح ضوء السقط طبع الديوان مع شرحه في القاهرة سنة ١٢٨٦ هجرية وله ديوان آخر كبير سماه اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم بين فيه ابو العلاء رأيه في الفلسفة وشرحه أيضاً وقد طبع هذا الديوان في القاهرة سنة ١٨٩١ م وفي بمباي سنة ١٣٠٣ هجرية ولابي العلاء كتاب اللامع العزيزي وهو شرح ديوان المتنبي ولما قرىء عليه هذا الكتاب اخذت تلاميذه في مدحه والاطراء عليه فقال ابو العلاء « كانما نظر اليَّ المتنبي بلحظ الغيب حيث يقول :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صمم »

واختصر ابو العلاء ديوان ابي تمام حبيب وشرحه وسماه ذكرى حبيب وديوان البحتري وسماه عبث الوليد وتكلم على غريب اشعارهم ومعانيها وما اخذهم من غيرهم وما اخذ عليهم وله أيضاً كتاب الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب

المئة جزء في الادب . وكان ابو العلاء على رأي الحكماء البراهمة ومكث خمسة وار بعين سنة لا يأكل اللحم [1]

٢ — ابن زيدون

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي

كان ابو الوليد ابناً لاحد وجوه الفقهاء بقرطبة نشأ وتأدب فيهــا ثم صار شاعراً لجوهر صاحب قرطبة وكان جوهر يعزه ويكرمه الا انه اضطر الى حبسه بسبب تولعه وحبه لوليدة بنت المستكفي الشهيرة بجمالها وشعرها أيضاً فلما اطلقه جوهر ارتحل عن قرطبة الى الامير المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية وذلك سنة ١٠٤٩ م فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن الى اشاراته وكان عنده كوزير ومن شعره في المعتضد قوله :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع   سرًّا اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعاً حظه مني ولو بذلت   لي الحياة بحظين منه لم ابع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما   لا تستطيع قلوب الناس يستطع
تِه احتمل واستطل اصبر وعِزّ أهُن   وولِّ اقبل وقل اسمع ومُر أطع

ولابن زيدون القصائد الطنانة منها قصيدته النونية التي يقول فيها :

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم ايامنا نفدت   سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
بالامس كنا وما يخشى تفرقنا   واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

وهي طويلة وكلها نخب . ومن نظم ابن زيدون المشهور رسالة يهجو بها ابا اوس لها شروح كثيرة طبعها العلامة ريسكه Reisca سنة ١٧٥٥ م مع شرحها للصفدي

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٩٩ — ٢٥ وقد طبع بعض اشعاره العلامة سلوستردي ساسي في المجلد الثاني من كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وقد كتب العلامة ريو Rieu رسالة عن ابي العلاء طبعها في بونا سنة ١٨٤٤ وسماها سيرة الشاعر ابي العلاء وشعره : De Abul-Alae Poetal vita et Carmina

ثم طبعت سنة ١٢٧٨ هجرية في بولاق مع شرح محمد بن قباب وتسمى سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون . وكانت وفاته سنة ١٠٧٠ م في مدينة اشبيلية ودفن فيها (١)

٣ ـ الملك المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد

توفي سنة ٤٨٤

كان احد اجداده الظافر المؤيد بالله ابو القاسم محمد بن ابي الوليد اول من ملك في قرطبة بعد المستعطي يحيى بن علي بن حمود الحسني وكان قبل ذلك قاضياً فيها والظافر هذا كان من نسل عطاف بن نعيم اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة وكان نعيم وعطاف اول من دخل الاندلس من بلاد المشرق وهما من بلاد العريش الفاصلة بين الشام ومصر . ولد المعتمد بالله سنة ١٠٣٩ م وقام بالملك بعد موت ابيه سنة ١٠٦٨ م ويقال انه كان اندى ملوك الاندلس راحة وارحبهم ساحة واعظمهم ثماداً وارفعهم عماداً ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب احد من ملوك عصره من اعيان الشعراء وافاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وكان للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة لكان رائقاً معجباً ونادراً مستغرباً فمن ذلك قوله :

اكثرت هجرك غير انه ربما   عطفتك احياناً علي امور
فكأنها زمن التهاجر بيننا   ليل وساعات الوصول بدور

ومن شعره الظريف ايضاً :

لولا عيون من الواشين ترمقني   وما احاذره من قول حراس
لزرتكم لا كافيكم بجفوتكم   مشياً على الوجه أو سعياً على الرأس

وكتب الى ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطحبوا بالزهراء يدعوهم الى الاغتباق عنده :

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٣

حسد القصر فيكم الزهرآء ولعمري ولعمركم ما أساء
قد طلعتم به شموساً نهاراً فاطلعوا عندنا بدوراً مساء

والزهرآء من عجائب ابنية الدنيا انشأها الناصر ابو المظفر عبد الرحمن احد ملوك بني امية بالاندلس بالقرب من قرطبة

وكان المعتمد اكبر ملوك الطوائف في الاندلس واكثرهم بلاداً فلما سمع بتجهيز الافرنج على بلاده لمحاربتها وفتحها اتفق مع بقية ملوك الطوائف على ان يدعوا صاحب مراكش الملك ابا يعقوب يوسف بن تاشفين و يستنجدوه على الافرنج ففعلوا ولما حضر الملك ابو يعقوب بعساكره الى الاندلس استدعى المعتمد جميع ملوك الطوائف وجندهم فاجتمعوا وقاتلوا الافرنج وانتصروا عليهم وكان ذلك سنة ١٠٨٦ م . ثم ان الملك ابا يعقوب يوسف في العام الثاني عاد الى الاندلس لمحاربة الافرنج ولكنه لم يقدر عليهم الا انه رأى حسن البلاد وغناها و بهجتها فحسد المعتمد وجعلت خواصه يغرون قلبه على المعتمد حتى تغير عليه وقصده فحاصر اشبيلية واستولى عليها وقبض على المعتمد واهله وارسله اسيراً الى مدينة اغمات في مراكش واعتقله بها ولم يخرج منها الى الممات فكان يقول الشعر فيها يشكو من تقلب الزمان يبكي على صروفه عليه وعلى اهله وعياله وكان قد اسر معه وزيره ابو بكر محمد بن عيسى اسمعيل الداني المعروف بابن الكبانة الشاعر المتوفي سنة ١١١٣ م فجعل يقول الشعر يتمدح به المعتمد واهله ويبكي على ايامهم وعلى ما حل بهم فمن ذلك قصيدة مطلعها :

تبكي السماء بدمع رائح غادي على البهاليل من ابناء عباد

ومنها

يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وقد جمع ابن اللبانة شعره في ديوان سماه نظم السلوك في وعظ الملوك وجمع ايضاً اشعار المعتمد في ديوان وهذان الديوانان لم يطبعا ولكن من شعرهما كثير في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان وفي قلائد العقيان لابن خاقان وفي غيرهما من كتب الادب وتوفي المعتمد باغمات سنة ١٠٩٧ م ونودي في جنازته على الغريب فاجتمع عند قبره جماعة من الشعراء فرثوه بقصائد طويلة انشدوها عند قبره منهم ابو ع ر

عبد الصمد شاعره المختص به رثاه بقصيدة اجاد فيها أولها :

ملك الملوك اسامعٌ فأنادي ام قدعدتك عن السماع عوادي
لما تقلت عن القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الاعياد
اقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلت قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادهـا قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خدَّه فابكى عليه كل من حضر [1]

٤ — الطَّنْطَرَاني

توفي سنة ٤٨٥ هـ

هو ابو نصر احمد بن عبد الرازق استاذ المدرسة النظامية في بغداد ولقبه معين الدين والملة توفي سنة ١٠٩٢ م . اشتهر الطنطراني بقصيدة مدح بها نظام الملك وزير السلطانين السلجوقيين الب ارسلان وملكشاه وهي في غاية الفصاحة والبلاغة ذات قافيتين لـكل بيت مطلعها :

يا خليَّ البال قد بلبلت بالبلال بالْ بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال
يارشيق القد قد توست قدي فاستقم في الهوى وافرغ لقلبي شاغل الاشغال غال

وهي خمسة وثلاثون بيتاً وطبعت في الجزء الثاني من كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد ثم طبعها العلامة برج سنة ١٨٣٥ وسماها Carmen Tantaranü etc.

اشهر شعراء القرن الثاني عشر

ومن شعراء القرن الثاني عشر :

ابو محمد عبد المجيد بن عبدون وابو اسماعيل الحسين الاصبهاني المعروف بالطغرائي .

١ — ابن عبدون

توفي سنة ٥٢٠ هـ

هو عبد المجيد بن عبدون اليابوري من شعراء الاندلس المشهورين ولد في يابورة واليها ينسب وكان من صغره مولعاً في الشعر فاحبه لذلك المتوكل من بني الافطس

(١) انظر كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحه ٢٧ — ٣٥ .

صاحب يابورة وقربه اليه ولما مات اخو المتوكل الملك يحيي بن منصور وقام بالملك المتوكل سنة ١٠٨٠ م استدعى ابن عبدون وجعله كاتباً له وفي سنة ١٠٩٢ م هجم المرابطون من افريقيا على بلاد الاندلس وقتلوا المتوكل وتسلطوا على البلاد فرثى ابن عبدون المتوكل ودولته بقصيدة مشهورة طنانة . وبعد ذلك دعا ابن عبدون قائد الجيوش الافريقية سير ابن ابي بكر وعينه كاتباً له وبعد ذلك انتقل ابن عبدون الى مراكش واتصل بعلي بن يوسف بن تاشفين وصار كاتباً له وما زال كاتباً له ايضاً حين تولى ملك مراكش بعد موت ابيه سنة ١١٠٦ وبعد ذلك رجع ابن عبدون الى يابورة لزيارة اهله وتوفي فيها سنة ١١٣٤ . واكثر شعر ابن عبدون في الغزل النسيب وقد شرح قصيدته التي رثى بها المتوكل كثيرون من العلماء منهم ابن البدروني :

٢ – الطغرائي

توفي سنة ٥١٣ ﻫ

هو العميد فخر الكتاب ابو اسماعيل الحسيني الاصبهاني الملقب مؤيد الدين والمعروف بالطغرائي وُلد الطغرائي [١] سنة ١٠٦٦ م وكان عزيز الفضل لطيف الطبع فاق اهل عصره بصُنعة النظم والنثر وله ديوان مشهور منه قصيدة تسمى لامية العجم مطلعها :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

مجدي اخيراً ومجدي اولاً شرعٌ والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

فيمَ الاقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

ناءٍ عن الاهل صفر الكف منفردٌ كالسيف عري متناه من الخلل

فلا صديقٌ اليه مشتكى حزني ولا انيسٌ اليه منتهى جذلي [٢]

نظمها على نسق لامية العرب للشنفري المتقدم ذكرها في مجلة . ونظم الطغرائي لاميته هذه في بغداد سنة ١١١٤ م يصف حاله ويشكو زمانه . ذكر العماد الكاتب في

(١) نسبة الى من يكتب الطغرى وهي الطرة التي تكتب في اعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه وهي اعجمية .

(٢) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ٢٤ — ١١ واللاميتان

تاريخ الدولة السلجوقية ان الطغرائي كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود ابن محمد السلجوقي بالموصل وانه لما جرى بينه و بين اخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همذان ما جرى وكانت النصرة لمحمود كان اول من اخذ الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود فاخبر به وزير محمود نظام الدين السميري فقال من يكن ملحداً يقتل وكانوا خافوا منه فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وقتل في سوق ببغداد عند المدرسة النظامية سنة ١١٢٠ م وقيل غير ذلك. (١)

اشهر شعراء القرن الثالث عشر

ومن مشاهير شعراء القرن الثالث عشر:

ابو القاسم عمر بن ابي الحسن المعروف بابن الفارض وابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري.

١ — عمر بن الفارض

توفي سنة ٦٣٢ هـ

١ — هو ابو حفص عمر ابي الحسن عليّ بن المرشد بن عليّ الحموي الاصل المصري المولد والدار والوفاة.

وُلد ابن الفارض في القاهرة سنة ١١٨١ م ونشأ فيها وكان فاضلاً كثير الخير محترماً في حياته فلقب بشرف الدين توفي سنة ١٢٣٥ م ودفن في مقبرة بسفح جبل المقطم ويعد من اشهر شعراء اهل السلوك قال تلميذه عليّ الجامع ديوانه كان ابن الفارض يقول الشعر وحياً ومن اشهر قصائده التائية الكبرى فيها سبعمائة وواحد وستون بيتاً وتسمى ايضاً نظم السلوك مطلعها:

المذكورتان طبعهما العلامة فرن Fren سنة ١٨١٤ في كتاب سماه: Carmina arabica duo etc. وهاتان القصيدتان من اشهر القصائد طبعتا مرات عديدة ويجدهما الطالب في اكثر المنتخبات (انظر مثلاً مجاني الادب الجزء السادس صفحة ٢٠١

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٩٥

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن حلت
فاوهمت صحبي ان شرب شرابهم به سرّ سري في انتشائي بنظرتي
وبالحدق استغنيت عن قدمي ومن شمائلها لا من شموليَ نشوتي (١)

وتائيته الصغرى تتضمن مائتين وثمانية ابيات مطلعها :

نعم بالصبا قلبي صبـا لاحبتي فيا حبـذا ذاك الشذا حين هبت
سرت فاسرت للفؤاد غدية احاديث جيران العذيب فسرت
مهيمنة بالروض لدن رداؤها بهـا مرض من شأنه برء علتي

وله يائية مشهورة ايضاً مطلعها :

سائق الاظعان يطوي البيد طي منعماً عرج على كثبان طي

وله خمرية مشهورة ايضاً مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلالٌ وكم يبدو اذا مزجت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ولولا سـناها ما تصورها الوهم

فانه يعني فيها بالحبيب الحق تعالى وبالمدامة محبة الذات الالهية . وديوانه لطيف واسلوبه فيه رائق ظريف وفيه عدا القصائد قطع ودو بيت وموال والغاز كلها لطيفة (٢)

٢ — البوصيري

توفي سنة ٦٩٥ هـ

هو الامام ابو عبد الله محمد بن سعيد الدولاسي وُلد ابو عبدالله في قرية من قرى مصر تسمى بوصيرة واليها ينسب سنة ١٢١١ م ونشأ في مصر وكان من فضلاء اهل عصره ولقب بشرف الدين وقد اشتهر ببديعيته الرنانة التي تسمى بالكواكب الدرية في مدح خير البرية قيل انه نظمها في مدة مرض اعتراه تبركاً فاتاه النبي (صلعم)

(١) وقد طبع هذه التائية مصحوبة بترجمة ساويه منظومة شعراً العـلامة همربوغستان Hammer-Burgstalle في فينا سنه ١٨٥٠ م .

(٢) طبع ديوانه في باريز الشيخ رشيد الدحداح والآب بارغس ثم طبع في بيروت مرتين سنه ١٨٦٦ و١٨٧٤ وفي بولاق مرتين ايضاً سنه ١٢٨٩ و١٢٠٦ هجريه

وغطاه ببردته فشفي ولذلك سمي بديعته هذه بالبردة ايضاً وهي شهور بين الناس بهذا الاسم مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ
أم هبت الريح من تلقاء كاظمةٍ   واومضي البرق في الظلماء من اضمِ

وقد نسج على منوال البردة كثيرون من الشعراء بديعياته كثيرة منها بديعية الشيخ شمس ابي عبدالله محمد بن جابر الاندلسيّ المسماة بديعية العميان مطلعها :

بطيبة انزل ديم سيد الامم   وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

و بديعية الشيخ تقي الدين ابي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي صاحب كتاب الادب وغاية الارب [1] مطلعها :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم   بداعة تستهل الدمع في العلم

وغيرهما كثير ولكن البرة تفوق جميع البديعيات [2] . وتوفي ابو عبد الله محمد البوصيري سنة ١٢٩٤ م

اشهر شعراء القرن الرابع عشر

ومن شعراء القرن الرابع عشر اشهر :

١ — صفي الدين الحلي

توفي سنة ٨٥٠ هـ

هو صفيّ الدين عبد العزيز بن سريا الحلي وُلد سنة ١٢٧٦ م في مدينة حلة على الفرات ومدح السلطان ابا المكارم شمس الدين الارطقي والملك الناصر وغيرهما من

---

١ طبع في مصر سنة ١٣٠٤ هجرية

٢ وقد طبعت عدة مرات في اوربا والشرق منها طبعه العلامه Urie سنه ١٧٦١م وسماها : Carmen misticum Corda Dictum وطبعه العلامه روزنزويج Rosezwig سنه ١٨٢٤ م . وترجها الى اللغه الفرنساوية العلامه سلوستروي ساسي سنه ١٨٢٨ واحسن طبعه هي طبعه العلامه رالفسا Ralfsà في فينا سنه ١٨٦٠ مع ترجمتين فارسيه وتركيه منظومتين شعراً وترجمه نمساوية النثر واما شروح البردة فكثيرة نخص منها بالذكر حاشيه ابراهيم الباجوري طبعت في القاهرة سنه ١٢٨٢ هجرية

الملوك والامراء ومن شعره قصيدة يعزي بها الملك الافضل صاحب حماة بوالده الملك المؤيد مطلعها :

خفض همومك فالحياة غرور ورحى المنون على الآثام تدور
والمرؤ في دار الفناء مكلف لا قادرٌ فيها ولا مقدور
والناس في الدنيا كظل زائلٍ كلٌ الى حكم الفناء يصير

وتوفي صفي الدين سنة ١٣٤٩ وله ديوان مشهور .

واذا انتهينا الآن من الكلام على الشعراء بقي علينا ان نسرد المجموعات التي دونت فيها اشعار شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين وقد ذكرنا سابقاً ان العرب كانت في القرن الاول للهجرة مشغولة عن العلم والادب بالحروب الخارجية والفتن الداخلية فلم يمكن لاحسن رجال العصر ان يبحثوا في الشعر ويدرسوه . ولكن لما تقوّت المملكة وانضمت وذلك في القرن الثاني عند ما تولى الخلافة بنو العباس أخذت العرب في طلب العلوم والبحث فيها فابتدأوا اولاً بعلم النحو واللغة فاضطروا حينئذٍ الى درس اشعار الجاهلية وفي نصف القرن الثاني تقريباً عند ما مضت مائة وخمسون سنة منذ مات آخر شاعر من شعراء الجاهلية نراهم مهتمين بجمع اشعارهم وتدوينها وكثير ما جمعه علماء ذلك العصر لم يصل الينا وما نعرفه من تلك المجموعات هي الآتية :

اولاً : (المفضليات) جمعها ابو العباس المفضل الضبي المتوفي سنة ٧٨٤م يقال انه خرج على المنصور مع ابراهيم بن عبدالله بن الحسين فظفر به المنصور وعفا عنه والزمه المهدي فجمع المفضل للمهدي أشعار الجاهلية المختارة وسماها المفضليات وهى مائة وثمانية وعشرون قصيدة واقدم مجموع وصل الينا وتوجد منه نسخ فى مكاتب برلين ولوندرة وفينا تحتوي أيضاً على شرح الاشعار للمزروقي (١)

ثانياً :(الحماسة) جمعها كما تقدم الكلام سابقاً الشاعر ابو تمام حبيب الطائي (المتوفى سنة ٨٤٥ م) وتسمى أيضاً الحماسة الكبرى وهى تحتوي على نحو ٥٧٠ قطعة من الشعر قسمت الى عشرة ابواب الحماسة والمراثي والادب والنسيب والهجاء والاضافات

١ انظر كتاب الفهرست صفحة ٦٩

والصفات والسير والملح ومذمة النساء ولها شروح عديدة . [١]

ثالثاً: (الحماسة الصغرى) جمعها الشاعر ابو عبادة البحتري (المتوفى سنة ٨٩٧م) كما ذكرنا سابقاً وهي ذيل لحماسة ابي تمام وتحتوي على ١٧٠ باباً وفيها اكثر من الف وار بعماية قطعة والنسخة الوحيدة منها محفوظة في مكتبة ليدن .

رابعاً: (ديوان الهزليين) جمعه ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري (المتوفى سنة ٧٨٨م) رواية عن ابى الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن ابى بكر أحمد بن محمد الحلواني وهو المجموع الوحيد الذي وصل الينا من من مجوعات أشعار قبيلة واحدة (قيل كان عدد هذه المجموعات نحو ثمانين) وهذا المجموع وصل الينا أيضاً غير كامل فان النسخة الوحيدة المحفوظة الآن في مكتبة ليدن تحتوي على الجزء الثاني منه فقط وهذا لمجموع كثير الاهمية لانه الوحيد الذي نجد فيه نخباً حسنة من شعراء قبيلة بدوية حرة لم تخضع لسلطة غريبة كالقبائل المجاورة لبلاد الفرس او لبر الشام. [٢]

خامساً: (كتاب الاغاني الكبير) لأبي الفرج علي بن الحسين بن الهيثم القريشي الاصفهاني من ولد هشام بن عبد الملك وكان شاعراً مصنفاً وله رواية يسيرة واكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط اوغيرها من الاصول الجياد وتوفي ابو الفرج سنة ٩٧٣ م [٣] وقد اتفق العلماء على انه لم يعمل كتاب في هذا الباب مثل كتاب الاغاني ويقال ان أبا الفرج جمعه في خمسين سنة وحمله الى سيف الدولة ابن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه وحكي عن الصاحب بن عباد انه كان في اسفاره يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الادب ليطالعها فلما وصل اليه كتاب الاغاني لم

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثالث نمرة ٨٦٣٨ ومن شروح الحماسة شرح التبريزي طبعها مع هذا الشرح وترجمة لاتينية للعلامة فريتاغ سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٥١ ثم ترجمها الى اللغة النمساوية العلامة فريدريك روكيرت Rückert وطبع الترجمة سنة ١٨٤٦ وطبعت الحماسة ايضاً في بيروت سنة ١٨٨٩ .

(٢) وقد طبع هذا المجموع العلامة كوزغارتين Kosegarten في لندرة سنة ١٨٥٤ مع شرح جامعه سماه : The Hudsailian Poemes طالع ايضاً: Skizzen· Vorarbeiten. Berlim, 1884 (٣) انظر كتاب الفهرست صفحة ١١٥ .

يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها[1] واصل كتاب الاغاني كتاب يدعى الشركة وضعه لاسحاق بن ابراهيم الموصلي المغني الشهير [2] وراق يسمى سندي بن علي في احد عشر جزءا ولما مات سندي نسب الكتاب لاسحاق ولكن حسبما حكي حماد بن اسحاق لم يزد فيه ابوه سوى الرخصة وهي اول الكتاب [3] فكمل ابو الفرج هذا المجموع وزاد فيه بيان الحوادث التي جرت بداعي نظم الاشعار او لداعي الغناء بها وسير الشعراء والمغنين فجاء كتاب يتضمن خزائن الادب والاخبار المختلفة عن اخلاق العرب وآدابهم في الجاهلية والاسلام مدة الثلاثة الاجيال الاولى [4] وقد اختصر هذا الكتاب ابن المكرم المتوفي سنة ١٣١١م فرفع الاسنادات كلها ورتب فيه السير على حروف الهجاء . واختصر ايضاً كتاب الاغاني احد الآباء اليسوعيين في جزئين وجعل الجزء الاول في الروايات الادبية والجزء الثاني في الروايات التاريخية سماه كتاب رنان الثالث والثاني في روايات الاغاني طبع في بيروت سنة ١٨٨٨ و ١٩٠٨م ولأبي الفرج عدا كتاب الاغاني كتب عديدة في الادب والتاريخ منها كتاب مجرد الاغاني وكتاب مقاتل آل ابي طالب وكتاب تفضيل ذي الحجة وكتاب الاخبار والنوادر وغيرها كثيرة .

سادساً: (قراضة الذهب في نقد اشعار العرب) لأبي علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (المتوفي سنة ٤٥٦ هـ) جمع به كثيراً من شعر الاقدمين وهو كتاب كبير الفائدة . قيل ان ابن رشيق وُلد بالمسيلة وقيل بالمحمدية وقال آخرون بالمهدية وكان ابوه مملوكاً رومياً من موالي الازد وصنعتهِ الصياغة فعلمه ابوه صنعته وقرأ الادب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه وملاقاة اهل الادب فرحل الى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها الى ان هجم العرب على القيروان وقتلوا اهلها فانتقل منها الى جزيرة صقلية واقام بها الى أن مات فيها (سنة ١٠٧٠) وله

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٣٤

(٢) المتوفي سنة ٨٤٩ م (٣) انظر كتاب الفهرست صفحة ١٤١ .

(٤) وقد طبع هذا الكتاب في بولاق في عشرين مجلداً سنة ٢٨٥ هجرية وطبع جزءا منه العلامة كوزغارتن مع ترجمة لاتينية سنة ٨٤٠

كتاب الشذوذ في اللغة .[١]

سابعاً:(جمهرة اشعار العرب ونخبة الادب) لابي زيد محمد بن علي الخطاب القرشي وهو يحتوي على تسع واربعين قصيدة من شعراء الجاهلية والاسلام الى الجيل الثاني ونسخة من الجمهرة محفوظة في مكتبة برلين وعنها نسخ اسكندر اغا ابيكاريوس المسبعات أو سبعة الاسابيع وضمنها كتابه المسمى تزيين الادب في اخبار العرب والمسبعات هي المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملمحات وهي عيون اشعار العرب .

مجموعات شعراء الاسلام

وأما الشعراء الذين ظهروا في الاسلام فقد وصل الينا شعرهم اما في دواوين كل ديوان مخصوص بشاعر منهم واما في مجموعات نخص منها بالذكر :

أولاً :(كتاب البارع في شعراء المولدين) جمعه ابو عبد الله هارون بن المنجم (المتوفي سنة ٩٠٠ م) ويحتوي على احسن قصائد الشعراء الذين ظهروا من زمان بشار بن برد المتقدم ذكره الى ايام ابن المنجم .

ثانياً: (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر) للامام ابى منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل الثعالبي النيسابوري[٢] جمع فيها قصائد نحو ٤٥٠ شاعراً وقسمها الى اربعة اقسام: الاول محاسن اشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من اهل الشام ومصر . والثاني في محاسن اشعار اهل العراق وانشاء الدولة الديلمية . والثالث في محاسن اشعار اهل الجبال وجرجان وطبرستان . والرابع في محاسن اشعار اهل خراسان وما وراء النهر . وهي من احسن الكتب الادبية واكملها بلاغة ولذلك قال فيها ابو الفتوح نصر الله الشاعر :

أبيات اشعار اليتيمة ابكار افكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

وللثعالبي كتاب «فقه اللغة» طبعه رشيد الدحداح في مرسيليا سنة ١٨٦١ «وسحر

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٣٣

(٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٩٠

البلاغة» و«سرالبلاغة » . ومن «غاب عنه المطرب» و « موئنس الوحيد في المحاضرات» وشيء كثير جمع فيها اشعار الناس ورسائلهم واخبارهم وقد جعل اليتيمة ذيلاً لكتاب البارع المتقدم ذكره .

ثالثاً:(دمية القصر وعصره اهل العصر) لابى الحسن علي الباخرزي(المتوفي سنة ٤٦٧ هـ) وهي ذيل ليتيمة الثعالبي حذا فيها حذوه . (١)

رابعاً:(خريدة القصر وجريدة لاهل العصر) لعماد الدين محمد بن الكاتب الاصفهاني في عشرة مجلدات وهي ذيل لدمية القصر . وعاش عماد الدين من سنة ١١٠٦ الى سنة ١١٩٥ م .

خامساً:(زينة الدهر) لابي المعالي سعد بن الوراق الخطيري (المتوفي سنة١١٧٢م) وهي ذيل للدمية .

سادساً :(وشاح الدمية) لابي الحسن علي بن زيد البيهقي وهو ذيل لها ايضاً.

(المجموعات الاندلسية) ولشعراء الاندلس عدا الدواوين مجموعات مختصة بهم منها :

اولاً : (الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة) : للشاعر ابي الحسن علي بن بسام الشنتراني (المتوفي سنة ١١٤٧م) جمعها بمساعدة كاتبه جلال الدين ابى الفضل محمد بن المكرم (المتوفي سنة ١١٣١) .

ثانياً :(كتاب قلائد العقيان) لابي نصر الفتح بن خاقان القيسيّ الاشبيلي امير اشبيلية جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم باحسن عبارة والف اشارة له ايضاً كتاب « مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس » وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى وهو كتاب كثير الفائدة ولكنه قليل الوجود وكلامه في هذه الكتب يدل على غزارة فضله وسعة مادته وكان ابو نصر كثير الاسفار سريع التنقلات وتوفي قتيلاً بمدينة مراكش في الفندق سنة ١١٤٠م (١)

(المجموعات الادبية)

وعدا المجموعات الشعرية المذكورة توجد مجموعات نثرية منها نوادر وحكم وملح

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة٣٦٠

وحكايات وامثال تشخص لنا حالة العيشة والآداب في زمن الجاهلية والاسلام وهي ذات اهمية عظمى لاننا نجد فيها فوائداً واخباراً كثيرة عن حالة الادب والتمدن في الاعصر السابقة لم تدون في الكتب التاريخية وهذه المجموعات مختلفة الفحوى حسب اختلاف ذوق جامعيها. وقد صنف منها كثيرون من العلماء المتقدمين نظير ابي عبيدة معمار التيميّ (توفي سنة ٨٢٥ م) وأبي سعيد عبد الملك الاصمعي (توفي سنة ٨٢٩ م) وابي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ (توفي سنة ٨٦٨ م) البصري العالم الشهير واليه تنسب الفرقة المعروفة « بالجاحظية » من المعتزلة صاحب التصانيف في كل فن منها كتاب « البيان والتبيين » وهو على ما يقول المؤرخ ابن خلدون من احسن الكتب واهمها في آداب العربية وللجاحظ ايضاً كتاب « البخلاء » طبع في ليدن سنة ١٩٠١م وغير ذلك كثير من الكتب المفيدة . (١)

وعدا هؤلاء العلماء نذكر هنا المبرَّد وابن عبد ربه والقالي والميداني والزمخشري والابشيهي

١ — أبو العباس محمد المبرَّد — (المتوفي سنة ٢٨٥ ﻫ) كان اماماً في اللغة والنحو وله التآليف النافعة منها كتاب الكامل في اللغة يحتوي على واحد وستين باباً ما بين كلام منثورٍ وشعر مرصوف ومَثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة وقد فسر فيه كل ماوقع في الكتاب من كلام غريب ومعنىً مستغلق (٢) وللمبرد ايضاً من مؤلفات الروضة والمقتضب. (٣)

٢ — أبو عمر احمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه القرطبي — اصله من موالي بني امية بالاندلس توفي سنة ٣٢٨ ﻫ . وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس صنف « العقد الفريد » من الكتب الممتعة حوى من كل شيء وجزَّأه الى خمسة وعشرين كتاب كل منها جزآن فهو خمسون جزءاً وقد سمى كتاب منها باسم جوهرة من الجواهر وذكر فيها اخباراً عديدة عن تاريخ العرب السياسي والادبي وكثيراً من الشعر والحكايات والنوادر وغير ذلك ونذكر هنا عنوان كل كتاب من

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٨٨ (٢) وطبع هذا الكتاب العلامة فريجت Wright في ليبسيك سنة ١٨٦٤ (٣) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٤٩٥

كتب العقد ليعلم المطالع عما يبحث العقد ونظيره من مجموعات الادب :

الكتاب الاول اللؤلؤة في السلطان
« الثاني الفريدة « الحروب
« الثالث الزبرجدة « الاجواد والاصفاد
« الرابع الجمانة « الوفود
« الخامس المرجانة « مخاطبة الملوك
« السادس الياقوتة « العلم والادب
« السابع الجوهرة « الامثال
« الثامن الزمردة « المواعظ والزهد
« التاسع الدرة « التعازي والمراثي
« العاشر اليتيمة « النسب وفضل العرب
« الحادي عشر العسجدة « أعلام الاعراب
« الثاني عشر المجنبة « الاجوبة
« الثالث عشر الواسطة « الخطب
« الرابع عشر المجنبة الثانية « التوقيعات والفصول والصدور واخبار الكتبة

الكتاب الخامس عشر العسجدة الثانية في الخلفاء وتاريخهم وايامهم
« السادس عشر اليتيمة الثانية « اخبار زياد والحجاج والبرامكة والطالبين

الكتاب السابع عشر الدرة الثانية في ايام العرب ووقائعها
« الثامن عشر الزمردة الثانية « فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه
« التاسع عشر الجوهرة الثانية « اعاريض الشعر وعلل القوافي
« العشرون الياقوتة الثانية « الالحان واختلاف الناس فيها
« الحادي والعشرون المرجانة الثانية « النساء وصفاتهن

الكتاب الثاني والعشرون الجمانة الثانية في المتنبئين والمزورين والبخلاء والطفيليين

« الثالث والعشرون الزبرجدة الثانية « طباع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان

« الرابع والعشرون الفريدة الثانية « الهيئات واللباس والطعام والشراب

« الخامس والعشرون اللؤلؤة الثانية « النتف والهدايا والتحف والفكاهات والملح [1]

٣ – أبو علي اسماعيل القالي — (المتوفي سنة ٩٦٧ م) هاجر من بغداد الى الاندلس وكان من العلماء المشهورين وله كتاب النوادر ونسخة منه في مكتبة المعرض الآسيوي في بطرسبرج . ولهذا الكتاب اهمية كبرى عند علماء اللغة .

٤ —أبو الفضل احمد الميداني —(المتوفي سنة ١١٢٤م) كان اديباً فاضلاً عارفاً باللغة وامثال العرب وله فيها التصانيف المفيدة منها كتاب الامثال المنسوب اليه ولم يعمل مثله في بابه جمع فيه ستة آلاف مثل ورتبه على احرف المعجم وفسر كل مثل وأتى بالداعي له وكيف جرى على السنة الناس[2] وللميداني كتاب السامي في الاسامي الكلم [3] .

٥ – ابو القاسم محمود الزمخشري —(المتوفي سنة ١١٤٣م) ولد في مدينة زمخشر في خوارزم سنة ١٠٧٤ وكان اماماً كبيرا عالماً في التفسير والحديث واللغة وعلم البيان وله كتابان في الامثال احدهما يسمى المستقصى في الامثال [4] والآخر يسمى سوائر الامثال والظاهر انه لم يصل الينا منه ولا نسخة واحدة بل نعرفه من مختصر له يسمى نوابغ [5] الكلم .

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٢ . (٢) وقد طبع العلامه فريتغ أكثر امثال الميداني في كتاب سماه : Arabum proverbia واضاف اليها امثالا اخرى اخذها من مجموعات غيره وترجمها جميعها الى اللغة اللاتينية فجاء كتاباً كبير الحجم في اربع مجلدات ظهر في سنين ١٨٣٨—١٨٤٨ (٣) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٤٦ . (٤) وهو داخل في المجموع الذي طبعه فريتغ المذكور (٥) طبعه العلامة شولتين وسماه Anthologia sententiarum واصحبه بمقدمة وشرح .

وللزمخشري مواعظ تسمى أطواق الذهب تحتوي على مائة مقالة كلها نثر مقفر ولهذا الكتاب ثلاث ترجمات في اللغة النمساوية الاولى لهمير والثانية لفريتغ والثالثة لفيل واطواق الذهب طبعت عدة مرات في القسطنطينية والقاهرة . وللزمخشري ايضاً المصنفات الآتية :

١ . ربيع الابرار ونصوص الاخيار ٢ . النصائح الكبار
٣ . النصائح الصغار ٤ . شقائق النعمان في حقائق النعمان . وهي جميعها مجموعات في الادب . وله ايضاً مصنفات عديدة في الصرف والنحو والمعاني والبيان واللغة والعروض وفي الحديث والتفسير فان كتابه الكشاف في تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله . وكان سافر الى مكة وجاورها زماناً طويلاً فصار يقال له « جار الله » لذلك وكان هذا الاسم علماً له وكان شاعراً بليغاً ومن شعره يرثي شيخه ابا مضر المنصور:

وقائلة ما هذه الدررُ التي تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي قد حشا ابو مضر أذني تساقط من عيني [1]

٦ — الشيخ محمد بن احمد الخطاب الأبشيهي — (عاش في الجيل الرابع عشر) جمع مجموعاً سماه « المستطرف في كل فن مستظرف » نقل فيه كثيراً مما اودعه الزمخشري كتابه ربيع الابرار وكثيراً مما نقله ابن عبد ربه في العقد الفريد وجعله يشتمل على اربعة وثمانين باباً من احسن الفنون متوجةٍ بالفاظ كأنها الدرر المكنون. [2]

ومن المصنفات التي كتبت نثراً ولها اهمية في الادب المقامات والسير والامثال والحكايات والقصص .

أما (المقامات) فهي روايات بالنثر المقفر مرصوفة بنظم يرويها شخص واحد

---

(١) انظر رفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٨١

(٢) وقد طبع المستطرف مرتين في القاهرة سنة ١٢٧٩ و١٣٠٨ هجرية وفي الطبعة الثانية بهامشه كتاب ثمرات الاوراق في المحاضرات لتقي الدين بن ابي بكر المعروف بابن حجة الحموي وذيلان للثمرات احدهما له ايضاً والآخر للشيخ ابراهيم الاحدب (من علماء أواخر الجيل التاسع عشر) . وقد ترجم الجزء الاول من المستطرف الى الفرنساوية العلامة رأت Rat وطبعه في باريز سنة ١٨٩٩

ويخبرفيها عن حادثة جرت لشخص آخر مضحكة أو ذات عبر وقد جرى عليها المصنفون ليظهروا براعتهم وطول باعهم في اللغة والآداب واول من صنف المقامات – :
ابو الفضل احمد بن الحسين المعروف (ببديع الزمان الهمذاني) وُلد في همذان وارتحل عنها سنة ٩٩٠ م فولي نيسابور ثم سكن هراة فعاش فيها عيشة راضية وتوفي فيها سنة ١٠٠٦ وله الرسائل البديعة والنظم المليح ومن شعره من قصيدة طويلة :

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

قيل انه انشأ نحو اربعمائة مقامة ولم يصل الينا منها سوى ما ينيف على الخمسين قليلاً [1] . ولابي الفضل الهمذاني رسائل تشهد له ببلاغته وطول باعه .

(الحريري) واحسن من حذا حذو الهمذاني ونسج على منواله ابو محمد القاسم ابن علي الحريري فقد رزق الخطوة التامة في عمل المقامات فاشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموزها واسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده ابو القاسم عبدالله قال كان ابي جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من اين الشيخ فقال من سروج فاستخبره عن كنيته فقال ابو زيد فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد

---

(١) واول ما طبع منها ستة في كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد وهي : القزوينية والقروية والموصلية والاهوازية والاذربيجانية والاصبهانية . ثم طبعت في القسطنطينية نحو خمسين مقامة غير مصححة فيها اغلاط كثيرة واخيراً اعتنى بتصحيحها وتنقيحها وشرحها العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده المصري وطبع منها واحدة وخمسون مقامة في بيروت سنة ١٨٨٩ . اما رسائل الهمذاني فطبعت بهامش كتاب خزانة الأدب وغاية الارب للشيخ تقي الدين بن ابي بكر المعروف بابن حجة الحموي في القاهرة سنة ١٣٠٤ هجرية . انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٩

بالله فلما وقف عليها اعجبته فاشار على والدي ان يضم اليها غيرها . والى الوزير المذكور اشار الحريري في خطبة المقامات بقوله «فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم .» قال ابن خلكان رأيت بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات جميعها بخط مصنفها الحريري وقد كتب بخطه على ظهرها انه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة ابي علي الحسن بن ابي العز علي بن صدقة وزير المسترشد ايضاً ولا شك ان هذا اصح من الرواية الاولى لكونه بخط المصنف واما تسمية الراوي لها بالحارث بن همام فانما عنى به نفسه فالحارث هو الكاسب والهمام الكثير الاهتمام وما من شخص الا وهو حارث وهمام لان كل واحد كاسب ومهتم بنفسه وقد اقتدى بالحريري كثيرون من الكتبة والعلماء واحسن مقتد به العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي صنف خمسين مقامة ايضاً سماها «مجمع البحرين» وهو مشهور طبع في بيروت عدة مرات . وقد اعتنى بشرح مقامات الحريري كثيرون فمنهم من طول ومنهم من اختصر [1] واحسن الشروح شرح ابي العباس احمد بن عبد الله المؤمن القيسي الشريشي (المتوفي سنة ١٢٢٢م) [2] ولد الحريري في البصرة سنة ١٠٥٤ وتوفي سنة ١١٢١ م ومن مؤلفاته ايضاً درة الغواص في اوهام الخواص وهو كتاب في اللغة [3] .

اما (السير) فمن اشهرها «سيرة عنترة» وهي اخبار البطل الشاعر عنترة بن شداد العبسي وابنة عمه عبلة تصور لنا حياة العرب في زمن الجاهلية وسياستهم وحروبهم وزي عيشهم وعبارة هذه السيرة سهلة المأخذ اكثرها نثر فصيح منقش بنظم ولم تزل سيرة عنترة الى الآن من احب السير لاهل الشام ومصر يقرأونها ويلتذون بسمعها جدًّا .

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد السادس نمرة ١٢٧١٩ .

(٢) وقد طبعت مقامات الحريري عدة مرات منها في كلكته سنة ١٨٠٩ في ثلاثة اجزاء ومع قاموس عربي وفارسي وفي باريز سنة ١٨١٩ و١٨٢٢ واخيراً سنة ١٨٤٧ وطبعت ايضاً عدة مرات في القاهرة وبيروت . وترجم المقامات الى اللغة النمساوية روكرت سنة ١٨٤٤ والى الانكليزية بريستون سنة ١٨٥٠ ثم توماس ترجم منها ستة وعشرين مقامة الى الانكليزية ايضاً . (٣) طبعه توربيك Torbec سنة ١٨٦١ م ثم طبع في القاهرة سنة ١٢٧٣ هـ وتجد جزءًا منه في تكملة كتاب الانيس المفيد المسماة بالمختار . انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٤١٩ .

وفي سيرة عنترة تجد اسماء رواتها منهم الاصمعي (المتوفي سنة ٨٢٨ م) وهو يذكر فيها اكثر من غيره الا ان العلماء الى الآن لم يتفقوا في اي منهم هو مصنف السيرة والظاهر انها لم تصنف على هذه الصورة التي وصلت الينا قبل الجيل السادس و بعضهم يقول ان مصنفها الشاعرالطيب ابو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري وآخرون[1] انه السيد يوسف بن اسماعيل (عاش في الجيل الخامس عشر).

و «سيرة المجاهدين وابطال السادات لموحدين الاميرة ذو الهمة وعبدالوهاب» فهي اقل شهرة من سيرة عنترة وصنفت بعدها وهي تصور حالة العرب في ايام بني امية والثلاثة الخلفاء الاول من بني العباس. وتوجد نسخة من هذه السيرة في مكتبة فينا.

و«سيرة السلطان بيبرس» وحروبه مع الافرنج فهي الى الآن تعجب الناس وتحكى في القهوات ببلاد مصر.

اما (الامثال) فهي حكايات اوخرافات عن السنة الناس والطيور والبهائم تتضمن حكماً او معان مستترة تحت برقع الكلام ولكنها غريبة المأخذ والفهم منها:

أولاً: «أمثال لقمان الحكيم» وهي احدى وار بعون خرافة تشبه امثال الحكيم ايزب Ezop وقد ورد في القرآن الشريف ذكر لقمان كاحد الحكماء والانبياء ولكن لا نعرف من كان لقمان ومتى واين عاش واية علاقة له مع الامثال التي تنسب اليه وملخص ما جاء في التفاسير ان لقمان الحكيم عاش في ايام الملك داود في مدينة الرملة ومات فيها وهناك قبر وكثيره مما يحكى عنه فيها يشبه ما يحكى عن الحكيم ايزب اليوناني ولذلك يظن كثيرون من العلماء ان لقمان وايزب هما اسمان لشخص واحد. وقد حقق العلماء ان امثال لقمان بالنظر الى فحواها اقدم من امثال ايزب ولكن بالنظر الى عبارتها فهي احدث فمن الممكن ان الاصل فيها كان عربياً أو لغة اخرى سامية وفقد بعد ما ترجم

---

(١) منهم العلامة برسفال Perseval (انظر المجلة الآسوية سنة ١٨٣٣) الذي طبع جزءا من هذه السيرة في باريز سماه Extraits du roman d'Antar . وترجم مختصر هذه السيرة الانكليزية هاميلتون Hamilton وسماه Antar a ReducenRomance وقد ترجمها جميعها الى الفرنساية من سنة ١٨٦٤ الى ١٨٧٠ ديفك Devic وسماه : Les aventures d'Antar . وطبعت سيرة عنتر مرتين في بيروت .

الى اليونانية ثم ترجم الى العربية. (١)

ثانياً : « كتاب كليلة ودمنة» أصله من الهند وهو كتاب بلغة السنسكريت يسمى هيتوباديزا Hitopadeza أي المواعظ المخلصة للنفس أو بالاحرى كتاب يسمى بانتشا تانترا Pantcha-Tantra اي الكتب الخمسة وفي الجيل السادس ترجمه من اللغة الهندية الى البهلوية الطبيب برزويه وذلك في ايام الملك انو شروان العادل وسمي بكتاب كليلة ودمنة أو امثال الحكيم بيدبا ثم ترجمه من البهلوية الى العربية عبدالله بن المقفع (٢) المتوفي سنة ٧٥٩ م (٣) . وقد نقل كتاب كليلة ودمنة الى الشعر ابان بن عبد الحميد ابن لاحق بن عفير القريشي بامر الوزير يحيي بن برمك ونظمه ايضاً بشر بن المعتمد

---

(١) واول مرة طبعت امثال لقمان في ليدن سنة ١٦١٥ طبع منها حينئذ ٣٧ مثلاً ثم طبعت عدة مرات في باريز وطبعت في لوندرة سنة ١٨٥٠ وفي الشرق عدة مرات ايضاً .

(٢) وهو فارسي الاصل واسمه بالفارسية رُوزبه من مدينة حوز من كور فارس وكان في غاية الفصاحةوالبلاغة شاعراً فصيحاً فنقل كتباً عديدة من اللغة الفارسية الدارجة حينئذ والمعروفة بالبهلوية الى اللغة العربية منها كتاب كليله ودمنة المذكور وكتاب مزدك وخداينامه في السير وكتاب آيين وكتاب التاج في سيرة انوشروان وغيرها وكان يكنىً قبل اسلامه ابا عمرو فلما أسلم اكتنى بابي محمد والمقفع لقب كان لابيه وذلك لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتقفعت يده وكان على الخراج في العراق وفارس . اما ابن المقفع فكان اولاً كاتباً لداود بن عمر بن هبيرة ثم لعيسى بن علي عم الخليفة السفاح وقال الشعر واكثره في الهجاء فاغاظ كثيرين من الولاة منهم سفيان بن مروان والي البصرة فاتهمه بالزندقة وقتله حرقاً بالنار فوقع ذلك من الخليفة المنصور بالمرفق ولم يطلب بثاره لانه كان حاقداً عليه (انظر مقدمة كليلة ودمنة طبعه سلوستردي ساسي) .

(٣) انظر كتاب الفهرست صفحة ١١٨ . وطبع كتاب كليلة ودمنة العلامة سلوستري ساسي في ثمانية عشر باباً في باريز سنة ١٨١٦ وطبع عدة مرات في القاهرة وبيروت .

وغيرها [١] . وقد نقل هذا الكتاب من العربية الى الفارسية نظماً وسمي انواري سهيلي ومنها الى التركية وسمي همايون نامه وترجم الى اليونانية والعبرانية ومن اللغات الاربع المذكورة الى عشرين لغة اخرى من الجيل الثامن الى التاسع عشر ولا نعرف كتاباً آخر شاع بين الامم مثله الا الكتب الدينية .

أما (الحكايات أو القصص) فاشهر مجموعاتها كتاب « الف ليلة وليلة » وله أهمية عظمى لانه الكتاب الثاني الذي انتشر في العالم بعد كليلة ودمنة وعلى ما يقول صاحب الفهرست [٢] يظهر ان المصادر التي تألف منها هذا الكتاب اربعة : (اولاً) كتاب فارسي يسمى هزار افسانه ومعناه الف خرافة كان مترجماً وسائراً بين الناس في ايام الخلفاء الثلاثة الاولى من بني العباس (ثانياً) سحر وخرافات على السنة الناس والطير والبهائم جمعها أو نقلها الى العربية الكتاب في ايام بني العباس نظير عبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعلي بن داود وغيرهم . (ثالثاً) ما جمعه ابو عبد الله محمد بن عبدوي الجهشاري صاحب كتاب الوزراء من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم فانه كان يجمع المسامرين ويأخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار أيضاً من الكتب المصنفة في الاسمار ما يحلو له وكان في نية عبدالله ان يجمع الف سمر فاجتمع له اربعمائة وثمانون سمراً جعل كل سمر في ليلة فكانت اربعمائة وثمانين ليلة ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه (رابعاً) انضم الى هذا المجموع أى مجموع عبد الله المؤلف من المصدرين الاولين على ما رأيت حكايات وسمر ايضاً في مدة الاجيال التي بعدها صنفها او جمعها عدة رجال في ازمنة مختلفة فأولدت لنا كتاب الف ليلة وليلة الذي يعد من مصنفات قريحة الشعب العربي وحسبما يظهر من بعض اشارات تاريخية فيه ومن لهجة لغته ان جمعه على الصورة التي وصل الينا بها حدث نحو الجيل الرابع عشر في مصر . فاننا لا نرى فيه ذكراً للقهوة التي شاع استعمالها في بلاد الشرق في الجيل الخامس عشر وا كثر حكاياته تبين لنا زيَّ العيش واخلاق العرب وعاداتهم من الجيل الثامن الى الرابع عشر واذا وجدنا فيها ما يشابه عيشتهم في الوقت الحاضر

---

(١) انظر كتاب الفهرست صفحة ٣٠٥ . (٢) انظر صفحة ٣٠٤ .

فلا عجب من ذلك لان عادات اهـل الشرق لا تتغير سريعاً (١)

وتوجد حكايات اخرى غير حكايات الف ليلة وليلة مصدرها ايضاً من اللغة الهندية من ذلك « حكايات السندباد » او السبعة وزراء وتعرف عند اليونان بحكاية سنتيبي وفحواها ان احدى نساء ملك عشقت ابن زوجها وليّ العهد وراودته عن نفسها فلما رفض مرغوبها شكته الى ابيه الملك واتهمته بانه أراد ان يفتنها فامر الملك باجراء القضاء عليه فاخذ السبعة الوزراء يدافعون عنه وما زالوا في اثناء المحاماة عنه يقصون قصصاً ويوردون اخباراً وحوادث تظهر غدر النساء وغشهن الى ان ظهرت الحقيقة ووضحت ويقول المسعودي في كتابه مروج الذهب ان الفيلسوف سندباد الهندي الذي وضع هذه

---

(١) وطبع كتاب الف ليلة وليلة سنة ١٢٥١ في مجلدين سنة ١٢٨٣ وسنة ١٣١٤ هـ في اربع مجلدات وفي كلكته سنة ١٨٣٩م في اربع مجلدات وفي بيروت عدة مرات وطبعة الآباء اليسوعيين منقحة في خمس مجلدات صغيرة وطبع ايضاً في برسلوي باللغة الدارجة في ١٢ جزء صغيرة الحجم سنة ١٨٢٥ — ١٨٣٨ . وترجم الى اللغات الفرنساوية والنمساوية والانكليزية والروسية وغيرهما من اللغات الاوربية والى التركية والفارسية والارمنية . ومنه نسخ كثيرة في مكاتب اوربا العربية ومن وقت الى آخر يطبع من الحكايات التي فيها زيادة عن الموجودة في المطبوعات المذكورة مثلاً حديث زينة الاصنام ابن سلطان البصرة وما حدث له مع ملك الجن طبعه غراف Graff في باريز سنة ١٨٨٩ وحكاية السول والشمول طبعها زيبولد Seybold في ليبسيا سنة ١٩٠٢ م .

(ملاحظة) . ان حكاية سندباد المذكورة هي غير حكاية سفر سندباد التي في كتاب الف ليلة وليلة والتي طبعها لانكليه Langlés وحدها سنة ١٨١٣ م ذيلاً لكتاب في النحو العربي تأليف سواري Savari ثم طبعها ايضاً رينشه Reinche سنة ١٨٣٦ وسماها : Die beiden Sindbadii ولكن يجب ان نذكر ان حكاية الملك وابنه وجاريته والسبعة الوزراء في الف ليلة وليله تشابه حكاية السندباد المذكورة وتشابهها ايضاً حكاية ازادبخت بن الملك بختيار والعشرة الوزراء التي طبعها كنوس Knōs سنة ١٨٠٧ وسماها : Historia decem vis orum et filii regis Azad Becht وطبع هذه الحكاية باللغة الفارسية مع ترجمة انكليزية وليم اوسيلي William Ouseley سنة ١٨٠١ وسماها The Bakhar-Natch or history of Prinçe Bakhtuar and the ten viziers.

الحكاية عاش في زمان ملك الفرس خسرو واما حمزة الاصبهاني فيقول ان زمان تصنيف سندباد لهذه الحكاية كان في مدة ملك الازدكيين (اي من سنة ٣٢٣ قبل المسيح الى سنة ٢٢٧ بعده) و يزيدذلك على العلامة سلوستروي ساسي ان هذه الحكاية ترجمت الى الفارسية والعربية قبل كتاب كليلة ودمنة .

العلوم العربية

١ً — النحو [1]

ان العرب لم تبحث في علم النحو قبل الجيل الاول للهجرة وذلك حسبما ورد في تواريخ العرب ان الخليفة علي بن ابي طالب هو اول من قسم الكلام الى اسم وفعل وحرف وعهد ذلك الى احد اتباعه وهو ابو الاسود الدؤلى (ظالم بن عمرو) وقال له تمم هذا العلم على هذا وقيل ان أبا الاسود كان يعلم اولاد زياد ابن ابيه وهو والي العراقين يومئذ فجاءه يوماً وقال له أصلح الله الامير اني أرى العرب قدخالطت الاعاجم وتغيرت ألسنتهم افتأذن لي ان اضع للعرب ما يعرفون او يقيمون به كلامهم قال لاقال فجاء رجل الى زياد وقال اصلح الله الامير توفي أبانا وترك بنون فقال زياد ادع لي ابا الاسود فلما حضر قال ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم . وقيل ان اول باب وضعه ابو الاسود في النحو كان باب التعجب و بعده باب الفاعل والمفعول . وسمي النحو نحواً لان ابا الاسود المذكور قال استأذنت عليَّ بن ابى طالب ان اضع نحو ما وضع [2] وتوفي ابو الاسود سنة ٦٦٠ م وقيل سنة ٦٨٨ .

---

(١) مما يسهل الوقوف على آداب علم النحو في اللغة العربية كتاب فلوغل المعنون هكذا: Die grammatischen Schulen der Araber Abhaudlungen für die Künde des morgenlandes. : المطبوع سنة ١٨٦٢ الجزء الثاني المعنون : وصاحب هذا الكتاب يذكر جميع نحاة العرب الذين عاشوا لآخر الجيل العاشر .

(١) انظر الفهرست صفحة ٤٠ — ٤١ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٤٠

أما تلميذه ابو عمرو عيسى بن عمر الثقفي (نزل في ثقيف فنسب اليهم) النحوي البصري فله الكتاب الذي سماه الجامع في النحو وكتاب آخر يسمى حسب بعضهم المكمل وحسب آخرين الاكمال. وهذان الكتابان اخذ عنهما سيبويه المشهور في تصانيفه. وتوفي الثقفي سنة ٧٦٦ م [١]

ولما استولى بنو العباس على الخلافة وتعرف العرب بآداب اليونان ابتدأ العلماء حينئذٍ يبحثون بحرص شديد على قواعد لغتهم التي دخلها بعض الفساد في ذلك الوقت من اختلاط العرب بالاعاجم وصار البعض منهم يستخرجون قواعد اللغة العربية استناداً على القرآن وتآليف الشعراء الاقدمين وآخرون يجمعون الاشعار القديمة وتفسيرها وغيرهم اخيراً سعوا في التقاط كلمات اللغة وتدوين كل ما وصلت اليه يدهم من نادر العبارات ووقائق اللغة كما سمعوها من اهل البدو الذين قد حافظوا على نقاوة لغتهم الاصلية من الفساد اكثر من اهل الحضر [٢] وهكذا نشأ في الجيل التاسع مذهبان في النحو مذهب البصرة ومذهب الكوفة يختلفان فقط في بعض مسائل ثانوية نحوية ولغوية ولكنهما في الواقع جاريين على قياس نحوي واحد. وهذا القياس النحوي نراه ظاهراً في مصنفات النحويين كالخليل وسيبويه ومن تبعهما

١ — أبو عبد الرحمن (الخليل بن احمد) اصله من الازد من فراهيد كان اماماً في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وحصره في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً وله كتاب العلي في اللغة وكتاب العوامل وكان استاذاً لسيبويه في علم النحو ولد سنة ٧١٨ م وتوفي سنة ٧٩١. [٣]

٢. ابو بشر عمرو بن عثمان المعروف (بسيبويه) كان اعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يكتب الناس كتاباً مثل كتابه. ولد في البصرة وكان مولىً لبني الحارث بن كعب فارسي الاصل وقد اخذ العلم عن عيسى بن عمر الثقفيّ والخليل والاخفش الكبير او الاكبر وغيرهم من علماء عصره وقد ورد الى بغداد من البصرة والكسائي يومئذ

(١) انظر الفهرست صفحة ٤١ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٩٣ (٢) يقول الاسيوطي ان عدد علماء النحو واللغة بلغ الى زمانه نحو ٢٥٠٠ عالماً (٣) انظر الفهرست صفحة ٤٢ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٧٢.

يتعلم الامين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا واتفقا في مناظرتهما على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام اهل الحضر فقضى العربي لسيبويه بالحق وكان الامين شديد العناية بالكسائي فاراد ان يقضي العربي له فقال ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانه ما يسبق الا الى الصواب فتعاهد الأمين معه ان يقول قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما فيقول العربي مع الكسائي فلما عقد لهما المجلس واجتمعت الأئمة وحضر العربي وقيل له ذلك فقال الصواب مع الكسائي فعلم سيبويه انهم تحاملوا عليه فحمل في نفسه لما جرى عليه وقصد بلاد فارس وتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء سنة ٧٦٩ م [1]

ان البعض من كتبة العرب يقولون ان أصل المطوَّل في النحو لسيبويه هو ما وضعه عيسى بن عمر الثقفي وأن لسيبويه في هذا الكتاب حواشٍ فقط أخذها عن الخليل وغيره من أساتذته مع ذلك فان كتابه هذا من الكتب المشهورة المعوَّل عليها عند علماء العربية الذين عاشوا بعده واليه يرجعون في أهم المسائل النحوية . وهنا ننبه المطالع ان العلامة سلوستردي ساسي قد غلط بقوله انه لا يوجد قياس ولا ترتيب في كتاب سيبويه الذي نجده عند من بعده من المصنفين في علم النحو والحقيقة ان كتابه شامل لكليهما . الاّ انه يوجد فرق بين سيبويه وغيره من المصنفين فان سيبويه يبحث أولاً عن أحوال الاعراب في الاسماء والافعال بحسب تأثير العوامل عليها ثم يبحث في اشتقاق الكلم بعضها من بعض وعلى طريقته هذه جرى كثيرون من النحاة ولكن بعضهم نظير أبي بكر عبد القاهر الجرجاني (توفي سنة ١٠٧٨ م) في كتابه المسمى « العوامل المائة » يبحثون عن العوامل المؤثرة على أواخر الاسماء والافعال وغيرهم مثل ابي القاسم محمود الزمخشري (المتوفي سنة ١١٤٣ م) في كتابه « المفضل » قسموا قواعد النحو الى ثلاثة أبواب كما قسمت الكلم الى اسم وفعل وحرف ووضعوا قواعد كل كلمة منها في بابها . وطريقة سيبويه هي المعول عليها في علم النحو وهي أقرب للصواب اذ انها تمكننا من شرح قواعد اللغة باكثر ضبط واستيفاء أما الطريقتان الاخريان

(١) انظر الفهرست صفحة ٥١ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٨٥ .

فقواعد النحو فيهما لا يمكن ان تكون مرتبطة بعضها ببعض . وسيبويه يعد امام مذهب البصريين .

أما امام المذهب الكوفي عند النحاة فيعد أبو الحسن علي (الكسائي) وهو فارسي الأصل ودرس العلم في الكوفة والبصرة ولكي يمهر في معرفة اللغة العربية عاش زماناً طويلاً بين اهل البدو . وهو امام في النحو واللغة والقرآت وكان يؤدب الامين والمأمون ولدي الخليفة هارون الرشيد . وله من المؤلفات كتاب « مختصر النحو » وكتاب « القرآت » وكتاب « العدد » وكتاب « النوادر الكبير والأوسط والصغير » ثم كتاب « المصادر » وكتاب « الحروف » وغيرها [1]

ونبغ من تلاميذ الكسائي أبو زكريا يحيي بن زياد الاسلمي المعروف (بالفراء) الديلمي الكوفي وكان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب . وله كتاب « المعاني » وكتاب « الحدود » وكتاب « البهاء » وكتاب « اللغات » وكتاب « المصادر في القرآن » وكتاب « الجمع والتثنية فيه » وكتاب « الوقف والابتداء » وكتاب « المفاخر » وغيرها . [2]

وقد سبق انه كان مذهبان في النحو احدهما للبصريين والآخر للكوفيين وما ذلك الاَّ لسبب ان كلا من المدينتين الكوفة والبصرة كانت مركزاً لدرس النحو واللغة . فطريقة البصريين كانت التمسك بالقواعد المستنتجة من درس القرآن وافصح شعراء الجاهلية وكل ما جاء مخالفاً لذلك يعد عندهم فحشاً أو ساقطاً ولكن الكوفيين كانوا يعدون ما خالف تلك القواعد شواذاً غير مستقبح في الاستعمال وكان من عادة الكوفيين ايضاً ان يدونوا كل ما خالف لغة قريش في استعمال غيرهم من القبائل وكانوا يعتبرون لهجة كل قبيلة كفرع من فروع أصل اللغة العربية. الاَّ ان مذهب البصريين تغلب على مذهب الكوفيين في مصنفات النحاة التابعين الذين منهم :

أبو علي الحسن (الفارسي) ولد سنة ٩٠٠ م في مدينة فسا من بلاد فارس وأتى بغداد

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٦٥ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٣٠ . (٢) انظر الفهرست صفحة ٦٦ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٢٢٨

سنة ٩١٥ ثم انتقل منها الى حلب وجالس ابا الطيب المتنبي ثم رحل الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وصنف له كتاب « الايضاح» و«ذيله بالتكملة»وكتاب « العضدي » في النحو . ففي الايضاح يبحث المؤلف عن تركيب الكلام بحسب طريقة سيبويه وأما في الاثنين الآخرين فيبحث عن التصريف وكتاب الايضاح يعد من احسن المتون لدرس النحو في الشرق وعلق عليه شروحات كثير من العلماء [١] وفيهم ابو بكرعبد القاهرالجرجاني الذي له حواشي مطولة (في ثلاثين مجلد) على كتاب الفارسي في مؤلف سماه «المغنى» . وللجرجاني مؤلف آخر اسمه « العوامل المائة »[٢] . ومن تصانيف الفارسي ايضاً كتاب «التذكرة » وكتاب « المقصور والممدود» وغيرهما وتوفي سنة ٩٨٧ م ببغداد [٣] .

وممن نالوا في القرن الثاني عشر من العلماء شهرة لا تقل عن شهرة الفارسي ابو القاسم محمود (الزمخشري) وله «المفصّل» في النحو [٤] يبحث فيه عن كل المسائل النحوية في ثلاثة فصول الاسم والفعل والحرف اما في الفصل الرابع الموجود في آخر الكتاب فيبحث عن مخارج الحروف . ومع ان هذا الاسلوب ضعيف في علم النحو كما تقدم لا ان المفصّل له شهرة كبيرة في الشرق وعلق عليه شروحات كثيرة من العلماء [٥] وللمفصل ملخص للزمخشري نفسه سماه «الانموذج» في النحو[٦] وله ايضاً كتاب «مقدمة الادب» وهو معجمٌ للغتين العربية والفارسية [٧]

ثم ابو عمرو عثمان بن عمر المعروف (بابن الحاجب) الملقب جمال الدين كان ابوه حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي . ولد ابو عمرو في ايسنا وهي بلدة من اعمال القوصية بالصعيد الاعلى من مصر سنة ١١٧٤ م ودرس علومه واتقنها في القاهرة وانتقل الى دمشق ودرس في جامعها بزاوية المالكية فاكب الناس عليه ومارس

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الاول نمرة ١٥٦٤ (٢) طبعه زوكيت Zochett سنه ١٨١٤ . (٣) انظر الفهرست صفحة ٦٤ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٣١ (٤) طبعه بروش Broch في خرستيانيا سنة ١٨٥٩ (٥) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد السادس نمرة ١٢٦٣٦ (٦) طبع في طهران . (٧) طبعه فتش شتين وسماه Zamacheschrii Arabicum-Persicum Zexicon في ليبسك سنة ١٨٥٠ م .

التدريس وتبحر في الفنون وصنف مقدمة وجيزة في النحو سماها « الكافية » [١] وأخرى في التصريف سماها « الشافية » [٢] وهذان المتنان من احسن المتون في الصرف والنحو ويستعملان في اكثر مدارس الشرق وقد شرحهما كثير من العلماء واحسن الشروح شرح جامي الشاعر الفارسي الشهير وسماه « الفرائد الضيائية » [٣] . وتوفي ابن الحاجب سنة ١٢٤٩ م [٤] .

ومن معاصري ابن الحاجب جمال الدين ابو عبد الله محمد المعروف (بابن مالك) الفقيه الشافعي المتوفي سنة ١٢٧٤ م . ولد في دمشق ونشأ فيها ثم درس في جامعها الفقه والنحو وعلوم الادب ومن مصنفاته الخلاصة في النحو المعروفة « بالالفية » وهي شهيرة جداً تحتوي على الف بيت من بحر الرجز جمع فيها قواعد النحو وهي مشهورة عند اهل المغرب كالكافية عند اهل المشرق ولها شروح عديدة [٥] نخص منها بالذكر شرح بهاء الدين عبد الله بن عقيل (المتوفي سنة ١٣٦٧ م) [٦] . وقد سبق ابن مالك في نظم قواعد النحو زين الدين ابو زكريا يحيى بن عبد المعطي [٧] . والفية ابن مالك دارجة في المدارس اكثر من الكافية وقد الف على نسقها الشيخ ناصيف اليازجي ارجوزة في النحو سماها « جوف الفرى » وشرحها وسمى الشرح « نار القرى » وهما مطبوعان في بيروت كتاباً واحداً [٨] . ولابن مالك مختصر في الصرف منظوم على بحر الرجز أيضاً وقافية الابيات كلها حرف اللام ولذلك سماه لامية الافعال [٩]

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ٩٧٠٧ .
(٢) انظر كشف الظنون المجلد الرابع نمرة ٧٣٧٥ (٣) وطبعت الكافية والشافية مراراً في القاهرة (٤) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣١٤ (٥) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الاول نمرة ١١٤٣ .
(٦) وطبعت الالفية مع شرحها لابن عقيل عدة مرات في القاهرة وبيروت
(٧) طبعت الالفية في ليبسك سنه ١٩٠٠ م (٨) وفي اوروبا طبع الالفية مع شرح ابن عقيل العلامة النمساوي ديتريسي Dietrici سنة ١٨٥١ ثم طبع ترجمتها الى النمساوية سنة ١٨٥٢ ونخص بالذكر هنا حاشية الشيخ تقي الدين ابي العباس احمد الشموني (المتوفي سنة ١٤٦٧) على شرح ابن عقيل طبعت في القاهرة ايضاً .
(٩) طبع في مجموعات اكاديمية العلوم في بطرسبرج سنة ١٨٦٤ م .

وجاء بعده جمال الدين ابو محمد عبد الله المعروف (بابن هشام) المتوفي سنة ١٣٦٠م هذا كان يدرس اللغة والنحو والمعاني والبيان في القاهرة وله المؤلفات العديدة منها «مغني اللبيب عن كتب الاعاريب» يبحث في الفصل الاول منه عن تأثير العوامل وفي السبعة الفصول الباقية عن عدة مسائل مختلفة في نحو اللغة العربية وقد اكسب هذا الكتاب مصنفه شهرة عظيمة في الشرق وعلق عليه كثيرٌ من العلماء شروحات عديدة [1] ولابن هشام أيضاً متنان في النجو هما «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» و«قطر الندى وبل الصدا» جرى في تعبير قواعد النحو فيهما مجرى سيبويه [2]

أما علماء النحو في الجيل الرابع عشر وما بعده فاكثرهم اقتصروا على كتابة الشروح والحواشي على مصنفات السلف . واعلم ان كثيراً من كتب النحو العربية لا تخلو من الغلط والسهو ومن اهم الاسباب الموجبة لذلك أولاً انه لم تكن لعلماء النحو حينئذ معرفة في قواعد فقه النحو المؤسس على موازنة اللغات ومشابهتها بعضها ببعض وثانياً لانهم كانوا يتجنبون ويكرهون درس لغات اخرى غير العربيّة ولهذا السبب كانت معارفهم النحوية قصيرة لكن مؤلفاتهم تشهد لهم مع ذلك بالهمة التي صرفوها في جمعها ولذلك فالتعمق في درس مصنفاتهم وفحصها من رجال العلم المستشرقين فيه فائدة عظمى لفقه النحو في المستقبل .

ومن المتون المستعملة في الشرق للمبتدئين بدرس الصرف متنٌ يسمى كتاب «التصريف العربي» وآخر يدعى كتاب «العزي» لعز الدين عبد الوهاب الزنجاني المتوفى في منتصف الجيل الثالث عشر ومن متون النحو المستعملة ايضاً «مقدمة الاجرومية» للشيخ أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم المتوفى سنة ١٣٢٣ م .

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ١٢٤٩٦ وطبع مغني اللبيب في القاهرة (٢) طبعا في القاهرة ايضاً .

المعجمات

قد تقدم انه في الجيل الاول للهجرة ابتدأ يدخل اللغة العربية الفصحى خللٌ في الفاظها وأساليب التعبير فيها وصار الخلل بهذا المقدار عظيماً حتى كان البدوي المحض لا يفهم الحضري وأورد المؤرخون مثلاً لذلك وهو ان الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يقول « ها البدو لا تفهم كلامي » . ولذلك اضطر العلماء لجمع مفردات اللغة وعباراتها صيانة للغة وحفظا لها من الخلل في المستقبل ومما دعا أيضاً الى ذلك انتشار الدين الاسلامي بين عدة امم اعجمية غريبة تقربوا بسرعة عجيبة فكانت تلزمهم معجمات لدرس مفردات الكلم فيها . ولذلك ابتدأ العلماء بجمع المعجمات ووضع اصول الصرف والنحو في زمان واحد وأول معجم وضع في اللغة هو كتاب « العين» المنسوب الى الخليل بن أحمد الفراهيدي المتقدم ذكره ونسب غيرهم هذا الكتاب الى الليث من ولد نصر بن سيار احد تلامذة الخليل وآخرون الى النصر بن شميل ونصر بن علي المبهضمي تلميذي الخليل أيضاً وقالوا ان الخليل شرع فيه ورتب أوائله ومات فاكمل مناسباً لما وضعه ولذلك وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله وقد رتب فيه الحروف على ما يخرج من الحلق واللهاة فاولها العين والحاء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف ثم ما يخرج من اللسان والحنك ثم ما يخرج من الاسنان ثم منه الشفة وأخيراً حروف العلة الواو والالف والياء .

وقد تقدم ان الخليل هو الذي استنبط علم العروض ومما يحكى من الملح في ذلك ان ولداً له دخل عليه يوماً فوجده يقطع بيت شعر باوزان العروض فخرج الى الناس وقال أبي جن فدخلوا عليه واخبروه بما قال ابنه فقال مخاطباً له :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت انك جاهل فعذرتكا

وبما أنه دخل على اللغة الفصحى خلل اعتمد علماء اللغة أن يستدلوا على معنى الكلمات الحقيقي وعلى حقيقة لفظها مما ورد في شعر أهل الجاهلية وكلامهم أو من مات منهم في الاسلام وزادوا الى ذلك أيضاً القرآن الشريف . فهذان المصدران أي القرآن الشريف وشعر أهل الجاهلية وكلامهم هما أقوى حجة ويعتمد عليهما اكثر مما

يعتمد على الحديث والخطب لان هذين الآخرين ربما جرى عليهما خللٌ أو غلط بالنقل وكانوا في الامور المشكلة يدعون أهل البدو لحلها . ولذلك شعر المولدين لا يعد عند العلماء حجة في الاستدلال عن لفظ الكلمة أو تعيين معناها الحقيقي .

واجتهد علماء اللغة بعد الخليل أن يضعوا معجمات مخصوصة اما لاسماء المواد المنظورة أو لباب من أبواب اللغة فنرى مثلاً ان أباسعيد عبد الملك الاصمعي (المتوفى سنة ٨٢٨ م) وضع :

١ً كتاب خلق الانسان ٢ً كتاب الخيل
٣ً « الابل ٤ً « الشاء
٥ً « السلاح ٦ً « الاضداد
٧ً « غريب الحديث ٨ً « ما اتفق لفظه واختلف معناه

وغيرها كثير [١] .

وهكذا جمع علماء اللغة كلمات عديدة من اللغة الفصحى ودونوها في كتبهم بدون نظام فمعجماتهم كلها ليست سوى مجموعات لمفردات الكلم التي امكنهم تقييدها في ذلك الوقت .

وبما أن عدد المصنفين في اللغة كثير جداً فنقتصر على ذكر أشهرهم :

أولاً : ابو منصور محمد بن احمد (الازهري الهروي) وُلد سنة ٨٩٤ م في هراة ونسب اليها وكان فقيهاً شافعي المذهب دخل بغداد وتلقى العلوم فيها وكان في أرض العرب طالباً للغة ووقع في إسر العرب البادية سنة ٩٢٣ وبقي في اسرهم زماناً طويلاً واستفاد من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً الفاظاً جمة ونوادر كثيرة اودع اكثرها كتابه المسمى «التهذيب اوالمهذب» وهو من الكتب المختارة في اللغة يحتوي على اكثر من عشر مجلدات وله كتاب في غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء في مجلد واحد وجرى في ترتيب التهذيب على النسق الذي وضعه الخليل في كتاب العين المذكور وتوفي ابو منصور الازهري سنة ٩٨٠ م [٢] .

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٥٥ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٨٨ (٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٥٠١

ثانياً : ابو نصر اسماعيل (الجوهري) الفرابي التركي وُلد في مدينة فرابة واليها ينسب وهو تركي الاصل درس العربية على أحسن علماء زمانه وعاش وقتاً طويلاً بين قبائل البدو ليتمكن من اللغة ويستفيد منهم ثم سكن نيسابور واخيراً رمى بنفسه من على سطح بيته فمات سنة ١٠٠٥ وقيل سنة ١٠٠٧م وله قاموس سماه «الصحاح» في اللغة وقد جمع فيه نحو اربعين الف كلمة واشتهر به وسمي لذلك امام اللغة وهذا المعجم مرتب على حروف الهجاء فتجد فيه الكلمات بعد تجريدها من الزوائد اولا التي آخرها ألف مهموزة ثم التي آخرها باء وهلم جراً الى الياء واكل حرف بابٌ مرتب بذاته حسب أول حرف اصلي من الكلمة اولا التي تبدأ بالهمزة ثم التي تبدأ بالباء ثم بالتاء الى الياء واخيراً اعتبر فيه الحرف المتوسط الاصلي . ولا يخلو هذا المعجم من الخلل والغلط ويفسر العلماء ذلك بان ابا نصر لم يصل في مراجعة قاموسه وتنقيحه الا باب الضاد فقط ثم اصابته السوداء فرمى بنفسه من السطح ومات قبل ان يتمم تنقيحه فأتم ذلك تلميذه ابراهيم بن صالح الورّاق . ثم اتى العالم ابو الفضائل الحسن الصغاني وكتب تكملة اوسع من القاموس نفسه سماها التكملة [١] .

ثالثاً : ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف (با بن سيده) المرسي الاندلسي الضرير (المتوفي سنة ١٠٦٦ م) من مدينة مرسية في شرق الاندلس كتب قاموساً مطولا في خمس مجلدات سماه «المحكم» في اللغة وهو مشهور لكثرة مادته ودقة انتقاده وتعدد الامثلة اللغوية فيه . وترتيب الكلمات فيه على نسق كتاب العين المتقدم ذكره [٢]

رابعاً : رضى الدين ابو الفضائل الحسن (الصغاني) (المتوفي سنة ١٢٦٢ م) المذكور اعلاه اصله من لوكر تعلم في غزنة وعاش في بغداد وقد صنف قاموساً مطولا

(١) وقد طبع الصحاح طبع حجر في تبريز واستعان به غوايوس على تأليف قاموس عربي لاتيني طبع سنة ١٧٥٣ في امستردام . وترجم ايضاً للغة التركية . محمد بن مصطفى وانقلي (المتوفي سنة ١٥٩٠ م) المولود في مدينة كلان في بلاد الارمن وطبع في القسطنطينية سنة ١٧٢٨ م

(٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٦٤٢

اسماه « العباب الزاخر » وصل فيه الى حرف الميم في كلمة بكم والكلمات مرتبة فيه على نسق الصحاح .

خامساً : قاضي جمال الدين ابو الفضل محمد المعروف (بابن المكرم) (المتوفي سنة ١٣١١م) عاش في مصر وكتب قاموسه المطول وسماه « لسان العرب[١] » في اللغة وجرى فيه على طريقة أحسن من سبقه من كتبة القواميس وهو مؤلف من ست مجلدات والكلمات فيه مرتبة على نسق الصحاح .

سادساً : مجد الدين أبو الطاهر محمد (الفيروزابادي) (المتوفي سنة ١٤١٤ م) ولد سنة ١٣٢٨ في قرية تدعى كرزو بقرب شيراز وقد طاف كل الشرق لاتقان علومه ودرس على اشهر علماء عصره وقطن في مدينة زبيد في اليمن وقد عينه حاكم هذه المدينة قاضي القضاة فيها وهنا باشر الفيروزابادي بكتابة اكمل قاموس في اللغة العربية مستعيناً « بالمحكم » لابن سيده و «العباب» للصغاني وغيرهما من قواميس السلف وسمى معجمه «اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب» ونوى ان يجعله في ستين مجلد الا أن تلاميذه طلبت اليه ان يضع قاموساً مختصراً ففعل ذلك قبل أن يتم ذاك وسماه « القاموس المحيط » في مجلدين . وان كان قاموس الفيروزابادي قد جمع عدة قواميس اخرى ولا يعتمد عليه كما يعتمد على الصحاح فلا يخلو من أهمية لانه يشتمل على كلمات وعبارات لا نجدها في الصحاح . ومما يتأسف عليه ان رغبة صاحبه في اختصار حجمه كانت تضطره لجعل شروحاته مختصرة بهذا المقدار حتى ان فهمها يبهم أحياناً على علماء العربية نفسهم . وفضلاً عن ذلك انه يورد لايضاح معنى الكلمات امثلة قليلة ولا يذكر المصادر التي اخذ عنها . والكلمات مرتبة فيه على نسق الصحاح .[٢]

---

(١) طبع في مصر سنة ١٣٠٠ في عشرين مجلداً (٢) وقد طبع في كلكته سنة ١٨١٧ م في مجلدين ثم في القاهرة وفي طهران طبع حجر . وترجمه الى اللغة التركية احمد عاصم افندي (المتوفي سنة ١٨١٠م) وطبعه وسماه « الاوقيانوس البسيط ترجمة القاموس المحيط» في سكوتاري سنة ١٨١٠م وفي بولاق سنة ١٨٣٥ . وقد استخرج مختصراً من هذا القاموس جرمانوس فرحات الاسقف الماروني (المتوفي سنة ١٧٣٢م)وسماه «باب الاعراب عن لغة الاعراب» وطبعه الشيخ رشيد الدحداح في مرسيليا سنة ١٨٤٩م.

ومن القواميس الكثيرة الفائدة المرتبة على نسق اوربي يسهل ايجاد الكلمة المطلوبة كتاب «محيط المحيط» تأليف المعلم بطرس البستاني .[(١)]

وفي القرن الماضي صنف الامام محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيري نزيل مصر (المتوفى سنة ١٧٩١ م) شرح القاموس المسمى «تاج العروس من جواهر القاموس» وهو يشرح فيه المواضيع المبهمة من القاموس ويصلح اغلاطه مؤيداً كل ذلك بامثلة عديدة . وقد اشتغل في تأليف كتابه هذا ١٤ سنة وانهاه سنة ١٧٦٨م . وطبع تاج العروس في عشر مجلدات في القاهرة سنة ١٣٠٧ للهجرة .

وهكذا نرى ان علماء العرب قد جمعت في مؤلفاتها كثيراً من شتات اللغة وسيكون هذا جميعه اساساً لبحث العلماء المستشرقين بكل ضبط وترتيب .

قراءات القرآن الشريف

لما ابتدأ العرب يهتمون بتسطير القرآن الشريف واشعار الجاهلية كانت كتابتهم بالقلم الكوفي ولا يخفى ان كثيراً من الحروف في هذه الكتابة يشابه بعضه بعضاً فالباء والتاء والثاء تكتب برسم واحدٍ بلا نقط وكذلك العين تكتب مثل الغين والفاء مثل القاف وما شاكل ذلك . هذا عدا عن ان الحركات لم ترسم في هذا القلم . فيتضح ان قراءة الكتب بهذا القلم قرآءة صحيحة كانت صعبة جداً للقارئ . فاضطر الناس حينئذ الى ازالة تلك الصعوبة فأمر الخليفة عبد الملك (تولى من سنة ٦٨٥ الى سنة

(١) طبع ببيروت في مجلدين سنتي ١٨٦٦ و ١٨٦٩

(ملاحظة) ان قاموس الكلمات المعربة المسمى «المعرب» تأليف أبي منصور موهوب الجواليقي (المتوفي سنة ١١٤٥ م) مدرس آداب اللغة في المدرسة النظاميه في بغداد طبعه ساخو Sachau في ليبسك سنة ١٨٦٧م . اما القاموس المختصر المسمى «التعريفات» تأليف الشريف علي بن محمد الجرجاني (المتوفي سنة ١٤١٣ م) فقد طبعه فلوغل في ليبسك سنة ١٨٤٥ م .

٧٠٥ م) وعهد بذلك الى الحجاج فكلف به العالمين الحسن البصري المتوفى سنة ٧٢٥ م ويحيى بن يعمر المتوفى سنة ٧٤٦ م . ولما ابتدأ هذان العالمان باتمام أمر الخليفة وجدا صعوبات كثيرة ليس فقط في وضع الحركات في القرآن الشريف بل وفي قراءة النص أيضاً . فاجتهدا ووضعا علم القراءات . وفي القرن الثامن كان للقرآن الشريف عشر قراءآت مختلفة بقي منها الى الجيل الحادي عشر بعد تنقيح العلماء سبع قراءآت فقط مشهور منها الى الآن قراءتان قراءة الامام حفص (عاش من سنة ٧٦٠— ٨٠٥ م) تلميذ عاصم وقراءة ورش (المتوفى سنة ٨١٢م) تلميذ النافع ومن العلماء المشهورين في القراءة أولاً : ابو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٨٨٣م) وله كتاب القراءات .(١) ثانياً : ابو بكر احمد بن مجاهد (المتوفى سنة ٩٣٥ م) وله كتاب القراءآت الكبير. ثالثاً : ابو عمر عثمان الداني (المتوفى سنة ١٠٥٢ م) ولد في قرطبة من بلاد الاندلس وسافر الى الشرق لدرس العلوم فيه وعاد الى قرطبة يدرس علوم القرآن والحديث وله كتاب التيسير في القراءات السبع(٢) والمقنع في رسم المصحف . رابعاً : ابو محمد القاسم المعروف بابن فيره الشاطبي (٣) اصله من مدينة شاطبة بشرقي الاندلس وكان فيها خطيباً واتى مصر سنة ١١٧٦ م ودرس فيها علم القراءات وله كتاب «حرز الاماني ووجه التهاني في السبع المثاني» المعروف بالقصيدة الشاطبية وهي منظومة اخذ مافيها من كتاب التيسير للداني اشتهرت في الشرق ولها شروح عديدة (٤) ثم نظم الشاطبي كتاب المقنع للداني ايضاً وسماه «عقيلة اتراب القصائد في اسنى المقاصد» ويسمى ايضاً القصيدة الرائية في الرسم .

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤١٨ .

(٢) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٣٨١٤ .

(٣) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٢٢ :

(٤) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد نمرة ٤٤٦٨ .

تفسير القرآن

ان القرآن الشريف وحيٌ من الله تعالى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم آيات فآيات في مدة عشرين سنة في اوقات واحوال مختلفة ولذلك توجد فيه بعض آيات تنسخ غيرها ومن المعلوم ان المسلمين يرجعون في كل أمورهم الدينية والدنيوية الى القرآن الشريف فهو دستور لهم في جميع اعمالهم وكانوا في ايام النبي (صلعم) اذا صعب عليهم فهم معنى آيةٍ سألوه فيوضح لهم معناها وبعد وفاته قام الخلفاء الاربعة الاولون بذلك ولكن بعد موتهم اشتدت الحاجة للتفسير عند المسلمين خصوصاً لما اختلطوا بالاعاجم فكان اول المفسرين ابن عم الرسول عبد الله بن عباس (المتوفي سنة ٦٨٧ م) ولد في مكة ولما توفي الرسول كان له من العمر ثلاث عشرة سنة وفي سنة ٦٤٧ م جاهد مع المسلمين في غزوة افريقيا وكان في ايام الخليفة علي بن ابي طالب عاملاً على البصرة وبعد وفاة علي استعفى وسكن الطائف (وهو جبل بقرب مكة) وتفرغ للبحث في العلوم. ولم يتداخل اصلاً في امر الخلافة حتى لما استولى بنو أمية عليها بقي ابن عباس ساكن البال وذلك لانه كان محباً للسلام واكتفى بما عنده من المال وما حازه من الشهرة بالمسائل الدينية فكان كثيراً من القراء والفقهاء والقضاة والمؤرخين والشعراء يكتسبون من بحر علمه ويدرسون عليه وكانوا يستفهمون منه عن كل المشكلات والمسائل الغامضة في القرآن الشريف فكان يجاوبهم دائماً على اسئلتهم باجوبة صريحة ويفسر لهم ما صعب عليهم فهمه فدعي لذلك « حبر العرب وترجمان القرآن » . والحق يقال انه اول من وضع علم تفسير القرآن[1] . وتبعه بعد ذلك كثيرون من العلماء سنذكر هنا اشهرهم : الا انه يقتضي اولاً ان نقول ان القرآن كان نبعاً لعلماء المسلمين يستقي منه النحاة والفقهاء واهل الكلام والفلاسفة كلٌ حسب غرضه : فبعضهم فسره والبعض اوله والتفسير هو ايضاح معنى مفردات الكلمات وعلاقتها

---

(١) انظر مقدمة الجزء الثالث من سيرة الرسول تأليف سبرنجر Sprenger المسمى Das Leben Mohammep . وتأليف نولدكي Noldeke المسمى Der Koran

النحوية والتأويل هو ايضاح منطقي يختص باتباع الافكار وارتباط بعضها ببعض

فمن مفسري القرآن :

اولاً : ابو جعفر محمد بن جرير (الطبري) ولد بآمل طبرستان سنة ٨٣٨ م وكان من الائمة المجتهدين عالماً شهيراً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وله مصنفات جليلة في عدة فنون منها التفسير الكبير (نحو ٣٠٠٠ ورقة) جمع به كل ما وصل اليه بالنقل وله فيه مباحث لم يسبقه اليها احد .[١]

ثانياً : ابو اسحق احمد بن محمد (الثعلبي النيسابوري) (توفي سنة ١٠٣٥ م) صنف كتاب التفسير الكبير ويسمى ايضاً الكشف والبيان وهو صحيح النقل موثوق به وله ايضاً كتاب العرائس في قصص الانبياء[٢]

ثالثاً : ركن الدين ابو محمد حسين بن مسعود المعروف (بالفراء) البغوي (توفي سنة ١١٢٢ م) اصله من خراسان من بلدة واقعة بين مرو وهراة يقال لها بغ وبغشور وكان بحراً في علوم التفسير والفقه وله كتاب «معالم التنزيل» في تفسير القرآن الكريم طبعه في بمباي سنة ١٢٦٩ هجرية وكتاب «المصابيح والجمع بين الصحيحين» وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم اختصره محمد بن عبد الله الخطيب (المتوفي سنة ١٣٣٦ م) وسماه « مشكاة المصابيح »[٣]

رابعاً : ابو القاسم محمود (الزمخشري) (وقد مر الكلام عنه في فصل الامثال والنحاة) ونخص بالذكر هنا كتابه المسمى «الكشاف» في تفسير القرآن وهو من التفاسير التي لم يصنف مثلها[٤]

خامساً : ناصر الدين ابو الحسين عبد الله (البيضاوي) (المتوفي سنة ١٢٨٦م)

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٥٦ وكشف الظنون لحاجي خلفا المجلد نمرة ٢١٦١ . وطبع التفسير الكبير في هذا العام بمصر في ١٥ مجلداً . (٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٢

(٣) طبع سنة ١٨٥١ وطبعت ترجمته الانكليزية في كلكته سنتي ١٨٠٩ و ١٨١٠م

(٤) طبع في كلكته سنة ١٨٥٦ م

الفقيه الشافعي من مدينة بيضاء بقرب شيراز وله عدة مصنفات في التفسير والفقه منها كتاب مشهور جداً يدعى انوار التنزيل واسرار التأويل [٢] ويعد من احسن المصنفات في هذا الباب [٣] اما مؤلفاته في علم الكلام والفقه فلم تطبع الى الآن .

ونذكرهنا ايضاً تفسيرللقرآن يسمى تفسير « الجلالين » اي جلال الدين محمدالمحلي (المتوفي سنة ١٤٥٩ م) وصل به الى سورة الاسرى وجلال الدين السيوطي الشهير المتوفى سنة ١٥٠٥) أتمه [٤] . وللسيوطي مصنفات عديدة نذكر منها هنا ايضاً « الاتقان في علوم القرآن [٥] »

الحديث والسنة

كل ما في القرآن الشريف هو فرض واجب على كل مسلم وكثير من واجبات المسلمين أجملت فيه فاقتدى المسلمون الاولون بالرسول و بعد وفاته باقواله وافعاله وقد روى الصحابة عنها وحفظها المسلمون بكل حرص وتسمى عندهم « السنة » وكان اول الحافظين لها ابو هريرة (توفي سنة ٦٦٧ م) عرف منها ٣٥٠٠ حديثاً درسها لنحو ثمانمائة تلميذ وعروة بن الزبير وعكرمة وكانت الاحاديث تلقن شفاهياً وتحفظ عن الملقن مع اسمه ونسبه كشاهد على صحة ما يروي وهكذا ازداد عدد الملقنين من جيل الى آخر حتى بلغ عدد ملقني حديث واحد نحو العشرين شخصاً . وتسمى سلسلة اسماء الملقنين اسناداً وسند وكل حديث له سند يسمى مسند . وقد ازداد عدد المسندات منها في الجيلين الاولين للهجرة حتى بلغ اكثر من ستمائة الف حديث ولكن على ما ظهر من تحقيق علماء المسلمين ان بعض الناس لاجل اغراض دينية وآخرين لاجل اغراض دنيوية اختلقوا احاديث من انفسهم ولذلك اخذ العلماء في تمحيص الاحاديث وتدوين الصحيح منها .

---

(١) طبعه فريتغ في ليبسيا سنة ١٨٤٥ م (٢) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الاول نمرة ١٤٠٢ . (٣) طبع طبعة حجر في كلكته سنة ١٨٤٠ م وفي القاهرة سنة ١٨٦١ م . (٤) طبع في كلكتة سنة ١٨٤٩ وفي القاهرة سنة ١٨٦١ م .

اولهم : ابو عبدالله محمد (البخاري) ولد سنة ٨٠٩ م في بخارى من اعظم مدن ما وراء النهر وجال مدن العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد ودرس فيها الحديث وحكى عن نفسه قال « صنعت كتابي الصحيح لستة عشر سنة خرجته من ستمائة الف حديث وجعلته حجة فيما بيني و بين الله » وكتابه هذا يعني الجامع الصحيح يعتمد عليه عند علماء الحديث والفقه وفيه ٧٢٧٥ حديثاً مرتبة في ابواب مطابقة لابواب علم الفقه اولاً باب الطهارة ثم باب الصلاة والصوم وهلم جرا [(١)]. وتوفي ابو عبد الله البخاري سنة ٨٧٠ م في خرتنك وهي قرية من قرى سمرقند . [(٢)]

ثانيهم : تلميـــذ البخاري ابو الحسين (مسلم بن الحجاج النيسابوري)

ولد في نيسابور سنة ٨٢١ م ودرس على كثيرين من علماء عصره منهم ابو عبدالله البخاري وقدم بغداد غير مرة وصنف فيها كتابه الجامع الصحيح المحتوي على اثني عشر الف حديث انتخبها من ثلاثمائة الف حديث [(٣)] وهو مشهور في افريقيا شهرة صحيح البخاري في الشرق : وتوفى ابو الحسين مسلم في نيسابور سنة ٨٧٥ م . [(٤)]

ثالثهم: ابو داود سليمان بن الاشعث (السجستاني) (المتوفي سنة ٨٨٩ م) جمع كتاب السنن وعرضه على الامام احمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه وكان مجموعاً فيه اربعة آلاف وثمانمائة حديث . [(٥)]

رابعهم : عيسى محمد (الترمذي) (المتوفي سنة ٨٩٢م) وهو تلميذ البخاري ايضـاً صنف كتاب الجامع الكبير . [(٦)]

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٣٩٠٨ . وطبع الصحيح في القاهرة سنة ١٢٨٠ هجرية في ثلاث مجلدات ثم في ليدن سنة ١٨٦٢ .

(٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٥٥ .

(٣) طبع في كلكته سنة ١٣٧٠ للهجرة (٤) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٣٩٠٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٩١ وكتاب الفهرست صفحة ٢٣١ .

(٥) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثالث نمرة ٧٢٦٣ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحه ٢١٤ . (٦) انظر كشف الظنون

خامسهم : ابوعبد الرحمن احمد (النسائي) اصله من خراسان وسكن مصرفانتشرت بها تصانيفه واخذ عنه الناس وخرج الى دمشق وعذب فيها الى ان مرض وحمل الى مكة ومات فيهاودفن بين الصفا والمروة سنة ٩١٦م ومن مصنفاته كتاب «السنن» جعل له مختصراً سماه «المجتبى» [١]

فهذه المجموعات الخمس صارت دستوراً قانونياً لكل من درس الحديث وعمل به من الاسلام . أما علماء الحديث في الاجيال التالية فاشتغل بعضهم بتفسير مجموعات الصحاح المذكورة وغيرهم بتصنيف اذيال لها سموها المستدركات وآخرون اجتهدوا بجمع كل ما صحح من الحديث في مجلد واحدمنهم ابو الحسن رزين (العبدري) (المتوفى سنة ١١٣٩م) في كتابه المسمى «تجريد صحاح السنة » جعل مجموعات الحديث الست القانونية مجلداً واحداً في ابواب لم يغيرها . ثم الامام مجد الدين ابو السعادات المبارك ابن أبي الكرم المعروف (بابن الاثير الجزري) (المتوفى سنة١٢١٠م) اخوالمؤرخ الشهير صاحب الكامل وضع كتاب «جامع الاصول واحاديث الرسول» جمع فيه بين الصحاح الست على ما وضعه رزاين العبدري وزاد عليه زيادات كثيرة . [٢]

لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٢٩١٠ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحه ٤٨٤ · وطبع الجامع الكبير في دهلي سنة ١٨٤٤ و١٨٤٩م

(١) طبع طبعة حجر في دهلى سنة ١٨٥٠ م .

(٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٤١ .

الفقه

ان اصول الادلة الشرعية الاسلامية اربعة : (القرآن الشريف) و (السنة) المبنية له و (الاجماع) و (القياس). فعلى عهد الرسول (صلعم) كانت الاحكام تلقن منه بما يوحي اليه ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر او قياس ومن بعده تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر واما السنة فاجمع الصحابة على وجوب العمل بما يصل الى المسلمين منها قولاً وفعلاً بالنقل الصحيح . فتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلتهما لاجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلا ثابتاً في الشرعيات ثم نظر التابعون للصحابة في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيمون الاشباه بالاشباه منهما ويناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فان كثيراً من الوقعات بعد الرسول لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت والحقوها بما نص عليه بشروط في ذلك الالحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع أدلة الشرع . (١)

فدرس هذه الاصول الاربعة واستخراج القوانين الشرعية منها صار علماً مستقلاً يسمى « اصول الفقه » . واخذ العلماء يجتهدون بدرسه وتنقيحه كلٌّ حسب مداركه وانظاره فوقع بينهم خلاف لا بدَّ من وقوعه بسبب اختلاف العلماء في مداركهم وانظارهم فتولد من ذلك اربعة مذاهب مختلفة هي :

(الحنفية) و (المالكية) و(الشافعية) و (الحنبلية) فالاول : مذهب الامام (ابي حنيفة نعمان بن ثابت) المسمى الامام الاعظم ولد في الكوفة سنة ٦٩٩ م ونشأ ودرس فيها الفقه ثم نقله الخليفة المنصور من الكوفة الى بغداد واراد ان يوليه فيها القضاء فابى فاودعه المنصور السجن فتوفي فيه سنة ٧٦٧ م . قيل انه افتى خمسماية الف فتوى وقد اشتهر

(١) انظر مقدمة ابن خلدون طبع مصر سنة ١٢٧٤ للهجرة صفحة ٢٢٠

بالقياس وقال الشاعر يمدح ابا حنيفة :

اذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدة من الفتيا طريفه
أتيناهم بمقياس صحيح تلاد من طراز ابي حنيفه
اذا سمع الفقيه بها دعاها وأثبتها بحبر في صحيفه

وله من الكتب « كتاب الفقه الاكبر »[1] . ومذهب ابي حنيفة منتشر الآن في كل البلاد العثمانية الاوربية والاسوية وهندستان وتركستان و بين التتر القاطنين بلاد روسيا وقليلا في مصر .

واشتهر من تلاميذ ابي حنيفة ونشر مذهبه العلماء الآتي ذكرهم :

١ً : قاضي القضاة (ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري) حكى عليّ بن الجعد قال اخبرني « ابو يوسف القاضي قال : توفي ابي وخلفني صغيراً في حجر أمي فاسلمتني الى قصار اخدمه فكنت أدع القصار وأمر الى حلقة ابي حنيفة فأجلس اسمع فكانت أمي تجيء خلفي الى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي الى القصار وكان ابو حنيفة يعني بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك على امي وطال عليها هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وانا اطعمه من مغزلي وآمل ان يكسب دانقاً يعود به على نفسه فقال لها ابو حنيفة مري يارعناء ها هوذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له انت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت اجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قدم الى هارون الرشيد فالوذجة فقال لي يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذا يا امير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم اضحكك فقلت خيراً يا امير المؤمنين فقال لتخبرني فاخبرته بالقصة من اولها الى آخرها فتعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع ديناً ودنيا وترحم على ابي حنيفة وقال « كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره بعين رأيه » وُلد ابو يوسف سنة ٧٣١ م في الكوفة وسكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٢٠١ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ١٦٣ . وطبع « كتاب الفقه الكبير » لابي حنيفة في لكنوسنة ١٢٦٠ هجرية .

الخلفاء المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله ويقال انه هو اول من غير لباس العلماء الى الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان قبلاً ملبوسهم لا يتغير عن ملبوس غيرهم من الناس ولابي يوسف كتب عديدة في الأصول والأمالي منها كتاب «الصلاة» وكتاب «الزكاة» وكتاب «الصيام» وكتاب «الفرائض» وكتاب «البيوع» وغيرهما من فروع الحنفية وتوفي ابو يوسف في بغداد سنة ٧٩٨ م [١]

٢ : محمد بن الحسن (الشيباني) ويكنى ابا عبد الله وُلد بواسط ونشأ بالكوفة واخذ علم الفقه عن ابي حنيفة في الكوفة ثم قدم بغداد وجالسه وسمع منه الحديث واخذ عنه الرأي ثم خرج الى الرقة فولاه الرشيد القضاء بها ولما خرج الرشيد الى خراسان صحبه فمات بالري سنة ٨٠٤ م وله كتب عديدة في الاصول تتضمن اكثر مسائل الشرع [٢] منها « الجامع الصغير » الذي هو عمدة لكل فقيه ومفتي .

فهذان الفقيهان تلميذا ابي حنيفة وقد نشرا مذهبه . ورأيهما اذا اتفقا يعادل رأي ابي حنيفة ولذلك يقول علماء الشرع اذا كان ابا حنيفة في جانب وابا يوسف ومحمد في جانب فالمفتي بالخيار ان شاء اخذ بقولها وان كان احدهما مع ابي حنيفة يأخذ بقولهما البتة الا اذا اصطلح المشايخ بقول ذلك الواحد فيتبع اخيرهما .

ونتكلم هنا عن اشهر الفقهاء الحنفيين : القدوري والمرغيناني وابراهيم الحلبي .

١ : ابو الحسين احمد بن محمد المعروف (بالقدوري) المتوفي سنة ١٠٣٧ م . وُلد سنة ٩٧٢ في بغداد ودرس العلم فيها و برع في الفقه حتى انتهت اليه رئاسة الحنفية في العراق وكان يناظر الشيخ ابا حامد الاسفرايني الفقيه الشافعي [٣] وصنف في مذهبه « المختصر في فروع الحنفية » وهو مشهور . [٤]

٢ : شيخ الاسلام برهان الدين ابو الحسن علي (المرغيناني) المتوفي سنة

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٣٠٣ والفهرست صفحة ٢٠٣ . (٢) انظر الفهرست صفحة ٢٠٣ . (٣) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٩ . (٤) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ١١٦٢٥ ووفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٢١ . وطبع المختصر

١١٩٦م . الف مختصراً في فروع الحنفية سماه «بداية المبتدي» اخذه عن مختصر القدوري والجامع الصغير للشيباني المذكورين سابقاً والأبواب فيه مرتبة على نظام الشيباني في جامعه [1] ثم شرحه وسمى الشرح «بالهداية» .

٣ : الشيخ (ابراهيم بن محمد الحلبي) المتوفي سنة ١٥٤٩ م جمع اهم ما كتبه علماء الفقه الحنفي في الشرع ونظمه في كتاب سماه «ملتقى الابحر» وعليه يعتمد القضاة في المملكة العثمانية وهو دستور لهم وشرحه عدة من العلماء [2]

والثاني: مذهب الامام ابي عبدالله (مالك بن أنس المدني) وُلد في المدينة سنة ٧١٣ م واخذ العلم عن اشهر علماء عصره وكان تقياً ذا وقار وهيبة يقال انه كان اعلم اهل عصره بالقرآن والسنة وباقاويل الصحابة المتقدمين فاشتهر صيته وجاءه الطلبة من كل الحجاز يدرسون عليه فصار فقيه الحجاز وسيدها في وقته وله كتاب «الموطأ» طبع في تونس وتوفي الامام مالك في المدينة سنة ٧٩٥ وله من العمر ٨٢ سنة . [3]

ونخص بالذكر هنا من تلاميذه :

ابا عبد الله عبدالرحمن القاسم (العتقي) المتوفي سنة ٨٠٦ م . صاحب كتاب «المدونة» جمع فيه الفروع الشرعية على مذهب استاذه الامام مالك ثم نقح هذا الكتاب تلميذه قاضي القيروان ابو سعيد عبد السلام التنوخي المعروف بشحنون (المتوفي سنة ٨٥٤م) [4]

في قازان سنة ١٨٨٠ وفي القسطنطينية سنة ٢٦٨ هجرية وسنة ١٢٩٢ هجرية مع شرح الميداني وفي دهلى سنة ١٨٤٦ وله شروح عديدة .

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٣٩١٣ والمجلد السادس نمرة ١٤٣٦٦ . وطبعت الهداية في القسطنطينية سنة ١٢٩٠ هجرية .

(٢) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد السادس نمرة ١٢٨٤٨ . وطبع ملتقى الابحر في القسطنطينية سنة ١٢٥١ هجرية وفي القاهرة مرتين سنة ١٢٦٣ و١٢٦٥ هجرية وطبع شرح لهذا الكتاب يسمى «مجمع الانهر على ملتقى الابحر» للشيخ زاده محمد بن سليمان في القسطنطينية سنة ١٢٤٠ هجرية . (٣) انظر الفهرست صفحة ١٩٨ ووفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٤٣٩ . (٤) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٢٩١ .

وضبطه ورتب ابوابه فجاء كتاباً مفيداً كثير الطلب وبسببه تسهل انتشار مذهب مالك في بلاد المغرب واسبانيا . ومن فقهاء المالكية نذكر ايضاً : (خليل ابن اسحق الجندي) (المتوفي سنة ١٢٦٥ م) صاحب كتاب المختصر في فروع المالكية المعول عليه في زماننا في بلاد المغرب .[١]

والثالث : مذهب الامام ابي عبدالله محمد(الشافعي) . وُلد في مدينة غزة سنة ٧٦٧ م وحمل منها وهو ابن سنتين الى مكة فنشأ فيها وقرأ القرآن ورحل الى المدينة الى الامام مالك ودرس عليه وقدم بغداد مرتين ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة ٨١٤ م ودرس فيها الفقه ولم يزل بها الى ان توفي سنة ٨٢٠ م ودفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم واتفق العلماء قاطبة من اهل الحديث والفقه والاصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقة الامام الشافعي وامانته وعدالته وزهده وورعه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه وللشافعي اشعار كثيرة تنسب اليه منها :

كلما ادبني الدهر ... اراني نقص عقلي
وكلما ازددت علماً ... زادني علماً بجهلي

وله كتاب «المبسوط» في الفقه[٢] . واكثر تبعة الشافعي في الهند ومصر وخصوصاً في القاهرة . ومن تلاميذه نخص بالذكر :

١ : أبا ابراهيم اسماعيل بن ابراهيم (المزني) المتوفي سنة ٨٧٨م . من مزينة وهي قبيلة من قبائل العرب وكان من أفقه اصحاب الشافعي واكبر من ساعده في انتشار مذهبه عاش في مصر ومات فيها وله كتاب «المختصر» وعليه يعول الشافعيون وقد شرحوه .[٣]

٢ : ابا الحسن علي بن محمد البصري المعروف (بالماوردي) المتوفي سنة ١٠٥٨م . درس الفقه في البصرة وبغداد وبرع فيه حتى صار من وجوه الفقهاء الشافعيين

---

(١) طبعه في باريز وترجمه الى اللغة الفرنسية العلامة پرون Perron سنة ١٨٤٨ و١٨٥٥ م . (٢) انظر الفهرست صفحة ٢٠٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٤٧ . (٣) انظر الفهرست صفحة ٢١٢ .

وتولى القضاء في عدة بلدان ثم استوطن بغداد ومات فيها وله مصنفات منها مطوّل في الفقه يسمى «الحاوي» وكتاب « الاحكام السلطانية» . [١]

٣: احمد ابن الحسين الاصبهاني المعروف (بابي شجاع) صاحب كتاب « المختصر في الفقه الشافعي » ويسمى ايضاً «الغاية في الاختصار ». [٢]

والرابع : مذهب الامام ابي عبدالله (احمد بن حنبل المروزي) المتوفي سنة ٨٥٥م . اصله من مرو قيل انه ولد فيها وقيل ولد في بغداد كان من اصحاب الامام الشافعي ولم يزل مصاحبه الى ان انتقل الشافعي الى مصر وقال في حقه خرجت من بغداد وما خلفت فيها اتقى ولا افقه من ابن حنبل ودعي الى القول بخلق القرآن فلم يجب فضرب بامر الخليفة المعتصم بالله وحبس ومات بالحبس ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد ولم يسمع اشهر من جنازته حضرها من الرجال ستمائة الف ومن النساء ستون الفاً وكان لمذهبه في ايامه تبعةٌ عديدة ولكن الآن عددهم قليل جدًّا بعضهم في بلاد العرب وبعضهم في مدينة بلخ . [٣]

ومن اصحاب ابن حنبل ابو القاسم عمر بن الحسين (الخرقي) المتوفي سنة ٩٤٥م. صاحب «المختصر في فروع الحنابلة» شرحه الشيخ موفق الدين عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي (المتوفي سنة ١٢٢٣ م) وسماه «المغني» [٤] ولابن قدامة ايضاً مصنفات عديدة في فروع الحنابلة .

وعدا الاربعة الائمة المشار اليهم كان في اواخر القرن الثامن امامان آخران ايضاً اجتمع الناس على مذهبهما ولكن بعد وفاتهما لم يبق لهما تبعة وهما الامام عبدالله (سفيان

(١) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٣٢٦ . وطبع كتاب الاحكام السلطانية أنغر Enger في باريز سنة ١٨٥٣ وترجم الى الفرنسية سنة ١٩٠٢ .

(٢) طبعه وترجمه الى الفرنسية كايزر Keizer في ليدن سنة ١٨٥٩ م .

(٣) انظر الفهرست صفحه ٢٢٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحه ١٧. (٤) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ١١٦٠٩ .

ابن سعيد الثوري) المتوفي سنة ٧٧٧ م[١] أبقى لنا كتاب «الجامع الكبير والصغير» وكتاباً في الفرائض وابو سليمان داود بن علي المعروف (بالظاهري) وكان تبعته يعرفون بالظاهرية توفي سنة ٨٨٤ م[٢] وكان يفهم القرآن بحسب ظاهر الكلام فقط ولم يعتبر ادلة السنة والقياس ولذلك انقرضت تبعته بعد موته بقليل.

اما (فقهاء الشيعة) فيختلفون عن اهل السنة في امور كثيرة واول كتاب ظهر للشيعة في الفقه كتاب سليمان بن (قيس الهلالي) رواه ابان بن (ابي عياش) ثم اشتهر كتاب «شرائع الاسلام» لنجم الدين (ابي القاسم جعفر بن محمد الحلي) المحقق المتوفي بين سنة ٦٦٠ و٦٧٦ هجرية.[٣]

علم الكلام

هو علم يقتدر به على اثبات المقاصد الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبهة عنها وموضوعه عند المتقدمين ذات الله سبحانه وتعالى وقيل الموجود من حيث هو موجود وعند المتأخرين المعلوم من حيث يتعلق به اثبات المقاصد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً.[٤]

ونشأ هذا العلم ونما بعد الفقه بزمان قليل وذلك عندما ظهرت في الاسلام البدع المختلفة المناقضة لعقائد الدين الاسلامي الاساسية او الرافضة لها. فالناس بعد النبي (صلعم) بسبب الحروب والفتن لم تتفرغ للافتكار في العقائد الدينية والنظر فيها ولكن في الجيل الثاني لما تربى الناس في الدين جعلوا يدرسون نصوص الكتاب ويفتكرون بها وكثير من العلماء العارفين بالتاريخ وكتب اليهود والنصارى وعقائد الفرس القديمة شرعوا في مقابلة تعليم كتابهم بالعقائد المذكورة واستخرجوا من تلك المقابلة نتائج ادت بهم الى اختلاف آرائهم في القصائد الدينية كالتوحيد وصفات الله تعالى والقضاء والقدر

(١) انظر الفهرست صفحة ٢٢٥ ووفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٢١٠.

(٢) انظر الفهرست صفحة ٢١٦ ووفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ١٧٥.

(٣) طبع في كلكته سنة ١٨٣٩ وطبع منه في قازان الاستاذ كاظم بك جزءاً هو كتاب «البيوع». (٤) أنظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس صفحة ٢٢٨.

والاستدلال بالعقل في مسائل الدين وغير ذلك مما كان سبباً لظهور الشيع المتعددة منها البدعة (القدرية) نسبة الى القدر وهم يجحدون القضاء والقدر ويثبتون القدرة للانسان في العمل والايجاد ويقولون انه لا يحتاج في ذلك الى معاونة من محبة الله تعالى خلافاً (للجبرية) الذين ينفون استطاعة الانسان قبل الفعل ومعه وبعده وينفون ايضاً له الاختيار والكسب [1]. ومنهم ايضاً (الصفاتية). وذلك ان جماعة كثيرة من المسلمين الاولين كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية مثل العالم والقادر والحي وهلم جرّاً ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل وكذلك يثبتون صفات جبرية مثل الخالق والمستوي ولا يؤوّلون ذلك فاتت (المعتزلة) ونفوا الصفات بالاجمال فأخذ بعض اهل السنة في اثبات الصفات الى حد التشبيه بصفات المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الافعال عليها وما ورد به الخبر فافترقوا فرقتين: الاولى منهما تسمى الصفاتية وهم يشبهون صفات الله بصفات المخلوقات [2] ومن الصفاتية فرقة تدعى (الكرامية) اصحاب (ابي عبد الله محمد بن كرام يثبتون الصفات وينتهون فيها الى التجسيم والتشبيه والثانية (المعتزلة) وهم الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وان المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده أولهم:

ابو حذيفة (واصل بن عطاء الغزال) ولد في المدينة سنة ٦٩٩ م ونشأ في البصرة ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصري وكان يلغث بالراء ومع ذلك كان فصيحاً وإعتزاله يدور على اربع قواعد هي نفي الصفات والقول بالقدر والقول بالمنزلة بين منزلتين [3] ووجوب الخلود في النار على مرتكب كبيرة. وتوفي ابو حذيفة سنة ٧٤٨ م [4]. ثم (المرجئة) ووهم يرجون لاصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى ويقولون لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة. [5]

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون طبعة بولاق ٣٤٩. (٢) انظر كتاب الملل والنحل للشهر الثاني طبعة مصر الجزء الاول صفحة ٤٩.

(٣) اي ان المؤمن العاصي والكافر الصالح ليسا بمؤمنين ولا بكافرين بل هما في منزلة بين هاتين المنزلتين. ٤ انظر مقدمة ابن خلدون صفحة ٣٤٩.

(٥) انظر مقدمة ابن خلدون صفحة ٣٤٩.

ومن مشاهير علماء الكلام القائمين بنصرة مذهب السنة ابو الحسن علي بن اسماعيل (الاشعري) ولد بالبصرة سنة ٨٧٣ م وكان معتزلياً الى الثلاثين من عمره ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة في المسجد الجامع بالبصرة . وخلا ما صنفه من الكتب العديدة في علم الكلام التي يدحض بها آراء اصحاب البدع جميعها ويؤيد اعتقاد مذهب السنة كان ابو الحسن يجلس ايام الجمع في جامع المنصور ببغداد ويجادل اهل البدع وله في ذلك ٥٥ تصنيفاً اكثرها قد ضاع وتوفي بالبصرة سنة ٩٣٥م .(١)

ومن معاصري ابي الحسن الاشعري (ابو المنصور محمد الماتردي الحنفي) المتوفي سنة ٩٤٤ م . له كتب عديدة في تأييد اعتقاد اهل السنة .

ومن مشاهير علماء هذا الفن نخص بالذكر الامام ضيا الدين (ابا المعالي عبد الملك الجويني الشافعي المعروف بامام الحرمين) ولد في مدينة جوين في خراسان سنة ١٠٢٨م وتفقه في صباه على والده ابي محمد ولما توفي والده قعد مكانه للتدريس ثم خرج الى بغداد والحجاز وجاور بمكة والمدينة ولقي العلماء ودرّس وأفتى فيهما ولذلك قيل له امام الحرمين ثم عاد الى نيسابور فبنى له نظام الملك وزير السلطان ألب ارسلان السلجوقي المدرسة النظامية وتولى الخطابة في نيسابور أيضاً وكان يجلس للوعظ والمناظرة وفوض اليه امور الاوقاف وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع . وصنف كتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب» حسب المذهب الشافعي وكتاب «البرهان في اصول الفقه» و« تلخيص التقريب والارشاد والعقيدة النظامية » وغيرها . توفي سنة ١٠٨٥ م في قرية قرب نيسابور ونقل الى نيسابور ودفن في داره ثم نقل الى مقبرة الحسين ودفن بجانب ابيه .(٢)

ولما انتشرت الفلسفة اليونانية بين العرب في القرن الحادي عشر وصارت معياراً لبعض الفلاسفة في امور الدين يتهدد دحض العقائد قام في ذلك الجيل يناظر الفلاسفة :

اولاً : (الامام ابو حامد محمد الغزالي) ولد سنة ١٠٥٨ م في قرية قرب طوس

(١) انظر مقدمة ابن خلدون صفحة ٣٥٨

(٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٨٧

واشتغل في بدء امره بالعلم في طوس ثم قدم نيسابور ودرس على إمام الحرمين المذكور وصار من الاعيان في زمن استاذه ولم يزل ملازماً له الى ان توفي فخرج من نيسابور ولقي الوزير نظام الملك فاكرمه وعظمه وكان بحضرة الوزير جماعة من العلماء فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس فظهر عليهم ثم فوض اليه التدريس بمدرسته النظامية ببغداد فألقى الدروس بها واعجب اهل العراق . وبعد ذلك درّس بالشام بمدينة دمشق والبيت المقدس ثم عاد الى وطنه طوس واشتغل في التصنيف والتدريس . ومن انفس مؤلفاته كتاب « احياء علوم الدين » . [1] وتوفي سنة ١١١١ م بالطابران قصبة بلاد طوس . [2]

ثانياً : (فخر الدين ابو عبد الله محمد الرازي) المعروف بابن الخطيب . ولد بالري سنة ١١٤٩ م وقد اخذ عن ابيه وعن غيره من العلماء وقصد خوارزم ومهر فيها ورجع الى وطنه وألقى العلوم هناك فكانت تأتيه الطلاب من كل البلاد ثم انتقل الى خوارزم واتصل بالسلطان محمد بن تكش وحظي عنده ودرس في مدرسته بخوارزم ثم انتقل منها الى هراة وكان يناظر هناك اهل البدع ويجيب كل سائل منهم بأحسن اجابة ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية الى مذهب اهل السنة وكان يلقب بها شيخ الاسلام وتوفي فيهاسنة ١٢٠٩م ومن مؤلفاته المشهورة «المحصل»[3] و«المطالب العالية» و«نهاية العقول» وكتاب «البيان والبرهان في الرد على اهل الزيغ والطغيان» وله كتب عديدة في الفقه واللغة والنحو والطب وعلم الفراسة . [4]

ثالثاً : (عضد الدين عبد الرحمان بن احمد الايجي) المتوفي سنة ١٣٥٥ م . مفتي السلطان ابي سعيد في تركستان صاحب كتاب « المواقف » في علم الكلام الفه لغياث الدين وزير خدابنده ولهذا الكتاب شروح عديدة وطبع في القسطنطينية .

واما عقائد الدين فقد بحث فيها كثير من العلماء منهم :

---

(١) طبع في القاهرة سنة ١٣١٢ هجرية في اربعة اجزاء (٢) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٤٦٣ (٣) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس صفحة ١١٥٣٧ (٤) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٧٤ .

(نجم الدين ابو حفص عمر النسفي) المعروف بعلامة سمرقند . صنف كتاباً سماه « العقائد » وله شروح كثيرة [١]

(وحافظ الدين ابو البركات عبد الله النسفي) المتوفي سنة ١٣١٠م . صاحب كتاب « عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة» . [٢]

التصوف

وتكميل هذا الباب نذكرهنا شيئاً عن التصوف وعمن اشتهر من العلماء الصوفيين :

لما كان التصوف ليس ببدعة في الاسلام بل هو كمال له ونرى ذلك من تعريف حاجي خلفا له [٣] حيث يقول « التصوف هو علم يعرف به كيفية ترقي اهل الكمال في مدارج سعاداتهم والامور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية». وقد اورد ما قاله الامام القشيري وهو ان المسلمين في زمان النبي (صلعم) سموا افاضلهم « بالصحابة » لان الافضلية فوق صحبة الرسول وفي العصر الثاني سموا افاضل المسلمين « بالتابعين » وبعده قيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بامر الدين « الزهاد والعباد » فلما ظهرت البدع وصار اصحابها يدّعون أن فيهم زهاداً انفرد خواص أهل السنة المراعون انفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم « التصوف » واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة واول من تسمى بالصوفي : (ابو هاشم الصوفي) المتوفي سنة ١٥٠ للهجرة وسمي الصوفيون هكذا لانهم عادة يلبسون ثوباً بسيطاً من الصوف . وقيل ان الواضعين لهذه الطريقة الحسن والحسين ابنا الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهم والاصح انه الواضع لها (عويس القرني) المتوفي سنة ٦٥٧ م . وكان يعتقد أن الزهد في العالم والعيشة المنقضية في مناجاة الله تعالى والصوم والصلاة هي خير جهاد .

وقد اشتهر بالصلاة والعبادة في القرن الثامن (أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية) توفيت سنة ٧٠٤ م وقيل سنة ٧٥٢ وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على

(٢) انظر كشف الظنون المجلد الرابع نمرة ٨١٧٣ (٢) طبعة كورتون Curcton سنة ١٨٤٣ (٣) انظر كشف الظنون الجلد الثاني صفحة ٣٠٦

جبل يسمى الطور. وكانت رابعة زعيمة عدة من النساء يزرنها ويسمعن وعظها ويصلين معها منهنّ عبدة بنت ابي شوال [١]

واشتهرت ايضاً بالصلاح والعبادة (السيدة النفيسة) من نسل الامام عليٍّ بن ابي طالب زوجة الامام اسحاق بن جعفر الصادق . وكانت عارفة بالحديث ترويه واخذه عنها الامام الشافعي . توفيت في القاهرة سنة ٨٢٣ م وقبرها يزار قرب القاهرة .

وقد كان الصوفيون الى اول القرن التاسع متمسكين بعقائد اهل السنة غير مخالفين لها ولكن من القرن التاسع تعرف كثيرون منهم بتعاليم الفرس والهند الزهدية فتمسكوا بهاوحادواعن السنة . منهم (ابومغيث حسين بن منصور الحلاج) الزاهد المشهور وهو من اهل البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ بواسط وكان يدعي بحلول الالهية فيه فمن كلامه « أنا الحق وما في الجبة الا الله » وغيرذلك مما يدل على كفره وادعى بالمعجزات وتبعه اناس كثيرون فلما حرج الامر أفتت فقهاء بغداد بحل دمه فامر الخليفة المقتدر بحده وقتله فضرب ثم قتل سنة ٩٢٢ م وادعى بعض اصحابه انه لم يقتل بل أُلقي شبهه على عدوله . وقد افرد ابو حامد الغزالي فصلاً طويلاً في كتاب مشكاة الانوار ينكر فيه كفر الحلاج ويعتذر عن الالفاظ الكفرية التي صدرت عنه وحملها على محامل حسنة وأولها وقال هذا من فرط المحبة لله وفرط الوجد به من ذلك قول الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا [٢]

ومن الصوفيين المشهورين بالتقى والعبادة التابعين السنة (أبو طالب محمد بن عطية الحارثي المكي) ولم يكن من اهل مكة بل كان من اهل الجبل العراقي العجمي وسكن مكة ونسب اليها وكان يستعمل الرياضة كثيراً حتى قيل انه هجر الطعام زماناً طويلاً واقتصر على اكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها وكان من علماء الحديث والسنة والكلام وصنف فيها ومن مصنفاته « قوت القلوب في مصالحة المحبوب » في التوحيد . قيل انه اتى في شيخوخته بغداد واجتمع عليه الناس في مجلس الوعظ فخلط في كلامه

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٨٣
(٢) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٤٩

ثم خرف ومات فيها سنة ٩٩٦ م . [١]

ومنهم ايضاً (محيي الدين ابو محمد عبد القادر الجيلي) المتوفي سنة ١١٦٥م. نسبة الى بلاد جيل فيما وراء طبرستان كان ناظراً على تربة الامام ابي حنيفة واشتهر بزهده وعبادته وعلمه فاجتمع اليه كثيرٌ من الناس وهو إمام « الفرقة القدرية » وله كتب عديدة في تعاليمها . [٢]

واشتهر في عصره (ابو العباس احمد الرفاعي) المتوفي سنة ١١٨٢م . كان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب اصله من العرب وسكن البطائح بين واسط والبصرة بقرية يقال لها أم عبيدة وانضم اليه خلقٌ عظيم من الفقراء (اي الصوفيين) وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه والطائفة المعروفة « بالرفاعية والبطائحية » من الصوفيين منسوبة اليه ولاتباعه احوال عجيبة من اكل الحيات وهي حيّة والنزول في التنانير وهي تتضرّم بالنار فيطفئونها ويقال انهم في بلادهم يركبون الاسود . [٣]

ومن اشهر الصوفيين (محيي الدين ابو بكر محمد بن علي المعروف بابن العربي) الطائي المالكي المتوفي سنة ١٢٤٠ . كان اصله من بلاد الاندلس وارتحل الى مصر وطلب فيها العلم وطاف لاجله عدة مدن منها مكة و بغداد واقام فيهما عدة سنين ثم سكن دمشق وتوفي فيها وله مصنفات عديدة في التصوف اشهرمنها كتاب « الفتوحات المكية في معرفة اسرار المالكية والملكية » صنفه في مكة في مقدمة و٦٥ باباً وقال في الباب الثامن والاربعين ان ترتيب ابواب الفتوحات لم يكن على اختيار ولا عن نظر فكري وانما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره [٤]. وقد اختصره الشيخ عبد الوهاب بن احمد الشعراني (المتوفي سنة ١٥٦٥ م) وسمى « المختصر بلواقح الانوار القدسية » [٥]

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٩١ (٢) انظر فوات الوفيات الجزء الثاني صفحة ١ (٣) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٥٥ (٤) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الرابع نمرة ٨٩١٤

(٥) طبع في مصر سنة ١٣٠٨ هجرية

علم الارض ـ (الجغرافيا)

لما كانت العرب في ايام الجاهلية منقطعة عن كل العالم كانت معرفتهم بالبلاد المجاورة لهم قليلة جداً ولكن لما امتد الاسلام وانتشرت سلطة العرب في اقسام الارض واختلطوا بالامم العديدة وصارت لهم مواصلات وعلاقات مع اهل الحضارة في العالم القديم توسعت دائرة معارفهم بالبلاد والاراضي وعدا ذلك نرى ان تعاطي العرب التجارة مع البلاد الغربية ورغبتهم الشديدة بانتشار دينهم واخيراً حب بعضهم للعلم كانت من اعظم الاسباب التي أجبرت كثيرين منهم ان يهاجروا من بلادهم الى البلاد المجاورة لهم حتى ان بعضهم رحل الى بلاد الهند وآخرون الى اقاصي افريقيا وغيرهم الى بلاد الصين ايضاً . وهذا كله مما وسع دائرة معارف العرب في احوال البلدان والممالك الغربية .

وفي القرن التاسع فقط ابتدأت العرب تتعرف بعلم الارض والكرة من مؤلفات اليونان حين ترجمت الى العربية بأمر الخلفاء العباسيين الاولين وسمى بعضهم هذا العلم « بالجغرافيا» (وهي كلمة يونانية معناها وصف الارض) وآخرون بعلم «المسالك والممالك» وغيرهم بعلم « الاطوال والاعراض » او بعلم « البرود » . وأخذ العرب ايضاً عن اليونان ما توصلوا اليه من المعارف في الجغرافيا الفلكية كالقول عن رسم الارض وحجمها وتعيين موقع محل ما من الارض وقياس درجات الدائرة وقسمة المعمور الى سبعة أقاليم . فالقدماء من جغرافيي العرب يبتدئون في عدّ درجات الدائرة كاليونان من الجزائر الكنارية المسماة عندهم الجزائر الخالدات . الا أن ابا الفدا ومن بعده من الجغرافيين يعدون الدرجات من اقصى رأس في غربي افريقيا . وعند ما يصف جغرافيو العرب الارض يقسمونها كلها الى سبعة اقاليم ويعنون بالسبعة الاقاليم سبع دوائر نصف الكرة الشمالية التي تمتد على طول خط الاستواء من حدود الصين الشمالية الى الاوقيانوس الاتلانتيكي . فالاقليم الاول موقعه نحو الشمال من خط الاستواء ويتلوه الثاني وهكذا السابع الى الشمال الاقصى . اما الى الجنوب من خط الاستواء والى الشمال مما وراء الاقليم السابع فلا توجد على رأي الجغرافيين العرب ارض معمورة لشدة الحر والبرد هناك .

ويظهر للمطلع على مؤلفات العرب في الجغرافيا الا النادر منها انها قليلة الافادة وتمل القارئ لانه يقتصر فيها على ذكر اسماء البلاد والاماكن وقلما توصف بها تلك البلاد ومحصولاتها والامم الساكنة فيها وعاداتهم واخلاقهم. ولكن مع كل ذلك فهي مهمة جداً كمصدر يعرف منه وصف الارض في الاجيال الوسطى.

ولكي يكون بحثنا في هذا الباب مستوفي الفائدة نذكر اولاً اشهر التصانيف في وصف الارض ثم الرحلات واخيراً القواميس والمؤلفات المختلفة عن غرائب الارض وعجائبها

فنقول قد سبق لنا الكلام ان الجغرافيا صارت موضوع بحث علمي من اوائل القرن التاسع وذلك حين ترجم الكتاب المسمى Syntatis Megistc في علم الفلك تأليف بطليموس الشهير الذي سمته العرب «المجسطي». ولا نعرف بالحقيقة من ترجم هذا الكتاب الى العربية فالبعض يظنون انه الفيلسوف يعقوب الكندي وآخرون انه الطبيب حنين ابن اسحق العبادي. ولكن الذي نعرفه هو ان جغرافية بطليموس المذكورة ترجمت مرة اخرى الى العربية في ايام الخليفة المأمون (تولى من سنة ٨١٣ الى سنة ٨٣٣ م) بقلم محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي المشهور الذي كان ناظراً على مكتبة بغداد وطالع هذه الجغرافيا بالعربية واخذ عنها رسم الربع المعمور العلامة ابو الفدا على ما يذكر ذلك في كتابه تقديم البلدان. وهذه الترجمة لم تصل الينا. ولم يصل الينا ايضاً كل ما كتبه علماء القرن التاسع بجملته بل نعرف عن بعضهم من كتب غيرهم من الخلف. فان (مسلم الجرمي) الذي وقع اسيراً عند الروم واطلق سنة ٨٣١ م وصف بلاد الروم والمسالك اليها وبعض الامم الساكنة بلاد الشمال مثل الادار والباغار والصقالبة والخزر وغيرهم ووصل الينا مما كتبه شيء قليل. وكذلك ابو عثمان عمرو (الجاحظ) المتوفي سنة ٨٨٧م. صنف كتاب «المسالك والممالك» [1] ولم يصلا الينا ولذلك لا يمكننا ان نحكم لأي درجة بلغ هذان المصنفان قصدهما في كتابيهما.

أما اول كتاب في الجغرافيا وصل الينا هو كتاب «المسالك والممالك» لابي القاسم (عبيد الله بن احمد بن خرداذبه) توفي سنة ٩١٢ م. [2] وجده كان مجوسياً اسلم على يد البرامكة وتولى ابو القاسم البريد [3] والخبر بنواحي الجبل ونادم المعتمد (تولى من

(١) انظر الفهرست صفحة ١٥٠ (٢) انظر الفهرست صفحة ١٤٩

(٣) كان للبريد في ايام الخلافة العربية وكالة مخصوصة وكان رئيس هذه الوكالة

سنة ٨٧٠ الى سنة ٨٩٢ م) وكان يدخل بلا مانع وبلا اذن الى خزانات الخلفاء ويطلع على ما فيها من آثار السلف ولذلك يمكننا ان نؤكد ان كل ما ورد في كتابه مأخوذ عن مصادر ثقة تجعل اهمية عظمى لكتابه . (١)

ومن معاصريه (احمد بن ابى يعقوب اليعقوبي) وقد ترك لنا مختصراً في الجغرافيا سماه كتاب « البلدان » وهذا الكتاب على رأي سبرنغر Sprenger يحتوي على فوائد كثيرة مهمة وجديدة لا نجدها في تصانيف غيره . (٢)

ثم نورد هنا كلاماً عن كتبة الجغرافيا في القرن العاشر:

اولاً : الاديب (ابو زيد احمد بن سهل البلخي) المتوفي سنة ٩٣٤م . وهو حسب قول المقدسي أول من رسم صور الاقاليم اي الخارطات وذيلها ببعض شروحات ضرورية ويغلب انه الف من هذه الشروحات كتابه المسمى « مسالك الممالك » وينسب اليه ايضاً كتاب «تقويم البلدان» .

ثانياً : (ابو الفرج قدامة بن جعفر البصري) المتوفي سنة ٩٤٨م . كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله وهو احد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء صاحب كتاب «الخراج» وهو دليل لعملاء الخراج في اعمالهم أورد فيه بابين في الجغرافيا يعد في احدهما انهر الاقاليم السبعة ويذكر في الآخر كل مسالك البريد في بلاد الخلافة العباسية وأضاف الى كتابه هذا ذيلاً في فتوحات البلاد التي يحصل منها الخراج وهو يحتوي على فوائد هامة في تاريخ تلك البلاد وجغرافيتها . (٣)

يخاطب الخليفة نفسه في ما يلزم من مسائل البريد . واهم ما كان يعتني به الرئيس المراقبة على كل الدوائر الحكومية . وكان لرئيس البريد في كل المدن الكبيرة في الخلافة امناء يوصلون اليه الاخبار عن كل ما كان يحدث في مقاطعاتهم وهو كان يرفعها الى الخليفة نفسه ملخصة او كاملة . (١) طبعه مع ترجمته الى الفرنساوية العلامة باربيه دي مانيار Barbier de Meynard في المجلة الاسوية سنة ١٨٦٥ وطبعه ايضاً في مكتبة الجغرافيين العرب العلامة دي غويه De Goeje في ليدن سنة ١٨٨٩ م .

(٢) وقد طبع دي غويه من هذا الكتاب باب وصف المغرب في ليدن سنة ١٨٥٠ والكتاب باجمعه طبعه يونبول Jieynbolle في ليدن سنة ١٨٦١ .

(٣) انظر الفهرست صفحة ١٣٠ .

ثالثاً : (أبو عبد الله احمد بن محمد الجيهاني) المتوفي سنة ٩٥٦ م وزير صاحب خراسان الامير اسماعيل بن احمد كان مولعاً بعلم الجغرافيا وجمع كثيراً مما اورده في كتابه المسمى كتاب « المسالك والممالك » من حديث كثيرين من سياح عصره . وقال ابن المقدسي : « ليس في كتاب الجيهاني نظام وهو ينتقل فيه من موضوع الى آخر بغير رابطة بينهما فمطالعته تمل القارئ وخصوصاً لانه يطنب في المواضيع القليلة الاهمية ويقصر في المهمة وادركه الموت قبل ان ينقح كتابه » . أما كتاب « البلدان » لابن الفقيه الهمزاني فليس على ما ورد في الفهرست الا ملخص من كتاب المسالك والممالك المذكور أضيفت اليه بعض معلومات من كتب أخرى لا علاقة لها بعلم الجغرافيا .

رابعاً : (ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري) المعروف بابن الكرجي أخذ عن كتاب « صور الاقاليم » لابن زيد البلخي المذكور وزاد على ذلك ايضاً خلاصة اسفاره فصنف كتابه المسمى « مسالك الممالك » (١) وأما ملخص كتاب الاقاليم فمجهول ملخصه (٢) .

خامساً : (أبو القاسم محمد بن حوقل) التاجر البغدادي صاحب الرحلات الكثيرة من سنة ٩٤٣ الى سنة ٩٧٣ م طاف جميع بلدان الاندلس الاسلامية وصقلية وبلاد القوقاس واراضي البلغار ثم صنف كتابه المسمى ايضاً « المسالك والممالك » ذكر فيه كثيراً مما شاهده في سفره ووصف كثيراً من عادات واخلاق الشعوب التي رآها وحكى عن محصولات بلادهم واخذ كثيراً من كتاب الاصطخري (٣) .

سادساً : (شمس الدين المقدسي المعروف بابن البناء) هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء الشامي طاف معظم بلاد الاسلام وأقام مدة طويلة في كل المدن المشهورة ليقف حق الوقوف على عوائد واخلاق اهلها وكان المقدسي بصيرة في أمور الحياة ولذلك كان ينتبه الى ما ينفع ويهم الناس ويشير اليه . واودع كل ذلك في

(١) طبعه دي غويه في مكتبة الجغرافيين العرب سنة ١٨٧٠ م

(٢) طبعه مولر Müller سنة ١٨٢٩ وترجمه الى اللغة الجرمانية موردتمان Mordtman في همبرغ سنة ١٨٤٥ . (٣) وطبع كتابه ايضاً في مكتبة الجغرافيين العرب سنة ١٨٧٣

كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » ويحتوي كتابه هذا ايضاً على فوائد كثيرة أخرى عن محصولات البلاد وتجارتها وعملتها وموازينها وخراجها ما يهم الباحث في تاريخ الشرق ومع ان كتابه لا يخلو من العيب فانه هربا من التكرار يقع احياناً في الاختصار المخل ويعرض عن ذكر المصادر التي أخذ عنها فان نسقه والفوائد المودعة فيه تجعله في اول طبقة علماء الجغرافيا بين العرب . ومن خلفه من علماء هذا الفن اخذوا فقط مؤلفات السلف وجمعوها واعتنوا بتنميق لغة مصنفاتهم اكثر مما اعتنوا بفحواها [١] .

علماء الجغرافيا في القرن الحادي عشر :

(عبيد الله البكري الاندلسي القرطبي) المتوفي سنة ١٠٩٤ م . الذي صار بعد سقوط دولة بني العباد في قرطبة وزيراً في الميرة وله مصنف يصف فيه بلاد الاندلس والمغرب سماه « كشف المسالك والممالك » [٢] .

وقد اشتهر في القرن الثاني عشر بمصنفاته في الجغرافيا :

(أبو عبد الله محمد الادريسي) اصله من أمراء بني ادريس وُلد سنة ١٠٩٩ م . ولما طرده الخليفة الفاطمي من بلاده التجأ الى روجر الثاني ملك صقلية ووضع له بامره الدائرة الفضية . وأتم مصنفه المسمى « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » سنة ١١٥٤م ووصف به الاقاليم السبعة وذيله بتسعة وستين خارطة . ويحتوي هذا المؤلف على فوائد غزيرة ومهمة في الجغرافيا ووصف البلاد والامم والتجارة والصنائع في القرون الوسطى وأما خارطاته فكانت مدة ثلاثة اجيال ونصف مسطرة لكل كتبة الخارطات في أوربا ينسخون عنها ولا يحيدون عنها الا في ما ندر [٣] .

---

(١) وقد طبع كتاب « احسن التقاسيم » العلامة دي غويه في مكتبة الجغرافيين العرب في ليدن سنة ١٨٦٦ . (٢) طبع جزءا منه وهو وصف المغرب العلامة سلان Slane في الجزائر سنة ١٨٥٧ ثم ترجمه الى اللغة الفرنساويه سنة ١٨٥٨ .

(٣) وقد طبعت ترجمة هذا المؤلف مع الخارطات كلها في باريز من سنة ١٨٣٦ الى سنة ١٨٤٠ م باعتناء العلامة جوبرت Jaubert في مجلدين وطبع باب وصف الاندلس والمغرب من هذا المؤلف العالمان دوزي Dozy ودي غويه في ليدن مع ترجمة فرنساوية وشروح وحواش واختصر هذا المؤلف ايضاً احد الادباء من العرب لا

وظهر في القرن الرابع عشر من العلماء في هذا الفن :

(عماد الدين اسماعيل المعروف بابي الفدا صاحب حماة) المتوفي سنة ١٣٣١ م . صنف « تقويم البلدان » وا كمله سنة ١٣٢١ وقسمه الى مقدمة و٢٨ جدولاً شرح في المقدمة أصول الجغرافيا الرياضيـة والطبيعية وفي الجداول وصف من البلاد الاسلامية ستمائة وثلاثة وعشرين بلداً حسبما اخذه عن مصنفات السلف وزاد فيها وصف ما شاهده بنفسه من بلاد العرب والشام ومصر وقد ترجم الى اللغة الفرنسية من تقويم البلدان جزءا مع مقدمة العلامة رينود Reinaud وطبعه في باريز في ثلاث مجـلدات سنة ١٨٤٠ — ٨٤٨ م .

وقد اختصر كتاب ابي الفدا (شمس الدين الذهبي) المتوفي سنة ١٣٤٨ م . ثم رتبه على حروف المعجم لتسهيل أخذه ونفعه (محمد بن علي الشهير بسباهي زاده) المتوفي سنة ١٥٨٨ م ثم ترجمه الى اللغة التركية .

ونبغ في القرن الخامس عشر : (خليل بن شاهين الظاهري) المتوفي في منتصف ذلك القرن كان والياً على الاسكندرية ثم قيماً في دار المسكوكات في القاهرة واخيراً وزيراً ومن مصنفاته « زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك » وهذا الكتاب كما يظهر من اسمه مختصر عن كتاب آخر مطول لنفس المؤلف[١] .

ومن علماء الجغرافيا في القرن السادس عشر : (حسن بن محمد الفاسي المعروف بالاسد الافريقي) طاف منذ صغره اعظم البلاد الاسلامية لاشغاله التجارية ولرغبته في الوقوف على احوال اهلها وأسرته سـنة ١٥١٧ م قرصان البحر النصارى وحملوه الى

يعرف اسمه وطبع مختصره في رومية سنة ١٥٩٢ م ثم ترجم هذا المختصر الى اللغة اللاتينية وطبع في باريز سنة ١٦١٩ وطبع ايضاً في ليبسك سنة ١٨٢٨ من كتاب نزهة المشتاق للادريسي ذكر الشام مع ترجمة اللاتينية . ولهذا الكتاب مختصر آخر يسمى « الجغرافيا » لخصه ابو الحسن علي بن صاعد الفرندي (المتوفي سنة ١٢٧٤ م) ولم يطبع الى الآن .

(١) طبع جزء منـه في كتاب « الانيس المفيد للطالب المستفيد » للعلامة سلوستر دي ساسي .

رومية حيث عمده البابا لاون العاشر وعاش بعـد ذلك في بولونيا ورومية وهو اول من درّس العربية هناك وبعد وفاة البابا لاون العاشر عاد على ما يظن الى افريقيا . وقد وصل الينا من كتبه العديدة كتاب واحد فقط وهو « وصف افريقيا » في تسع مجلدات ترجمه المؤلف الى اللغة الايطالية سنة ١٥٢٦ [١] .

وخاتمة علماء الجغرافيا صاحب كتاب « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » العلامة (مصطفى ابن عبد الله كاتب المعروف بحاجي خلفا) المتوفي سنة ١٦٥٨ م . ألف كتاباً في الجغرافيا ثم ترجمه الى التركية وسماه « جهان نما » أي كاشف الدنيا وهو مرتب على قسمين الاول في البحور وصورها وجزائرها والثاني في البر وبلاده وانهاره وجباله ومسالك ممالكه وعلى ما يظن ان الاصل العربي قد فقد [٢] .

في الرحلات

ان اقدم ما وصل الينا من رحلات العرب وسفراتهم وصف رحلة (السائح سليمان) الى بلاد الهند والصين نحو سنة ٨٥١م . مذيلة بفوائد جمعها (ابو زيد الحسن السيرافي) من التجار الذين سافروا الى تلك البلاد [٣] .

اما رحلة سليمان المترجم التي رحلها بامر الخليفة الواثق بالله سنة ٨٤٦ م الى بلاد الخزر لكي يجد السد الذي بناه اسكندر ذو القرنين ضد يأجوج ومأجوج فما هي حسب رأي العلماء الا مخترعة لا اصل لها .

---

(١) وترجمه عن الايطالية الى اللاتينية فلوريان سنة ١٥٥٦ وترجم ايضاً الى لغات اخرى اوربية . (٢) طبع في القسطنطينية سنة ١١٤٥ هجرية . وترجم منه وصف بلاد الانضول الى اللغة النمساوية والفرنسية .

(ملاحظة) : اظن ان العلامة غرغاس وقع هنا في غلط بعدّه حاجي خلفا بين المؤلفين في الجغرافيا باللغة العربية وعلى ما يظهر من كتابه كشف الظنون المجلد الثاني نمرة ٤٣٥٥ حيث يقول « جهان نما تركيّ في الجغرافيا لجامع هـذه الحروف » انه كتبه بالتركية ولو كان ترجمه من العربية لذكر ذلك في كتابه .

(٣) وقد ترجم هذين الكتابين الى الفرنساوية العلامة رنيودوت

ثم رحلة (احمد ابن فضلان) الى بلاد البلغار والروس سنة ٩٢١ م . ولم يصل الينا من وصل رحلته الا القليل وهو ما اورده ياقوت في قاموسه الجغرافي في كلامه عن الروس . (١)

ومن سياح هذا العصر ايضاً : (ابو دلف مسعر الينبوعي) طاف بلاد التتر والهند والصين سنة ٩٤٢ م وصحب وفد ملك الصين الى صاحب خراسان نصر بن احمد عند عودة هؤلاء الى بلادهم . (٢)

وكثيرون من علماء الاندلس في القرنين الحادي عشر والثاني عشر طافوا بلاد الشرق للبحث فيه ولدرسه منهم : (محمد بن جبير الكناني) كاتب امير الموحدين في غرناطة ساح سنة ١١٨٣ م في بلاد الشرق ووصف البلاد التي زارها وهي صقلية ومصر والشام وغيرها من بلاد المشرق وكل ما شاهده فيها وحكي عن تاريخها وسمى رحلته كتاب « اعتبار الناسك في ذكر الآثار القديمة والمناسك » ويسمى أيضاً رحلة الكناني . (٣)

ونذكر من سياح هذين القرنين ايضاً :

١ً (ابا الحسن عليّ بن ابي بكر الهروي) . وُلد في الموصل وسكن حلب ثم طاف البلاد واكثر من الزيارات وكان يطبق الارض بالدوران فانه لم يترك براً ولا

وسماه : Anciens relations. des Indes et de la Chine اي العلاقات القديمة مع الهند والصين طبع في باريز سنة ١٧١٨ م وبعد ذلك طبع الكتابين مع ترجمة فرنسية العلامة رينود Reinaud في كتاب سماه : Voyages faits par les Arabes et les Persans dans l'Inde et la chine dans le IX siècle اي رحلات العرب والفرس الى بلاد الهند والصين في القرن التاسع طبع في باريز سنة ١٨٤٥ م (١) . طبع هذا البند وترجمه الى اللغة الروسية العلامة فرين سنة ١٨٢٣ في بطرسبرج .

(٢) وبحث في هذه الرحلة العلامة غريفوريف في المجلة التي تنشرها نظارة العلوم في روسيا سنة ١٨٧٣ . (٣) وقد ترجم هذه الرحلة الى اللغة الفرنسية العلامة Amari وطبع الترجمة مع المتن العربي في باريز سنة ١٨٤٦ والى اللغة الانكليزية ريجت Right وطبعها في ليدن سنة ١٨٥٢ م .

بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الاماكن التي يمكن رؤيتها الأ رآه وتقدم عند الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب واقام عنده فبنى له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة فلما مات سنة ١٢١٥ م دفن فيها وله مصنفات منها كتاب « الاشارات في معرفة الزيارات » وكتاب « العجائب » وهذان الكتابان لم يطبعا الى الآن .[١]

٢ً (ابا عبدالله محمد بن عبدا الطنجوي المعروف بابن بطوطه) المتوفي سنة ١٣٧٧م وُلد في طنجة سنة ١٣٠٤ وينسب اليها وابتدأ برحلاته وله من العمر احدى وعشرون سنة فطاف مصر والشام و بلاد العرب وفارس وزنجبار وآسيا الصغرى ومملكة كيتشاك[٢] والقسطنطينية وخوارزم و بخارى و بلاد الهند وتسيلون وسومارته و بلاد الصين ولما رجع الى وطنه طاف في جنوب الاندلس ثم رحل الى داخل افريقية بامر صاحب مراكش وطاف يدرس تلك البلاد الى مدينة تنبوكت ورجع من هذه الرحلة الى الفيس وسكنها وكتب رحلته وسماها « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » و ؛ ان ابن بطوطه لم يكتب في مدة سفره تذكرات تفطنه بما رآه في تلك البلاد العديدة التي زارها واكثر ما كتبه اخذه عن رواية رجل يسمى محمد بن جزائي الكلبي فلذلك يقع احياناً في الغلط والخلط وعدا ذلك أن ابن بطوطه صدّق كثيراً من القصص والحكايات الخرافية كما يصدق غيره من الكتبة الشرقيين فزاد ذلك غلطاً الى غلطه[٣]

اصحاب القواميس الجغرافية

ونذكر من اصحاب القواميس الجغرافية (ابا عبدالله ياقوت بن عبدالله) الرومي الجنس الحموي المولد والبغدادي الدار الملقب بشهاب الدين اسر من بلاد الروم صغيراً

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٤٦

(٢) ملكة كيبتشاك كانت بين نهري الدون وفولكه وملوكهم من المغول

(٣) وقد طبع كتابه العلامتان ديفريمري Defremery وسانجونيتي Sanguenetì

فابتاعه رجل تاجر يعرف بعكر بن ابي نصر ابراهيم الحموي فادبه وجعله في جملة كتابه لينتفع به في ضبط تجائره وكان مولاه لا يحسن الخط ولا يعلم شيئاً الا التجارة وكان ياقوت يكتب له ويدرس النحو واللغة والآداب ولما كبر شغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتردد الى كيش وعمان ونواحيها ويعود الى بغداد ثم اعتقه مولاه سنة ١١٩٩ م فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة على فوائد وبعد وفاة مولاه حصل شيئاً مما كان بيده وسافر به وجعل بعض تجارته كتباً وتوجه الى دمشق سنة ١٢١٦ وقعد في بعض اسواقها يتاجر ويناظر من تعصب لعلي وجرى منه كلام ذكر فيه عليا بما لا يسوغ فثارت الناس عليه وكادوا يقتلونه فهرب من دمشق وأتى حلب ومنها الى الموصل ثم الى اربل وسلك منها الى خراسان واقام في مدينة مرو يتجر بها مدة ثم خرج عنها الى نسا ومضى الى خوارزم تصادف خروج التتر فيها فانهزم وقاسى في طريقه مضايقة وتعباً شديداً الى ان اتى الموصل فاحتاج فيها جداً واعوزه دنيء المآكل وحسن الثياب وانتقل منها الى سنجار ومنها الى حلب وتوفى فيها سنة ١٢٢٨ م [١]

واكتسب ياقوت في اسفاره ومطالعته الكتب ونسخها حباً للعلم والتأليف فصنف كتباً عديدة مفيدة منها « معجم البلدان » بحث في مقدمته عن الجغرافيا الرياضية والطبيعية والمدنية ورتب اسماء البلاد والمدن على حروف المعجم وعين موقعها الجغرافي وحكى عن تجارتها ومحصولاتها وتاريخها وهو كتاب كثير الفائدة [٢] . وقد اختصر ياقوت كتابه معجم البلدان وسمى المختصر « كتاب المشترك وضعاً والمفترق (المختلف) صقعاً » [٣] . واختصر معجم البلدان جلال الدين الاسيوطي وسماه مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع [٤] . ولياقوت مصنفات اخرى مفيدة لم تطبع منها « معجم

مع ترجمته الى الفرنسية سنة ١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ في باريز . واختصر تحفة النظار محمد البيلوني وترجم هذا المختصر الى اللغة الانكليزية صموئيل ليس Samoil Lees سنة ١٨٢٩

(١) انظر وفيات الاعيان الجزء الثاني صفحة ٢١٠

(٢) طبعه العلامة وستفلد Wustenfeld في ليبسك في مجلدين سنة ١٨٦٧–١٨٧١م

(٣) طبعه ايضاً وستفلد في ليبسيا سنة ١٨٤٦

(٤) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ١٢٣٦٩

الشعراء ومعجم الادباء[1] و « كتاب المبدأ والمعاد » في التاريخ وغيرها.

ومن علماء الهيئة المسمى عند الاوربيين بعلم الكسموغراف Cosmographcs نذكر:

١ً (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) المتوفي سنة ١٣٨٧ م قاضي مدينة حلة الواقعة على الفرات وصاحب الكتاب المشهور « بعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » [2] والجزء الثاني من هذا الكتاب يسمى كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » [3]. ولخص كتاب آثار البلاد عبد الرشيد البقوي سنة ١٤٠٣ م وسماه « تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار ».

٢ً (شمس الدين ابا عبدالله محمد الانصاري الصوفي الدمشقي) المتوفي سنة ١٣٢٧م امام الربوة قرب دمشق صاحب كتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبصر » وهو كتاب كثير الاهمية والفائدة [4]

(سراج الدين ابا حفص عمر بن الوردي) المتوفي سنة ١٣٤٩ م . نائب حلب صاحب كتاب « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » قد اشتهر هذا الكتاب في الشرق . بحث فيه المصنف عن الجغرافيا الطبيعية وفيه كثير من الخرافات[5]. ولابن الوردي كتاب في التاريخ يسمى « جامع التواريخ »

علم التاريخ

نشأ علم التاريخ عند العرب كما نشأ عند غيرهم من الامم بنقل اخبار المتقدمين واعمالهم وروايتها من السلف الى الخلف ونرى انه لما نشأ الحديث في بدء الاسلام

(١) ماثل للطبع بعناية الاستاذ مرجليوس المستشرق الانجليزي المشهور

(٢) طبعه العلامة وستنفلد في مدينة غوتنفن سنة ١٨٤٩ (٣) وطبع الجزآن ايضاً في القاهرة سنة ١٣١٣ للهجرة بهامش كتاب (حياة الحيوان) . وقد ترجم كتاب عجائب المخلوقات الى اللغة الفارسية وطبع في طهران سنة ١٢٦٤ هجرية

(٤) طبعه العلامة مهرن Mehrant في بطرسبرج سنة ١٨٦٥ (٥) طبع في القاهرة عدة مرات والطبعة الاخيرة سنة ١٣٠٩ هجرية . وطبع جزءا منه العلامة تورنبرغ Tornberg في اربسال سنة ١٨٣٥ الى سنه ١٨٣٩ م .

صار لنقل الاخبار التاريخية ايضاً طريقة مخصوصة وهي طريقة الاسناد كما تقدم الكلام عنه في ذكر الحديث وهي ان راوي الخبر يسنده الى من رأى ذلك بعينه ومن نقل عن الراوي يسند اليه أيضاً وهلم جرًا وهكذا نجد في كل خبر عن واقعة أو حادث سلسلة اسماء ناقليه مرتبطة غالباً بالكلمات الآتية : حدَّث أخبرَ قال عن [1] . وعلى هذه الطريقة جرى نقل الاخبار التاريخية في الجيل الاول واوائل الجيل الثاني من الهجرة فلما قضت الحاجة الى حفظ الاخبار ووقايتها من الخلل والغلط بالكتابة افضى ذلك الى بدء علم التاريخ ففي أول القرن الثامن للميلاد ابتدأت العلمـاء بكتابة اخبار الجاهلية وانساب العرب وسيرة الرسول (صلعم) وغزواته وغير ذلك من الاخبار التاريخية وتسمى كتبة تلك الاخبار بالنسابين أو بالاخباريين .

ففي اواخر القرن التاسع اعتنى (ابو جعفر محمد بن جرير الطبري) المتوفي سنة ٩٢٢ م بتصنيف كتاب في التاريخ العمومي من ابتداء الخليقة الى ايامه وجرى فيه على طريقة سلفه مسنداً كل واقعة الى ناقلها الاول ولكن العلماء الذين بعده اسقطوا الاسناد بقصد الاختصار واتوا بالحوادث حسب تاريخ وقوعها سنة بعد سنة فهؤلاء يسمون مؤرخين ويذكرون غالبـاً في مؤلفاتهم سير العلماء والشعراء ومصنفاتهم واشعارهم ويوردون شيئاً منها وأحياناً يأتون بنوادر وملح من سير رجال السياسة تتعلق بزي عيشهم أو بطباعهم واخلاقهم ويعرضون عن ذكر حوادث تاريخيـة ذات اهمية . وبالاجمال ان المؤرخين من العرب يكتفون بايراد الحوادث التاريخية ولا يبحثون في علاقاتها بعضها ببعض ولا بالفكر الرابط لها ومع ذلك فلهم اهميـة عظمى في التاريخ العمومي وخصوصاً في تاريخ القرون الوسطى .

واشتهر العرب بحبهم الشديد للبحث في المسائل التاريخيـة فبعضهم بحث في التاريخ العمومي و بعضهم في تاريخ بلاد على حدة وآخرون في تاريخ مدن وغيرهم بسير العلماء والشعراء والمغنين وغير ذلك . وقد اورد حاجي خلفا في كتابه كشف الظنون

(١) مثلاً اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا الزبير ابن بكار عن عبد الرحمن بن عبدالله قال حدثني بن ابي الزناد قال عمَّر حسان بن ثابت عشرين ومائة سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام .

اكثر من الف ومائتي مؤلف في التاريخ والسير . فهم جمعوا مواد كثيرة في تاريخ الشرق المدني والديني والادبي وتاريخ الحضارة ولم يصل الينا من تآليفهم الا القليل وكثير منها لم يطبع الى الآن ومع ذلك فان الموجود منها بين ايدينا يكفي للبحث المدقق ويعطي للباحثين أملاً بانهم قريباً يصلون الى تحقيق تاريخ الشرق ووضعه في الحالة الواجبة له . أما نحن ففي بحثنا عن مؤلفات العرب في التاريخ نقتصر على تعداد مصنفاتهم فيه فنذكر أولاً نسابي سيرة النبي (صلعم) والمؤرخين الذين كتبوا عن المدن ثم كتبة التاريخ العمومي واخيراً عن كتب سير مشاهير الرجال فنقول :

ان النبي (صلعم) افعاله واقواله كانت موضوعاً التفت اليه الاخباريون الاولون فانهم جمعوا بكل تدقيق كل ما نقل عن افعاله وأقواله وغزواته وعيشه وعلاقاته مع المسلمين وغيرهم .

فاول من جمع سيرة النبي (صلعم) (عروة بن الزبير) عاش من سنة ٦٤٢ — ٧١٢م. وكان من اقرب أنسباء عائشة زوجة النبي (صلعم) وقبله كانت سيرة النبي تحكيها الرواة وتزيد فيها خرافات لا اصل لها يرويها الخلف عن السلف غير ملاحظين حقيقة وتاريخ ما ينقلون . وقد دوّن بعض ما جمعه عروة بن الزبير. فاخذ عنه (أبو عبدالله محمد بن اسحق) المتوفي سنة ٧٦٨م مصنف كتاب « المغازي والسير » الذي جمعه للخليفة المنصور ويحتوي كتابه هذا عدا قسمه الاول أي المغازي على خرافات كثيرة . ويطعنون على ابن اسحق انه ادخل فيه اشياء مخالفة للواقع وأنه ضمنه من الاشعار المعمولة له ما صار به فضيحــة عند رواة الشعر وأنه اخطأ في النسب الذي أورده فيه ومع ذلك فالاطلاع على هذا الكتاب مستحب جداً .

وقد نقح كتاب المغازي والسير (أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري) المتوفي سنة ٨٣٣ م وسماه « سيرة رسول الله » وهو الموجود الآن بايدي الناس[١]

وكان معاصراً لابن هشام (أبو عبد الله الواقدى) وُلد في المدينة سنة ٧٤٧ م

(١) انظر الفهرست صفحة ٩٢ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٩٠ . وقد طبع كتاب سيرة رسول الله وستنفلد في ليدن سنة ١٨٥٨ — ١٨٦٠ م . وترجمه وَيل Weil الى اللغة النمساوية وطبعه سنة ١٨٦٤ م

ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي وكان يكرم جانبه ويبالغ في رعايته مع أنه كان من أهل الشيعة وكان الواقدي عالماً في المغازي والسير والفتوح والحديث والفقه والاحكام والاخبار قيل انه خلف بعد موته ٦٠٠ قمطر كتباً كل قمطر منها حمل رجلين وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار وتوفي سنة ٨٢٣ في بغداد واشتهر من مصنفاته كتاب «المغازي»[١] وكتاب «فتوح الشام» الذي الافضل ان نعده من كتب السير كثيرة عنتر[٢]. وكتاب «فتوح مصر» وفيه الاخبار اقرب الى الحقيقة من فتوح الشام[٣]. وللواقدي كتب أخرى عديدة منها فتوح العراق وفتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان[٤].

ثم (أبوعبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري) المتوفي سنة ٨٤٤ م المعروف بكاتب الواقدي وكان من اصحابه الفضلاء والنبلاء واجتمعت له عدة كتب من كتب الواقدي فاستفاد منها كثيراً وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء الى وقته في خمسة عشر مجلداً فأجاد وأحسن وكان يتحرى في رواياته فاشتهر بالعدالة والصدق خلافاً لصاحبه الواقدي الذي كان من اهل الشيعة ولم يراع قواعد البحث المدقق المتعارف حينئذ بين علماء اهل السنة ولذلك كتاب اخبار الرسول تصنيف الواقدي الذي وصل الينا منقحاً ومصححاً بقلم محمد بن سعد يعد من احسن المصادر التي يعتمد عليها في تاريخ الرسول . اما كتاب «الطبقات» تصنيف محمد بن سعد فقد وصل الينا منقحاً بقلم تلميذه (الحسين بن فهم) المتوفي سنة ٩٠٦ م[٥].

واعلم ان المؤرخين الذين ظهروا بعد ذلك اعتمد بعضهم على ابن اسحق واخذوا

---

(١) المطبوع في كلكته سنة ١٨٥٦ (٢) طبع في القاهرة سنة ١٣٠٩ هجرية

(٣) طبعه ليس Lees في المكتبة الهندية مع كتاب فتوح الشام لابي اسماعيل الاسدي البصري . وهذان الكتابان ترجما الى اللغة الانكليزية . (٤) انظر الفهرست صفحة ٩٨ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٥٠٦ . وطبع كتاب فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان في القاهرة سنة ١٨٩١ م

(٥) انظر الفهرست صفحة ٩٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٥٠٧

عنه و بعضهم على الواقدي وأخذوا عنه الا القاضي (حسين بن محمد الديار بكري) المتوفي سنة ١٥٥٨ م فقد اخذ عنهما معاً وذلك في كتاب « الخميس في أحوال أنفس نفيس »[١].

ونذكر هنا مؤرخين اشتهرا في فصاحة العبارة وبلاغة التركيب

اولاً (أبا نصر محمد العتبي) المتوفي سنة ١٠٥٨ م صنَّف كتاباً في تاريخ السلطان سبكتين الغنزوي وابنه السلطان محمود وسماه تاريخ اليميني[٢]

ثانياً (شهاب الدين احمد بن عرب شاه) المتوفي سنة ١٤٥٠ صاحب كتاب « عجائب المقدور في أخبار تيمور »[٣]. ولابن عربشاه مجموع نوادر وحكايات تاريخية يسمى « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء »[٤]

وقبل ان نأتي على ذكر المؤرخين الذين خصصوا مؤلفاتهم ببلاد او مدن على حدة نذكر هنا مؤرخاً شهيراً وهو (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) المتوفي سنة ٨٩٢ م وكان اماماً في بغداد عالماً شاعراً ووسوس أخر ايامه وشدّ في البيمارستان وفيه مات وله كتاب « فتوح البلدان» اتى به بفوائد مهمة على البلاد التي فتحتها العرب في صدر الاسلام[٥]

مؤرخو بلاد العرب والشام

اولاً (أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني) توفي بين سنة ٧٢٨ و٧٣٤ م وكانت

---

(١) طبع في القاهرة سنة ١٣٠٢ هجرية . (٢) طبع في دهلى سنة ١٨٤٧ م .
(٣) طبعه العلامة غوليوي Golius سنة ١٦٣٦ م . ثم طبعه الشيخ احمد بن محمد الانصاري في كلكته سنة ١٨١٢ م واخيراً طبع في القاهرة سنة ١٣٠٥ هجرية . ولهذا الكتاب ترجمتان احداهما فرنساوية طبعت سنة ١٦٥٨م واخرى لاتينية طبعت سنة ١٧٦٧ م . (٤) طبعه فرتيغ سنة ١٨٥٢ ثم طبع في القاهرة سنة ١٣٠٧ هجرية . (٥) انظر الفهرست صفحة ١١٣ . وطبعه العلامة دي غويه في ليدن سنة ١٨٦٣ ـ ١٨٦٦ م

له معرفة باخبار الاوائل وله تصنيف سماه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم أخذ عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف [١]

ثانياً (محمد بن عبد الله الازرقي) المتوفي سنة ٨٣٧ م صاحب كتاب مكة واخبارها وجبالها واوديتها [٢] . ومن اخبار مكة كتاب يسمى الملوك والخلفاء دولة مكة الشرفاء تأليف تقي الدين محمد بن محمد بن علي [٣]

ثالثاً (وجيه الدين عبد الرحمن) المعروف بابن الربيع اليمني استاذ الحديث في مدينة زبيد كتب تاريخ هذه المدينة من سنة ٩١٦ الى سنة ١٤٩٤ م وسماه كتاب « المستفيد في اخبار مدينة زبيد [٤] »

رابعاً (ثقة الدين أبو القاسم علي بن محمد المعروف بابن عساكر) المتوفي سنة ١١٦٨ م كان محدث الشام في وقته ومن اعيان الفقهاء الشافعية وله السفرات العديدة وصنف التصانيف المفيدة منها التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلداً اتى فيه بالعجائب ذكر فيه تراجم الاعيان والرواة ولهذا التاريخ مع عظمه أذيال ومختصرات[٥] . وتوجد نسخ بعض مجلدات من هذا التاريخ منشورة في مكاتب اوربا

خامساً (عماد الدين ابو عبد الله محمد الكاتب الاصفهاني) المعروف (بابن أخي

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ١٨٠

(٢) انظر الفهرست صفحة ١١٢ . وقد طبع هذا الكتاب العلامة وستنفلد في الجزء الاول من مجموع يسمى : Die chroniken der stadt Mescka أي المؤرخون في مدينة مكة ليبسيا سنة ١٨٥٨ . ونجد في الجزء الثاني من هذا المجموع الذي صدر من سنة ١٨٥٩ اخبار الفقيهي والفاسي والدهيري عن مكة وفي الجزء الثالث منه كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام تأليف قطب الدين محمد الحنفي النهرواني (المتوفي سنة ١٥٨٩ م) طبع سنة ١٨٥٧ م وطبع كتاب الاعلام ايضاً في القاهرة سنة ١٣٠٣ هجرية (٣) طبعه اردمن Erdman في قزان سنة ١٨٢٢ م

(٤) لخصه الى اللغة اللاتينية سوهنزن Sohonnsen سنة ١٨٢٢ م

(٥) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٣٥ وكشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٢٢١٨ .

العزيز) المتوفي سنة ١١٩٥ م كان كاتباً للملك العادل نور الدين محمود بن أتابك زنكى ثم للسلطان صلاح الدين وقد تقدم الكلام عن كتابه المسمى خريدة القصر وجريدة اهل العصر « انظر صفحة ٧٦ » وله ايضاً عدة مصنفات في التاريخ منها كتاب البرق الشامي في سبع مجلدات بدأ فيـه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق الى الشام وما جرى له في خدمة الملك نور الدين محمود وكيفية تعلقه بخدمـة السلطان صلاح الدين وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام وانما سماه البرق الشامي لانه شبه اوقاته في تلك الايام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها وكتاب القدح القسي في الفتح القدسي [١] يتضمن كيفية فتح بيت المقدس وابن خلكان يسمي هذا الكتاب بالفتح القدسي في الفتح القدسي [٢]

سادساً (بهاء الدين أبو المحاسن بن رافع) المعروف بابن شداد ولد بالموصل سنة ١١٤٤ م ودرس العلم على اشهر علمـاء زمانه ثم صار استاذاً في المدرسة النظامية في بغداد وقاضي عسكر السلطان صلاح الدين الذي كان يستعمله وينتفع به في كثير من الامور المهمة لدرايته وزيادة علمه . وصار بهاء الدين بعد وفاة السلطان قاضي القضاة في حلب وكان له هناك نفوذ عظيم في ادارة السلطنة الى ان بلغ الرشد الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين . ولبهاء الدين مصنفات عديدة نذكر منها كتاب سيرة «صلاح الدين بن ايوب» [٣] وكتاب « الاعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة » او حسب بعض « النسخ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » لم يطبع الى الآن

سابعاً (كمال الدين ابو حفص عمر) المعروف بابن العديم الحلبي المتوفي سنة ١٢٧١م كان قاضياً في حلب وكتب تاريخاً لها سماه بغية الطلب في تاريخ حلب ولخصه في

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجى خلفا المجلد الرابع نمرة ٩٣٧٦ (٢) انظر وفيات الاعيان الجزء الثاني صفحة ٧٤ . (٣) طبعه العلامة شولتنس Schultens مع ترجمته الى اللغة اللاتينية في ليدن سنة ١٧٣٣ ـ ١٧٣٥ م واخذ عنه العلامة رينولد Reinauld في كتاب يسمى ملخص ما كتبه مؤرخو العرب عن حروب الصليبيين طبع في باريز سنة ١٨٢٩ م

كتاب آخر سماه زبدة الطلب في تاريخ حلب [١] . ولتاريخ ابن العديم ذيل يسمى الدر المنتخب في تاريخ حلب صنفه (ابو الحسن علي الجبريني) المعروف بابن خطيب الناصري المتوفي سنة ١٣٤٩ م

ثامناً (شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن) المعروف بابي شامة الدمشقي المتوفي سنة ١٢٥٦ م كان مفتي دمشق واستاذ الحديث والقراآت فيها وله كتاب « ازهار الروضتين في اخبار الدولتين » في خمسة عشر مجلداً يتضمن تاريخاً مطولاً لسير السلطانين نور الدين وصلاح الدين وله مختصر تاريخ دمشق في خمس مجلدات [٢]

مؤرخو مصر والاندلس والمغرب

اولاً (تقي الدين احمد المقريزي) المتوفي سنة ١٤٤١ م ولد بالقاهرة سنة ١٣٦٠ وكان فيها محتسباً وله مصنفات عديدة اشهرها كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » يختص باخبار اقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وباقليمها وتاريخها وديانة اهلها وادبهم وتجارتهم [٣] ثم كتاب « اتعاظ الحكماء بأخبار الخلفاء » يحتوي على تاريخ مصر من ايام فتحها الى آخر ايام الدولة الفاطمية . وله ايضاً « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » وهو ذيل لكتاب اتعاظ الحنفاء يأتي به على تاريخ مصر من سنة ١١٨١ الى سنة ١٤٤٠ م في ايام الدولة الايوبية والماليك [٤] . وكان في قصد المقريزي ان يؤلف كتاباً يجمع فيه سير كل الملوك واعاظم الرجال الذين نبغوا في مصر وسير الرجال العظام الذين زاروها ويجعله ثمانين مجلداً فابتدأ بتصنيفه وسماه كتاب « المقفى » ولكنه

(١) طبع منتخباً منه العلامة تريتغ وسماه المنتخب من تاريخ حلب مع ترجمة لاتينية وطبعهما في باريز سنة ١٨١٩ م (٢) أنظر فوات الوفيات المجلد الاول نمرة ٣٢٢ . (٣) طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٧٠ هجرية .

(٤) طبع هذا الكتاب مع ترجمته الى الفرنسية في مجلدين للعلامة كاترمير Quatremère في باريز سنة ١٨٣٧ — ١٨٤٠ م

مات قبل ان يتمه . ونذكر من تصانيف المقريزي ايضاً كتاب « الالمام في اخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام » [١] وكتاب الاوزان والأكيال الشرعية[٢] ثم كتاب « البيان والاعراب عما في ارض مصر من الاعراب » [٣]

ثانياً (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي) المتوفي سنة ١٥٠٥ م وُلد في اسيوط من اعمال الصعيد كان من اشهر علماء زمانه وله عدة مصنفات في كل العلوم العربيـة والدينية والتاريخ . قيل انه صنف نحو خمسمائة مجلد منها كتاب « حسن المحاضرة واخبار مصر والقاهرة » [٤] وتاريخ الخلفاء من ابي بكر الصديق الى سنة ٩٠٠ هجرية [٥] وكتاب الاوائل [٦] .

ثالثاً (ابن مرعي) المتوفي سنة ١٦٢٣ م وله كتاب « نزهة الناظرين في من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين » [٧]

رابعاً (ابو بكر محمد بن القوطية) المتوفي سنة ٩٧٧ م نسب الى امه وهي امرأة من القوط وهم سكان الاندلس الاصليين ومن مصنفاته تاريخ الاندلس من فتحها الى ايام الملك عبد الرحمن الثالث . وهذا الكتاب لم يصل الينا

خامساً (ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاموي الظاهرى) المتوفي سنة ١٠٦ م وُلد سنة ٩٦٤ م بقرطبة من بلاد الاندلس وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث والفقه وبعد ان كان شافعي المذهب انتقل الى مذهب اصحاب الظاهر فنسب اليهم وله

---

(١) طبعه رينك Rink سنة ١٧٩٨ وقد طبع فتسر Wetser سنة ١٨٤٥ مع ترجمة نمساوية فصلاً من كتاب الخطط وهو ذكر قبط مصر ودياناتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان لهم في ذلك من القصص والانبياء وذكر الخبر عن كنائسهم واديرتهم وكيف كان ابتداؤها ومصير امرها

(٢) طبعه مع ترجمة الى اللغة الفرنسية العلامة سلوستردي ساسي في باريز سنة ١٧٩٩ م (٣) طبعه وستنفلد في ليدن سنة ١٨٤٧ م (٤) طبع في القاهرة وطبع بعضه فى تورنبرغ سنة ١٨٣٤ (٥) طبع هذا الكتاب في كلكتة ١٨٥٦م

(٦) طبعه كوش Kosche سنة ١٨٦٧ (٧) طبعه ريسكه Reucke وطبع أيضاً في القاهرة

عدة تآليف في الاحكام والفقه والملل وغيرها وله كتاب صغير سماه نقط العروس ذكر فيه وقائع تاريخية في الاندلس واخلاق وعادات بني امية فيها وهو كتاب مفيد لم يصل لنا منه سوى بعض ابواب حفظها المؤرخون الذين بعده [١]

سادساً (ابو مروان بن حيان القرطبي) المعروف بابن حزم المتوفى سنة ١٠٧٦ م كان رئيس الشرطة في قرطبة وله كتاب « المقتبس في تاريخ الاندلس » في عشر مجلدات ثم كتاب المتين (اوالمبين كما جاء في كشف الظنون) في تاريخ الاندلس ايضاً في ستين مجلداً ولم يصل الينا من مؤلفيه سوى بعض فصول اوردها من جاء بعده من المؤرخين ويتضح منها حسب رأي العلامة دوزي ان وصف الحوادث التاريخية ونقدها كان في مؤلفي ابن حزم مستوفياً لا يقبل الزيادة .

سابعاً (ابو عبدالله محمد بن ابي نصر الحميدي الاندلسي) المتوفى سنة ١٠٩٥م اصله من قرطبة روى عن ابي محمد علي بن حزم الظاهري واكثر من الاخذ عنه وشهر بصحبته وحج الى مكة سنة ١٠٥٦م وطاف بافريقية ومصر والشام والعراق واستوطن بغداد . وله عدة مؤلفات منها تاريخ علماء الاندلس سماه « جذوة المقتبس » في مجلد واحد يقول في مقدمته انه كتبه من حفظه ولذلك لا يعتمد عليه [٢]

ثامناً (لسان الدين ابو عبدالله محمد المعروف بابن الخطيب) المتوفي سنة ١٣٧٤م كان وزيراً لابي الحجاج يوسف سلطان غرناطه وصنف له كتاب « الاحاطة في تاريخ غرناطة » الذي اخذ عنه المقري الآتي ذكره

تاسعاً (ابو العباس احمد المقري) المتوفي سنة ١٦٣١ م اصله من الغرب واستوطن القاهرة وصنف فيها « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » ذكر فيه تاريخ الاندلس من فتحها الى غزو الملك فرديناند غرناطة [٣]

وقد كتب كثير من المؤرخين عن المغرب اشهر منهم (ابن عذاري المراكشي)

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٤٠

(٢) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ٤٨٥ (٣) وقد طبع الجزء الاول منه ريخت Right وكرهل Krehl ودوزي Dozy سنة ١٨٥٥ــ ١٨٥٨م وطبع جميعه في القاهرة . ولخصه الى اللغة الانكليزية مورفي Morphy سنة ١٨١٦ وترجمته التامة الى اللغة الانكليزية طبعها باسكال Pascal سنة ١٨٤٠ ــ ١٨٤٣ م

في الجيل الثالث عشر وله مصنف يسمى « البيان المغرب في اخبار المغرب » [١]

واشتهر في الجيل الرابع عشر (ابو الحسن علي ابن ابي ذرع) صاحب كتاب « انيس المطرب في اخبار المغرب » و « روض القرطاس في تاريخ مدينة فاس » وسماه ايضاً « القرطاس الكبير » الفه للسلطان ابي سعيد عثمان بن المظفر ثامن سلطان من دولة بني مرين وذكر به اخبار المغرب من ايام ادريس الاول سنة ٧٢٥ الى ايام السلطان ابي سعيد ويظهر ان التاريخ المسمى بكتاب القرطاس ليس الا مختصر من القرطاس الكبير بقلم ابن ابي ذرع نفسه [٢]

ونذكر اخيراً تاريخ (عبد الواحد المراكشي) [٣]

المؤرخون في التاريخ العام

او في تاريخ الدهور

ان اغلب المصنفين في تاريخ الدهور يبتدئون من خلق العالم ويذكرون الحوادث التاريخية التي جرت بين الامم المتمدنة الذين كان لهم تأثير في حضارة العالم القديم فيذكرون اولاً تاريخ شيوخ بني اسرائيل وانبيائهم وقضاتهم وملوكهم ثانياً تاريخ الفرس واكاسرتهم ثالثاً تاريخ المصريين وفراعنتهم رابعاً تاريخ اليونان القدماء ثم تاريخ الرومانيين وقياصرتهم ثم تاريخ البزنطيين (الروم) وملوكهم واخيراً يذكرون اخبار العرب في ايام الجاهلية ومنها ينتقلون الى تاريخ الاسلام

واول من كتب في التاريخ العمومي كما سبق (صفحة ١٧٨ و١٢٩) ابو جعفر محمد

---

(١) طبعه العلامة دوزي في مجلدين وسماه : Histoire de l'Afrique et l'Espagne اي تاريخ افريقيا واسبانيا في ليدن سنة ١٨٤٨ ــ ١٨٥١

(٢) وقد طبع القرطاس الصغير العلامة تورنبرغ سنة ١٨٤٦ في ابال وترجمه الى اللغة اللاتينية وطبع الترجمة سنة ١٨٣٩ في ابال ايضاً ولهذا الكتاب ترجمة نمساوية للعلامة دومبي Dombay طبعت في زهرب سنة ١٧٩٤ ــ ١٧٩٧ وتسمى : Geschichte der maurit anischen Kömige

(٣) طبعه دوزي في ليدن سنة ١٨٤٦

ابن جرير الطبريّ الآمليّ) علامة وقته وامام عصره وفقيه زمانه ولد سنة ٨٣٨ م بآمل من اعمال طبرستان واليهما ينسب وله مصنفات مليحة في عدة فنون تدل على سعة علمه وغزارة فضله وكان من الائمة المجتهدين لم يقلد احداً واشتهر من مصنفاته « تاريخ الملوك واعمارهم ومواليد الرسل وانبائهم والكائن الذي كان في زمن كل واحد منهم » وهو يحتوي على تاريخ العلم من التكوين الى سنة ٣٠٢ هجرية (٩١٤ م) وهو اهم التواريخ واكملها بالنظر الى تاريخ الاجيال الثلاثة الاولى من الهجرة دوّن فيه كل ما وصل اليه من الاخبار التاريخية عن العرب وغيرهم من الامم مسنداً كل واقعة او خبر الى الرواة الذين نقلوها اسناداً تاماً الى اول راوٍ رأى ما حدثه رأي العين ويورد الطبريّ مراراً وصف واقعة او خبراً باسنادات مختلفة فحواها واحدٌ وربما اختلفت عبارتها بكلمة او بكلمتين ولذلك يجب ان يكون هذا التاريخ كبيراً جدًّا وقال ابن السبكي في طبقاته ان ابن جرير قال لتلاميذه هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا قالوا كم قدره فذكر انه ثلاثون الف ورقة فقالوا هذا مما يفني الاعمار قبل اتمامه فقال انا لله ماتت الهمم فاختصره ومع ذلك فهو عدة مجلدات متفرقة في عدة مكاتب اوربا اكثرها في مكتبة برلين وباعتناء احد عشر عالماً من العلماء المستشرقين في أوربا وهمتهم وسعيهم [1] قد طبع هذا المصنف الثمين منقحاً مع فهرست مرتبة على حروف المعجم وذيل له في ١٥ مجلداً وقبل ذلك طبع جزءاً منه العلامة كوزغرتن Kosegarten سنة ١٨٣١و١٨٣٥ مع ترجمة لاتينية . ونحو نصف الجيل العاشر نقل هذا التاريخ الى الفارسية (ابو علي محمد البلعمي) احد وزراء الملوك السامانية بامر منصور بن نوح الساماني ثم ترجم من الفارسية الى التركية وطبع مختصره في اللغة التركية في القسطنطينية سنة ١٨٤٥م . وترجمه ايضاً الى لغة التتر عبد اللطيف بن كوجك خان امير بخارى الثاني الشيباني الواحدي البلخي سنة ١٥٢٢ م . وتفرق الترجمات عن الاصل من وجهين اولاً انه حذفت فيها كل الاسنادات . ثانياً بسبب ذلك لا يوجد

(١) وهم برت Barth ونولدكه Noldeke ولوت Loth وبريم Prym وتوربكه Thorbeka وفرانكه Fränke وغويدي Guidi وميلر Müller وهوتسما Houtsma والبارون روزن Baron Rosen ودي غوية De Goe

فيها تكرار الوقائع . وعلى هذه الطريقة جرى كل المؤرخين الذين أخذوا عن الطبري ولكن مؤرخي العرب أحرص في النقل عن الطبري من المترجمين . ولا بأس هنا ان ان نذكر انه تنسب للطبري اشعار لطيفة منها :

اذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولواني سمحت ببذل وجهي لكنت الى الغنى سهل الطريق

وتوفي الطبري في بغداد سنة ٩٢٢ م ودفن فيها [١] .

ومن معاصري الطبري (سعيد بن البطريق) المتوفي سنة ٩٤٠ م انتخب بطريركاً على الكرسي الاسكندري سنة ٩٣٤ م ودعي افتيخيوس كتب مختصراً في التاريخ العام سماه « نظم الجوهر » وصل فيه الى سنة ٩٣٧ م [٢]

ونذكر من المؤرخين في الجيل العاشر (أبا الحسن علي بن الحسين المسعودي) المتوفي سنة ٩٥٦ م من ولد عبد الله بن مسعود أحد الصحابة واليه نسب وأصله من المغرب وُلد في العراق وقضى اكثر حياته في الاسفار وزار بلاداً لم يرَها ولم يصفها أحد قبله من كتبة العرب وكان عالماً بالعلوم العربية والفقه والحديث والتاريخ ليس بتاريخ العرب فقط بل وبتاريخ اليونان والرومان وغيرهم وكانت له معرفة تامة في أصول دين اليهود والنصارى والمجوس وكذلك في مذاهب الفلاسفة ولا يظن ان احداً وصل الى ما وصل اليه المسعودي من المعارف . ويلام فقط في ان تصانيفه خالية من النقد الصحيح الامر الذي يعاب فيه اكثر كتبة التاريخ من العرب . ومن مصنفاته في التاريخ كتاب « اخبار الزمان ومن أباده الحدثان» وكتاب «التاريخ في أخبار الامم من العرب والعجم » ويغلب على الظن انهما كتاب واحد اختصره المؤلف وسمى المختصر كتاب «الاوسط» ولم يصل الينا منهما شيء . وأما كتاب المسعودي المشهور الذي في أيدي الناس الى يومنا هذا المسمى «مروج الذهب ومعادن الجوهر» فجمع فيه فوائد تاريخية وجغرافية

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٢٣٤ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٥٦ وكشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الثاني نمرة ٢٢٥٠

(٢) طبعه بوكوك Pocoque سنة ١٦٥٨ م

مهمة جداً [١] . وله كتاب « التنبيه والاشراف » [٢] .

وفي اواخر الجيل الثاني عشر عاش (جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي) « المتوفي سنة ١٢٠٠ م » من نسب ابي بكر الصديق وكان حافظاً زاهداً علامة عصره وامام الحديث والوعظ صنف في فنون عديدة منها التاريخ وله فيه مصنف كبير في أربعة اجزاء يسمى « المتظم في تاريخ الامم » من التكوين الى سنة ١١٧٠ م [٣]

وفي اواخر الجيل الثاني عشر وبعد الثالث عشر اشتهر (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الاثير الجزري الشيباني) وُلد بالجزيرة سنة ١١٥٦ م ونشأ بها ثم سكن الموصل ودرس فيها ولاتمام علومه رحل الى بغداد والشام والقدس وسمع هناك جماعة من العلماء وشاهد حروب السلطان صلاح الدين مع الصليبين ثم عاد الى الموصل ولزم بيته منقطعاً الى التوفر على النظر في العلم والتصنيف وكان بيته مجمع الفضل لاهل الموصل والواردين عليها وكان اماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيراً بانساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم صنف في التاريخ كتابا كبيراً سماه « الكامل » ابتدأ فيه من التكوين الى آخر سنة ٦٢٨ للهجرة ١٢٣٠ م [٤] . وتوفي ابن الاثير في الموصل في بيته سنة ١٢٣٢ م واخذ عنه كثير من المؤرخين المتأخرين منهم أبو الفدا .

ومن المؤرخين في الجيل الثالث عشر

اولاً (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قيزاوغلي المعروف بسبط الجوزي) الشهير وكان اماما خطيبا حنفياً وله من المصنفات « مرآة الزمان في تواريخ الاعيان » في أربعين مجلداً .

---

(١) طبعه مع ترجمة فرنساوية العالمان باربيه دي مانيار Barbier de Meynard وباوه دي كورتيل Pavet de Courteille في باريز في تسع مجلدات سنة ١٨٦١ـ١٨٦٧م

(٢) طبعة العلامة دي غويه في الجزء الثامن من مكتبة الجغرافيين العرب مع مقدمة وقاموس صغير في ليدن ١٨٩٤ . انظر الفهرست صفحة ١٥٤ وكشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الخامس نمرة ١١٨٢٨ . (٣) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٧٩ (٤) طبعه العلامة تورنبرغ سنة ١٨٥١ ـ ١٨٧٠ م في اثني عشر مجلداً وطبع في القاهرة في اثني عشر مجلداً ايضاً سنة ١٢٩٠هـ

ثانيا (جرجس بن العميد المكين) المتوفي سنة ١٢٣٥ وكان كاتباً لصاحب مصر وله تاريخ يعرف « بتاريخ المكين » وصل فيه الى سنة ١٢٦٠م وذيل هذا التاريخ بعده رجل غير معروف في الجيل الخامس عشر [١] .

ثالثاً (غريغوريس ابو الفرج الطبيب الملطي المعروف بابن العبري) كان ابوه يهودياً طبيباً في مدينة ملاطية ونصب اسقفاً على مدينة طرابلس وله من العمر عشرون سنة ثم ارتقى كرسي مطرانية اليعاقبة الشرقيين في حلب وتوفي في احدى بلدان اذربيجان سنة ١٢٨٦ م . ولابن العبري مؤلفات كثيرة منها مصنف في التاريخ كتبه باللغة السريانية ثم ترجمه الى العربية وسماه « تاريخ مختصر الدول » ذكر فيه اخباراً عديدة مهمة عن الحروب التي جرت بين العرب والمغول خصوصاً عن فتوحات جنكزخان [٢] .

رابعاً (عماد الدين اسماعيل ابو الفدا صاحب حماة) « انظر صفحة ١٢٣ » وله كتاب في التاريخ يسمى « المختصر في اخبار البشر » وصل فيه الى سنة ١٣٣٠ م قسمه الى خمسة اقسام يذكر في الاربعة الاولى منها عن التاريخ القديم جمعه من تصانيف المؤرخين السابقين اما القسم الخامس فيورد فيه تاريخ العرب من ايام النبي (صلعم) الى زمانه فيه فوائد تاريخية وعلمية مهمة جداً وحوادث عصره يسردها مفصلاً . ويمدح ابو الفدا بانه كان صادقاً في اخباره منتقداً لها ينفي كل ما هو مستحيل بالطبع [٣]

ومن المؤرخين في الجيل الرابع عشر

اولاً (شهاب الدين ابو عبدالله احمد النويري) المتوفي سنة ١٣٣٢ م ولد سنة ١٢٧٢ في نويره من اعمال البهنسة في مصر فنسب اليها صنف لصاحب مصر الملك

---

(١) ومن تاريخ المكين وذيله طبع القسم الذي يبحث عن تاريخ المسلمين طبعه اربني Erpenius سنة ١٦٢٥ م وترجمه وآتير Vattier الى اللغة الفرنساوية وسماه Histoire Mohametane اي التاريخ الاسلامي او الباب التاسع والاربعين من تاريخ المكين سنة ١٦٥٧ (٢) طبعه مع ترجمة لاتينيته بوكوك سنة ١٦٦٣ هـ ١٦٧٢ م ولهذا الكتاب ترجمة بمساوية ايضاً طبعت سنة ١٧٨٩م وطبع اخيراً الاصل العربي مصححاً في بيروت سنة ١٨٩٠ (٣) وقد طبع جزءاً من تاريخه وهو يسرد به

الناصر مجموعة في الادب سماها « نهاية الارب في فنون الادب » وفيه خمسة فنون الفن الاول في فوائد مختلفة عن السماء والارض والحوادث والتغيرات التي تجري فيها والفن الثاني في الانسان والثالث في الحيوان والرابع في النبات وخصص الفن الخامس بالتاريخ العمومي من الطوفان الى سنة ١٢٦٧ م وبالكلام عن تاريخ صقلية من فتحها الى استيلاء النورمانديين عليها وتاريخ بني امية في الاندلس من سنة ٨٥٢ الى سنة ٩٠٢ م (١)

ثانياً (شمس الدين ابو عبدالله احمد الذهبي) المتوفي سنة ١٣٤٨ م كان استاذاً للحديث في دمشق وعارفاً تاريخ الاسلام وكتب فيه مصنفاً في عشرين مجلد وصل فيه الى سنة ١٣٤٠ سماه « تاريخ الاسلام » ثم اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وله مصنفات اخرى منها كتاب طبقات الحفاظ (١) وكتاب المشتبه في اسماء الرجال باسمائهم وانسابهم (٢)

ثالثاً (ابو محمد عبد الله اليافعي المصري) المتوفى سنة ١٣٦٤ صنف في ايام السلطان قلاوون كتاباً في التاريخ العمومي سماه « مرآة الجنان وعبرة اليقظان» وصل فيه الى سنة ١٣٤٩ م

رابعاً (عماد الدين ابو الفدا اسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقي) (المتوفى سنة ١٣٧٢م) صاحب كتاب« البداية والنهاية» وهو كتاب في التاريخ العمومي من التكوين

تاريخ العرب الجاهلية العلامة فريتغ سنة ١٨٣١ م والجزء الذي يذكر فيه تاريخ العرب وولادة النبي (صلعم) طبعه ريسكه Reiske وأدلر Adler سنه ١٨٣١ والكتاب كله مع ترجمة لاتينية طبعه ريسكه في ليبسك سنة ١٧٨٩ وطبع اخيراً في القسطنطينية في مجلدين سنة ١٢٦٩ هجرية

(١) وقد طبع من الفن الخامس بعض اجزائه فقط وهي التي تبحث عن تاريخ المغرب في المجلة الاسوية سنه ١٨٤١ م والجزء الذي يبحث به عن ايام العرب في الجاهلية طبعه شولتنس Schultens في ليدن سنه ١٨٤٠ م

(٢) طبع مصححاً بقلم العلامة رستنفلد سنه ١٨٣٣م (٢) طبعه العلامة دي يوبد Iopd

الى سنة ١٣٣٧ م وذيله بذكر الحوادث التي جرت الى سنة ١٣٧٠ م

خامساً (ولي‌الدين ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي) الفيلسوف الشهير ولد في تونس سنة ١٣٩١ م ونشأ ودرس العلوم فيها ثم صار كاتباً لصاحب تونس و بعده خدم غيره من امراء المغرب وفي سنة ١٣٨٢ صار قاضي القضاة للمالكين في القاهرة ووقع في اسر السلطان تيمور عند فتح المغول مدينة دمشق ولما اطلق رجع الى القاهرة ومات فيها وهو قاضي القضاة . ولابن خلدون مؤلفات عديدة اشهرها كتاب « العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » وصل فيه الى اواخر الجيل الرابع عشر واهم ما في هذا الكتاب مقدمته التي اشتهرت جداً يذكر فيها أولاً فضل التاريخ واسبابه وغايته ثم عن العمران ويذكر فيه الاقاليم السبعة وتأثير الطبيعة على الانسان ثم عن الاسباب التي أدت الى تأسيس المدن والدول واسباب تقدمها وسقوطها ثم عن البلاد والامصار والمدن وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال ثم عن المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع واخيراً عن العلوم والتعليم وسائر وجوهه . وهذه المقدمة يشتاق لمطالعتها القارئ لسهولة عبارتها وحسن سبكها وللامثال العديدة الواردة فيها من تاريخ جميع الامم . وقد اظهر فيها ابن خلدون براعة في فهم الحوادث التاريخية ونقدها واصابة الرأي فيها ما يندر عند غيره من كتبة التاريخ . وقسم ابن خلدون كتابه ما عدا المقدمة الى جزئين الجزء الاول يذكر فيه تاريخ العرب ومن عاصرهم من الشعوب والثاني يشتمل على تاريخ البربر واهل المغرب [1] .

---

(١) طبع في القاهرة في سبع مجلدات سنة ١٢٨٤ هجرية . والمقدمة طبعت ايضاً وحدها في القاهرة سنة ١٢٧٤ هجرية . والجزء المختص بالبربر طبعه العلامة دي سلان De Slane في الجزائر سنة ١٨٤٧ — ١٨٥١ م في مجلدين وترجمه الى اللغة الفرنساوية وطبع الترجمة سنة ١٨٥٢ ـ ١٨٥٦ في ثلاث مجلدات . والمقدمة طبعها ايضاً العلامة كاترمير في المجموعات المنتخبة من خزانة كتب الخط في باريز المعروفة باسم Notices et extraits سنة ١٨٥٨ وترجمها دي سلان الى الفرنساوية وطبع الترجمة في المجموعات المذكورة سنة ١٨٦٢ ـ ١٨٦٥ . وترجم المقدمة الى اللغة

سادساً (زيد الدين ابو الوليد محمد بن شحنة) المتوفى سنة ١٤١٢ م كان قاضياً في حلب ثم في القاهرة وكتب مختصراً في التاريخ العمومي سماه «روضة المناظر في علم الاوائل والاواخر» وصل فيه الى سنة ١٤٠٣ وقسمه الى مقدمة ومصراعين وخاتمة وسمى المقدمة بالمفتاح تكلم فيها عن التكوين وفي المصراع الاول عن الحوادث من آدم الى هجرة الرسول وفي الثاني عن الحوادث التي جرت بعد الهجرة وفي الخاتمة عن انقضاء العالم

سابعاً ابنه (محب الدين ابو الفضل محمد) المتوفى سنة ١٤٨٥ م رغب ان يصلح ما تخلل تاريخ ابيه من اغلاط النساخ فكتب على منهج والده تاريخاً مختصراً سماه «نزهة النواظر في روض المناظر»

ثامناً قاضي قضاة الحنفيين في القاهرة (بدر الدين محمود العيني) المتوفى سنة ١٤٥١ م كتب تاريخاً عمومياً سماه «عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان» في ١٩ مجلداً

تاسعاً ابو العباس (احمد بن يوسف الدمشقي) المتوفى سنة ١٦١٠ م كتب تاريخاً عاماً مختصراً سماه «اخبار الدول وآثار الاول» واخذ عن تاريخ لقاضي حلب المولى مصطفى بن السيد الحسن الرومي الجنابي المتوفى سنة ١٥٩٠ م (١)

عاشراً (محمد بن علي بن طباطبا) المعروف بابن الطقطقي صنف كتاباً في التاريخ للامير فخر الدين صاحب تبريز وسماه «الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية» (٢)

النساب واصحاب السير

ونختم باب التاريخ بذكر اصحاب الانساب والسير وكان سبب ظهور هؤلاء الكتبة حرص الاولين على صحة الحديث وضبط اسناداته فاخذوا يجمعون انساب رواة الحديث وسيرهم ويرتبونها طبقات حسب حسن سيرتهم وصدقهم ليعتمدوا على

التركية ايضاً المولى بير زاده وسمى الترجمة عنوان السير وطبعها في القسطنطنيه

(١) طبع في القاهرة سنة ١٢٩٠ للهجرة

(٢) طبعه العلامة ألورت Ainwart في غوتا سنة ١٨٦٠ وترجمه الى اللغة الروسية العلامة خلما غورف وطبعه في مدينة قازان سنة ١٨٦٣ م

الافضل والاصدق منهم فتجمعت انساب رجال عديدة وسيرهم ثم زيد على ذلك سير التابعين لهم فتألف من كل ذلك مصنفات كثيرة ليس لها نظير عند امم اخرى غير العرب ولهذه المصنفات شأن عظيم لمن يهمه معرفة تاريخ الشرق حق المعرفة .

النساب

اولاً (ابو المنذر هشام بن ابي نصر المعروف بابن الكلبي) المتوفى سنة ٨٢٠ م كان عالماً بالنسب واخبار العرب وايامها وامثالها ووقائعها وله كتاب « الجمهرة في الانساب » وهو من محاسن الكتب في هذا الباب ومؤلفاته عديدة تبلغ المائة والخمسين اخذ عنها المؤرخون بعده. [١]

ثانياً (ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة) الكوفي ولد في الكوفة ونسب اليها ويقال له الدينوري ايضاً نسبة الى الدينور وكان قاضياً فيها وكان يغلو في البصريين الا انه خلط المذهبين وتكلم في كتبه عن الكوفيين وكان صادقاً في مايرويه عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه وكان كثير التصنيف والتأليف [٢] وقيل انه ولد في بغداد سنة ٨٢٨ م وله مصنفات عديدة اشتهر منها كتاب « المعارف » فيه فوائد كثيرة عن انساب العرب واخبارهم وعمن اشتهر منهم في الاجيال الاولى من المسلمين [٣] . وله ايضا كتاب « ادب الكاتب » قيل انه صنفه لابي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الخليفة المعتمد العباسي ويوجد نسخة من هذا الكتاب في المتحف الآسيوي في بطرسبرج . توفي ابن قتيبة سنة ٨٨٤ وقيل سنة ٩٠٩ م [٤]

ثالثاً تاج الاسلام (ابو سعد عبد الكريم السمعاني) المتوفى سنة ١١٦٧ م قال عز الدين بن الاثير وهو اخو المؤرخ « رحل ابن سعد في طلب العلم والحديث الى شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها ولقي العلماء واخذ عنهم وجالسهم وروى عنهم واقتدى

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٩٥ — ٩٨ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ١٩٥ (٢) انظر الفهرست صفحة ٧٧

(٣) طبعه وستنفلد سنة ١٨٥٠ م

(٤) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٥١

بافعالهم وآثارهم الحميدة [١] وكان عدد شيوخه يزيد على اربعة الاف وصنف التصانيف الحسنة الغزيرة منها كتاب «الانساب» في ثماني مجلدات وهو الذي اختصره ابن الاثير المذكور (المتوفى سنة ١٢٣٢ م) في ثلاث مجلدات سماها « اللباب في تهذيب الانساب » واختصر اللباب العلامة السيوطي وسمى مختصره « لب اللباب في تحرير الانساب» [٢]. وتوجد نسخة كاملة من كتاب الانساب في المتحف الآسيوي في بطرسبرج . [٣]

ونذكر هنا ايضا مصنفا في سلسلة التواريخ لابي الحسن حمزة الاصبهاني الذي عاش في منصف القرن العاشر يسمى كتاب « سني ملوك الارض والانبياء » [٤]

ونختم هذا الباب بذكر مصنف في تاريخ الاديان يسمى « الملل والنحل » ذكر فيه المؤلف سير ائمة المذاهب العديدة التي يبحث فيها وهو خير كتاب في هذا الباب ومؤلفه ابو الفتح محمد بن القاسم الشهرستاني . ولد في شهرستان من اعمال خراسان سنة ١٠٧٤ م وتوفي بها سنة ١١٥٢ وكان اماما فاضلاً فقيهاً كثير المحفوظ حسن المحاورة وله مصنفات في عدة علوم [٥]

---

(١) ومن ظريف ما حكاه ابو سعد قال ودعني عبد الله بن محمد الجيلي نزيل الانبار لما رحلت عنها وبكى وانشدني :

ولما برزنا لتوديعهم بكوا لؤلؤاً وبكينا عقيقا
اداروا علينا كؤوس الفراق وهيهات من سكرها ان نفيقا
تولوا فاتبعتهم ادمعي فصاحوا الغريق وصحت الحريقا

(٢) طبعه العلامة وت Veth سنة ١٨٤٠ م و ١٨٤٢ وذيله بحواش وشروح باللغة اللاتينية طبعها في ليدن سنة ١٨٥١ م

(٣) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٠١

(٤) طبعه العلامة غوتوالد Gottwald مع ترجمة لاتينية في ليبسك سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٨

(٥) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٤٣٢ . وطبع كتاب الملل والنحل في القاهرة وطبعه ايضاً كيرتون Cureton في لندن سنة ١٨٤٦ م ثم ترجم الى اللغة النمساوية وطبعت ترجمته في مدينة هال Hall سنة ١٨٥١ وترجمه الى

اصحاب السير والتراجم

اولاً (ابو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري) كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والاصول والشعر والكتابة وعلم التصوف اصله من ناحية (استوا) من العرب الذين قدموا خراسان اتى نيسابور واخذ العلم عن الشيخ ابي الحسن النيسابوري وغيره فبرع وصار استاذاً وخطيباً في نيسابور والف مصنفات عديدة منها التفسير الكبير وسماه « التيسير » « والرسالة القشيرية » في رجال الطريقة ذكر فيها سير مشاهير الصوفيين توفي ابو القاسم سنة ١١٨٣ م (١)

ثانياً (ابو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال القرطبي) وكان بشكوال احد اجداده فعرف به ولد في قرطبة سنة ١١٠٠ م واليها ينسب . كان احد علماء الاندلس وله التصانيف المفيدة منها كتاب «الصلة» الذي جعله ذيلاً لتاريخ علماء الاندلس تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرضي وقد جمع فيه سير رجال كثيرين وذيل هذا الكتاب ابن الابار كاتب الامراء الحفصية المتوفي سنة ١٢٥٢ وسمى ذيله «بالتكملة» . ولابن بشكوال تاريخ صغير في احوال الاندلس وكتاب «الغوامض والمبهمات» وغير ذلك . توفي بقرطبة سنة ١١٨٣ م (٢)

ثالثاً (جمال الدين ابو الحسن علي المعروف بابن القفطي) المتوفي سنة ١٢٤٨ م اصله من قفط وهي قرية فى صعيد مصر واليها ينسب كان وزيراً للسلطان الناصر صاحب حماة وعالماً في التاريخ وله فيه المصنفات الكثيرة منها تاريخ « الحكماء » وتوجد نسخة منه في مكتبة ليدن

رابعاً (موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم الخزرجي) المعروف بابن ابي اصيبعة كان من علماء الجيل الثالث عشر الف كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء»

اللغة التركية نوح افندي بن مصطفى الرومي المصري الحنفي المتوفي سنة ١٦٥٩ م وهذه الترجمة طبعت في بولاق سنة ١٢٦٣ هجرية

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٢٦٩ (٢) انظر وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة ١٧٢

سنة ١٢٤٥ م في مدينة دمشق برسم امين الدولة بن غزال وزير الملك الصالح وما زال يجمع ويزيد فيه الى ان توفي سنة ١٢٦٩ م وهو خمسة عشر باباً ذكر فيه عن كيفية وجود صناعة الطب واول حدوثها ثم عن طبقات الاطباء اليونانيين في ازمنة مختلفة والسريانيين وعن نقلة الطب من اللسان اليوناني الى العربي وعن طبقات اطباء العرب في البلاد الاسلامية وذكر كلاً منهم في باب البلاد التي ظهر فيها [1]

خامساً (محيي الدين ابو زكريا يحيى النووي) المتوفي سنة ١٢٧٧ م كان فقيهاً شافعياً واستاذ الحديث في المدرسة الاشرفية في مصر واصله من قرية نوا قرب دمشق وهو صاحب قاموس الاعلام المسمى «تهذيب الاسماء» يحتوي على سير مشاهير الرجال الشافعية ورتب فيه سيرهم على حروف المعجم عدا الذين اسمهم محمد فقد اوردهم في اول الكتاب. [2]

سادساً (شمس الدين ابو العباس احمد المعروف بابن خلكان) وهو من بيت كبير بناحية اربل مدينة في العراق على الشاطىء الشرقي من نهر الدجلة بالقرب من الموصل توفي سنة ١٢٨٢م وكان قاضي القضاة في دمشق شافعي المذهب ولي التدريس بعدة مدارس وكان ايضاً شاعراً فصيحاً ومن مصنفاته المشهورة كتاب «وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان» يحتوي على سيرة ٨٦٥ رجلاً ذكر فيها سني مولدهم ووفاتهم وما اشتهروا فيه ومصنفاتهم ورتب السير على حروف المعجم ابتدأ من سيرة ابراهيم ابي عمران النخعي وانتهى بيونس بن يوسف مساعد الشيباني [3] وقد ذيل الوفيات

(١) وقد اعتنى بطبع هذا الكتاب النفيس من عدة نسخ موجودة في بلاد مختلفة كاكسفورد وفينا ولندن وليدن وباريز ونسختين ايضاً لاناس من اهل العلم في اوربا الشيخ العلامة امرؤ القيس ابن الطحان سنة ١٨٨٢ و١٨٨٤م في المطبعة الوهبية في القاهرة وحري ان يقال في هذا الكتاب كل الصيد في جوف الفرا او ينشد

هذا كتاب لو يباع بمثله ذهباً لكان البائع المغبونا

(٢) وقد طبع هذا الكتاب العلامة وستنفلد سنة ١٨٤٢ — ١٨٤٧ م وكتب كتاباً مطولاً باللغة النمساوية عن سيرة النووي ومصنفاته طبعه في مدينة غوتنغن سنة ١٨٤٩ م

(٣) وطبعت وفيات الاعيان في القاهرة سنة ١٣١٠ هجرية (ونحن في كتابنا

كثيرون من العلماء (١) منهم صلاح الدين الخليل الصفدي المتوفي سنة ١٣٦٢ م وسمى ذيله « الوافي بالوفيات » وذيل الوافي ابو المحاسن بن تغريبردي المتوفي سنة ١٤٦٩ م وسمى ذيله « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » ومنهم محمد بن شاكر بن احمد الكتبي المتوفي سنة ١٣٦٢ م ذيل الوفيات بكتاب سماه « فوات الوفيات » طبع في القاهرة سنة ١٢٨٣ هجرية في مجلدين ويحتوي على تراجم ٥٧٢ رجلاً من مشاهير الناس لم تأت في الوفيات .

سابعاً (شهاب الدين ابو الفضل احمد بن حجر المعروف بالعسقلاني) المتوفي سنة ١٤٤٨ م كان قاضياً حنفياً في مكه ومدرساً في مدرسة السلطان بيبرس وله مصنفات منها كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » وهو اكمل كتاب كتب في تراجم الصحابة [٢] وكتاب « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » [٣]

ثامناً (الشيخ القاسم بن قطلوبغا) المتوفى سنة ١٤٧٤ . وله « تاج التراجم في طبقات الحنفية » ذكر فيه سير كل الفقهاء الحنفيين واخذ عن هذا الكتاب العلامة فلوغل في ترتيبه طبقات الفقهاء [٤]

تاسعاً (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي) المتوفى سنة ١٥٠٥ م المتقدم ذكره (انظر صفحة ١٣٦) وله كتاب طبقات المفسرين اورد فيه تراجم مفسري القرآن الى زمانه مرتباً على حروف المعجم [٥] وله أيضاً « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة »

هذا نرسل القارىء دائماً الى هذه الطبعة) . وطبعها ايضاً العلامة وستنفلد سنة ١٨٣٥ ــ ١٨٤٠ وسماها سير مشاهير الرجال لابن خلكان : Ibn Challicani Vitae Illustrium virorum وطبع بعضها العلامة سلان Slane سنة ١٨٣٨ــ١٨٤١ وسماها : Vies des hommes illustres de l'islamisme ثم ترجمها الى اللغة الانكليزية وسمى الترجمة قاموس السير لابن خلكان : Ibn Khallicans biografical dictonnary

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد السادس نمرة ١٤٢٩٨

(٢) طبعه في كلكتة محمد يحيى عبد الحي وغلام قادر في اربع مجلدات سنة ١٨٥٦ ــ ١٨٧٣ (٣) طبعه في كلكته ايضاً سنة ١٨٦٢ (٤) الذي طبعه باللغة النمساوية في المجلة المعروفة . بالاخبار الشرقية المجلد الثاني ــ Die Kunde des Morgenlandes

(٥) وطبع هذا الكتاب البرت مرزينغ Alpert Meursinge سنة ١٨٦٩ م

لم يطبع الى الان وتوجد منه نسخة في المتحف الاسيوي في بطرسبورج وله ايضاً كتاب « مناهل الصفا » المشتمل على تراجم مشاهير الرجال أيضاً وللسيوطي مؤلفات اخرى عديدة لم تطبع الى الآن.

علم الفلك والرياضات

ان العرب عندما ابتدأوا بالبحث في علم الفلك والرياضيات باشروا بترجمة مؤلفات علماء اليونان كبطليموس القلوذي واقليدس وارشميدس وابلونيدس وغيرهم الى اللغة العربية في ايام الخلفاء العباسيين فمصنفات بطليموس المسماة De motu siderum أي حركة النجوم و De spheroé, coclestis ratione أي نظام الافلاك المعروفة عند اليونان Mexalu suntazis والمنقولة بالعربي بالمجسطي ترجمت بامر يحيى بن خالد البرمكي وصححها ابو الحسن وسلام الابرش وجعل لهذا الكتاب ترجمة اخرى الحجاج بن مطر واسحق بن حنين صححها ثابت بن قرة اما اصول اقليدس في الهندسة فترجمها الى العربية الحجاج بن مطر مرتين اولاً للخليفة المأمون وترجمها ايضاً اسحق بن حنين وصححها ثابت بن قرة وكل مصنفات ارشميدس تقريباً ترجمها الى العربية حنين بن اسحق وثابت بن قرة [1] فمن مطالعة ودرس مؤلفات اليونان في العلوم الرياضية تولد عند العرب حب شديد لها فانتشرت هذه العلوم بينهم ورقوا بعضها الى درجة سامية كعلم الفلك وعلم الجبر وسهلوا درس بعضها كعلم الهندسة والمثلثات ونبغ العرب في علم الفلك اكثر من غيره من العلوم الرياضية لدواع دينية منها تعيين حساب السنة القمرية بتدقيق وتحديد طلوع للقمر الجديد ليبتدأوا صومهم في شهر رمضان وغير ذلك وهكذا صارت ترجمة المجسطي اساساً متيناً للعرب في مراقبة النجوم في القبة السماوية .

ولكن في منتصف القرن الثامن قام (ابو اسحق ابراهيم بن حبيب الغزاري) المتوفي سنة ٧٧٢ م ودرس مصنفات علماء الهند في الفلك واستخرج منها جداول فلكية سماها « سند هند » يستدل بها على حركات الكواكب السيارة وعلى طول

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٢٦٥-٢٦٧

وعرض موقع القصبات التي في الخلافة (١)

ومعاصره (ابو سهل فضل بن نوبخت) المتوفي سنة ٧٤٤م فارسي الاصل ومنجم الخليفة المنصور (بعد ابيه نوبخت) نقل من الفارسي الى العربي ومعوله في علمه على كتب الفرس وله عدة مؤلفات في التنجيم وعلم الفلك (٢)

وكذلك (ما شاء الله بن اثري) المتوفى سنة ٨١٥ م صنف عدة رسالات في علم الفلك وكان يهودياً فاضلاً أوحد زمانه في علم الاحكام (٣)

علماء الرياضيات في القرن التاسع

ولما بنى الخليفة المأمون مرصداً فلكياً في بغداد ابتدأت العلمــاء حينئذ بتحسين آلاتهم وزيادة مراقبتهم ورصدهم الكواكب ودعا الخليفة علماء الفلك من امم وبلاد واديان مختلفة منهم سند بن علي اليهودي وخالد بن عبد الملك المروردي وعلي بن اسحاق وعلي بن البحتري وغيرهم واقام عليهم يحيي بن ابي المنصور المتوفى سنة ٨٨٣ م رئيساً في مرصد بغداد فاخذوا يقيسون منطقة الارض في وادي سنجاق بين الرقة وتدمر لاثبات نتائج بحث علماء اليونان في ان الارض كرة مستديرة وليحيى جداول فلكية تسمى كتاب «الزيج المثمن» (٤)

ومن علماء القرن التاسع ايضاً

اولاً (محمد بن كثير الفرغاني) المتوفي سنة ٨٣٠م اشتهر بجده ورصده وتنقيح الكتب المترجمة عن اليونانية وله مختصر في علم الفلك يسمى كتاب «الحركات السماوية

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٢٧٣ لم أجد في الفهرست عن الغزاري سوى : «وهو اول من عمل في الاسلام اسطرلاباً وعمل مبطحاً ومسطحاً وله من الكتب كتاب القصيدة في علم النجوم كتاب المقياس للزوال كتاب الزيج على سني العرب كتاب العمل بالاسطرلاب وهو ذات الحلق وكتاب العمل بالاسطرلاب المسطح »

(٢) انظر الفهرست صفحة ٢٧٤ (٣) انظر الفهرست صفحة ٢٧٣

(٤) انظر الفهرست صفحة ٢٧٥

وجوامع علم النجوم »[١]. وللفرغاني رسالة في كيفية استعمال الاسطرلاب وكيفية عمل الساعات الشمسية.[٢]

ثانياً (اولاد موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن) فانهم تناهوا في طلب العلوم الرياضية وبذلوا فيها الرغائب واتعبوا فيها نفوسهم وانفذوا الى بلاد الروم فاحضروا النقلة اي (المترجمين) من الاصقاع والاماكن بالبذل السني فاظهروا عجائب الحكمة الالهية وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات أي (الميكانيكا) والموسيقى والنجوم ولهم اربعة عشر مصنفاً في الرياضيات منها مختصر في علم الجبر لمحمد بن موسى.[٣]

ثالثاً (ابو معشر جعفر البلخي) المتوفي سنة ٨٨٥م كان اولاً من اصحاب الحديث ثم اخذ بدرس علوم الحساب والهندسة وابتدأ بدرس علم الفلك والنجوم لما بلغ السبع والاربعين سنة من عمره فبرع فيها واشتهر وله فيها ٣٥ مصنفاً منها كتاب « هيئة الفلك واختلاف طلوعه »[٤] وتوفى ابو معشر بواسط سنة ٨٨٥ م وقد جاوز المئة.[٥]

علماء القرن العاشر

اولاً (أبو عبدالله محمد بن جابر البتاني) المتوفى سنة ٩٢٩ م اصله من بتان وهي ناحية من اعمال حران واليها ينسب وكان صائباً لكن اسمه يدل على انه أسلم. ابتدأ بالرصد سنة ٨٧٧ م وداومه الى سنة ٩١٨ فاثبت وجود الكواكب الثابتة في مصنفه المسمى كتاب « الزيج » وما هو الا نتائج كل ارصاده في هذه السنين العديدة وله كتاب

(١) وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات في اوربا منها في امستردام سنة ١٦٩٩ م طبعه غوليدس (٢) انظر الفهرست صفحة ٢٧٩ (٣) طبعه العلامة روزن Rosen سنة ١٨٢١ م مع ترجمة انكليزية (٤) طبع في اوسبرغ سنة ١٤٨٨م وسنة ١٥١٥ (٥) انظر الفهرست صفحة ٢٧٧ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١١٢

« معرفة مطالع البروج في ما بين ارباع الفلك » وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة أسكوريا [1]

ثانياً أبو الوفاء محمد بن يحيي البوزجاني ؛ المتوفى سنة ٩٩٧م ولد في بوزجان وهي بلدة بخراسان بين هراة ونيسابور سنة ٩٣٩ ودرس العلم في خراسان ثم انتقل الى بغداد سنة ٩٥٩ وصار من الائمة المشاهير في علم الحساب والجبر والهندسة والفلك وله فيها اثنا عشر كتاباً وبكثير منها كانت العلماء تحتج به بعده . ومن مصنفاته « الزيج الشامل » وفي الفهرست يسمى كتاب « الزيج الواضح » توجد نسخة منه في مكتبة باريس واخرى في مكتبة فلورنسا. [2]

ثالثا (ابو الحسن علي بن احمد بن يونس المصري) المتوفى سنة ١٠٠٨م كان مختصا بعلم الفلك متصرفا في سائر العلوم بارعاً في الشعر وهو صاحب الزيج الحا كمي المعروف بزيج بن يونس وهو زيج كبير في اربع مجلدات صحح به اغلاط من سبقه من مصنفي الأزياج وعمله للعزيز ابي الحاكم صاحب مصر ونسبه اليه وكان تعويل اهل مصر في تقديم الكواكب عليه [3] وينسب لابن يونس انه اول من استعمل الثقالة اقياس الوقت ومن ظريف شعره قوله :

احمل نشر الريح عند هبوبه رسالة مشتاق لوجه حبيبه
بنفسي من تحيي النفوس بقربه ومن طابت الدنيا به وبطيبه
لعمري لقد عطلت كاسي بعده وغيبتها عني لطول مغيبه
وجدد وجدي طائف منه في الكرى سرى موهناً في خيفة من رقيبه

---

(١) انظر الفهرست صفحة ٢٧٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٨٠ وطبع هذا الكتاب في نورمبرغ سنة ١٥٣٧ افلاطون تيوليسكي Plato ı Tivoliszi ثم طبع مرة اخرى في بولون سنة ١٦٤٩ بعنوان :

Albatenī de scientiı. s.elları.m

(٢) انظر الفهرست صفحة ٢٨٣ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٨١ (٢) وطبع ملخصاً من كتاب الزيج الحاكمي العلامة كرسين دي برسوال Coussin de Perseval وسماه Le livre de grande fable haxemite في المجموعات المسماة Notices etextraits في الجزء السابع منها

وقيل انه كان يطرب بالعود أيضا من جهة التأديب . [(١)]

علماء القرن الحادي عشر

اولاً : اشتهر في هذا القرن (ابو ريحان محمد بن احمد البيروني) اصله من مدينة بيرون الواقعة على نهر الهند واقب بالمحقق لكثرة علومه وسعة معارفه صاحب السلطان محمود الغزنوي في غزواته بلاد الهند وانتفع من ذلك جدًّا اذ تمكن من رصد الفلك في غزنة وقابول وملتان وغيرها من البلدان التي دخل اليها مع السلطان ولابي ريحان مصنفات مشهورة منها كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » يحتوي على ما تركته لنا الامم القديمة من حساب سنيها وتقويمها [(٢)] . ومنها « القانون المسعودي » وهو كتاب في الجغرافيا الرياضية صنفه للسلطان مسعود بن محمود عين فيه موقع البلاد الجغرافية حسب الاستكشافات التي وجدها بنفسه . ونذكر منها اخيراً « تاريخ هند » صور به حالة العلم والادب في بلاد الهند لما استولى عليها السلطان محمود الغزنوي . وتوفى البيروني في غزنة سنة ١٠٣٩م

ثانياً (عمر بن ابراهيم الخيام) فارسي الاصل كان صديقا لنظام الملك وزير السلطان ملكشاه وحاسباً لحسان الصباح ادعى انه صوفي وبالحقيقة لم يكن صوفياً بل منكر لكل دين محباً للدنيا وملذاتها وكان رئيسا لمرصد شيّده السلطان ملكشاه في بغداد ونتيجة رصده تصحيح حساب السنين المعروف « بتقويم جلال الدين » وكان ذلك سنة ١٠٧٣م وله « رسالة في الجبر » [(٣)] . وكان عمر الخيام شاعراً ايضا وكل شعره باللغة الفارسية اشتهر منها « الرباعيات » . [(٤)]

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٣٧٥

(٢) وقد طبع هذا الكتاب العلامة سخاو Sachau في ليبسك سنة ١٨٧٦ م .

(٣) طبعها مع ترجمة فرنساوية ويبكه Woepka في باريز سنة ١٨٥١ م

(٤) ترجمها الى اللغة الفرنساوية نيقولاس Nicolas وطبعها في باريز سنة ١٨٦٧

ومن علماء القرن الثالث عشر

(نصير الدين ابو جعفر محمد الطوسي)المتوفي سنة١٢٧٣م [(١)] ولد في مدينة طوس من اعمال خراسان سنة ١٢٠١م وكان عارفاً كثيراً من العلوم وخدم السلطان هولاكو خان فبنى له سنة ١٢٥٩ مرصداً في مدينة مرغاة من اعمال اذر بيجان وجعله ناظراً عليه قال ابن الكتبي « وكان في مكتبة ذلك المرصد اربعمائة الف مجلد من الكتب التي نهبتها التتر من بغداد والشام والعراق واشتغل نصير الدين في مرصده بصحبة العلماء مؤيد الدين العرضي الدمشقي وفخر الدين الخلاطي ونجم الدين المراغي الموصلي وغيرهم » . وكانت نتيجة رصد هؤلاء العلماء بعد اثنتي عشر سنة زيجاً جديداً في الفلك سموه « زيج ايلخاني » لان نصير الدين اهداه لايلخان هولاكو وماكان ذلك الزيج الا الزيج الحاكي لابن يونس مصححاً ومذيلا . وانتشر زيج ايلخاني في كل مدارس الشرق في ذلك القرن حتى استعملوه أيضاً في بلاد الصين . وهو يحتوي على اربعة ابواب الاول في تقديم حساب السنين والثاني في حركات الكواكب والثالث في معرفة الاوقات والرابع في التنجيم . ولنصير الدين شرح حسن على كتاب تحرير اصول اقليدس [(٢)] وله ايضاً كتاب « تجريد الكلام »

وكان ختام رصد العرب في الفلك في القرن الخامس عشر وذلك ان ألوغ بيك بن شاهروح صاحب سمرقند المتوفى سنة ١٤٤٩م وقتله ابنه عبد اللطيف كان مولعاً بعلم الفلك وشيد فيها مرصداً وجمع فيه كل ما يلزم من الآلات الفلكية ودعا اليه علماء زمانه مثل خلاص الملة والدين حسن چلبي المعروف بقاضي زاده الجيشدي وعلي بن محمد كشجي وغيرهما فاخذوا يرصدون الكواكب ويراقبون كلاً منها على حدة مدة طويلة ويكتبون ما يرصدونه فكان نتيجة رصدهم ومراقبتهم وكتابتهم زيجاً جديداً يسمى « زيج ألوغ بيك » أو « الزيح السلطاني » الذي يستعمل الى الآن في بلاد الاسلام لتعيين الطول والعرض ولتقديم السنين وكتب هذا الزيج اولاً باللغة الفارسية ثم ترجمه العالم مريم

(١) انظر فوات الوفيات المجلد الثاني صفحة ١٨٦

(٢) طبع اولا في رومية سنة ١٥٩٤ م ثم في لندن سنة ١٦٥٧م

چلبي بن قاضي زاده المذكور الى اللغة العربية [1] . والحق يقال ان ألوغ بيك هذا يعد آخر الفلكيين الذين اخذوا العلم عن مدرسة بغداد العظيمة لانه بعد موته بنصف جيل ظهر في اوربا العلامة كبلير Kepler الذي وضع اساس علم الفلك على ما هو الآن في اوربا .

الطب والفلسفة الطبيعية

ان العرب هم الشعب الوحيد الذي اشتهرت علماؤه بدرس العلوم الطبية والبحث فيها في القرون الوسطى ولهم الحق ان يفتخروا بانه كان لهم الباع الطويل في البحث باكثر علومه وكان مبدأ معرفة العرب بعلوم الطب في المدرسة الجندي سابرية التي اسسها في خوزستان في القرن الرابع للميلاد ملك الفرس شاه سابور الثاني بواسطة رهبان السريان النساطرة الذين هربوا الى بلاد فارس من اضطهاد قياصرة الروم لهم . فاننا نعرف ان (الحارث بن كلدة) المتوفى سنة ٦٢٤ أو سنة ٦٣٤ م درس الطب في جندي سابور وعاش زمانا طويلاً في بلاد الفرس ورجع الى مكة باموال عظيمة وبقي فيها في ايام الرسول وابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب ومعاوية . [2]

وكذلك بن النضر الحارث وهو بن خالة النبي (صلعم) طاف البلاد كأبيه واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة ودرس على ابيه وعلى الاحبار والكهنة وغيرهم .

وفي ايام الخلفاء من بني امية كان اكثر الاطباء من العرب نصارى ويهوداً ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك (من ٧٠٥ — ٧١٥ م) عمر اول مستشفى في دمشق وعين له الاطباء ورتب لهم معاشاً . اما الخلفاء العباسيون ففعلوا اكثر من ذلك والحق يقال انهم شيدوا اساساً متيناً لمطالعة الطب بين العرب فان الخليفة المنصور (من ٧٥٤— ٧٧٥) بني في بغداد مدرسة للطب وعين لاساتيذها رواتب وشيد مكتبة وصيدلية

(١) طبع زيج الوغ وزيج ايلخاني العلامة غراوي Gravi سنة ١٦٤٨ و١٦٥٢م

(٢) ويروى عن سعد بن ابي الوقاص انه مرض فعاده الرسول فقال ادعو له الحارث بن كلدة فانه رجل يطبب وللحارث كلام مفيد مع كسرى انو شروان تجده في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء الذي سبق الكلام عنه .

وعدا ذلك أمر بجمع لجنة من العلماء في الطب تفحص الاطباء وفي ايامه وايام خلفائه ترجمت الى اللغة العربية مؤلفات علماء اليونان في الطب ابقراط وجالينوس ودياسقوديديس وغيرهم [١] فاخذت العرب تدرسها بكل جد متمزبين به وساعد كثيراً نجاح الطب عند العرب في بلاد الاندلس الخليفة الحاكم الثاني الاموي (من سنة ٩٦١— ٩٧٦ م) الذي شيد في قرطبة مدرسة طبية ومكتبة غنية كانت مركزاً عظيما خرج منه عدة علماء في الطب وطبيوا في اوربا في القرون الوسطى وكان اكثرهم من اليهود فنشروا علم الطب فيها وهكذا وصلت كتب الطب العربي اليها وترجمت الى اللغة اللاتينية اللغة العلمية في تلك القرون في اوربا وصارت كتب العرب قاعدة لهم في درسهم علوم الطب كل تلك الاجيال ولكن يلزمنا ان نلاحظ ان علماء العرب لم يزيدوا شيئاً في علمين من علوم الطب على ما اخذوه من اليونان وذلك في علمي التشريح والجراحة لان الشريعة لا تسمح بتشريح الانسان والجراحة مبنية على علم التشريح ولكن الحق يقال انهم في بقية علوم الطب التي اخذوها عن اليونان بحثوا فيها جداً و برعوا ولهم فيها اكتشافات عديدة فهم الذين وضعوا علم الكيمياء ووسعوا دائرة علم النبات وخصوصاً النباتات التي يعالج بها وعلم تركيب الادوية ويظهر ذلك واضحا من عدد الكلمات الطبية العربية الوافرة التي كانت مستعملة في لغات اوربا ولم يزل بعضها .

وكان الاطباء في ابتداء ظهور دولة بني العباس نصارى سريان واولهم (جورجيوس بن جبرائيل) الذي دعا المنصور من مدينة جندي سابور وكان رئيس الاطباء في بيمارستانها لخدمه الى ان مات ولجورجيوس المذكور من الكتب « كناشة المشهور » نقله حنين من سحاق من السرياني الى العربي [٢]

ثم ابنه (بختيشوع بن جورجس) ومعنى بختيشوع عبد المسيح لان في اللغة السريانية البخت هو العبد ويشوع هو يسوع خدم هارون الرشيد وتميز في ايامه وله من الكتب

---

(١) عن نقلة كتب اليونان الطبية الى العربي انظر كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء الجزء الاول صفحة ٢٠٣ (٢) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الاول صفحة ١٢٣

« كناش مختصر » وكتاب « التذكر » ألفه لابنه جبرائيل [1]

وبعده ابنه (جبرئيل بن بختيشوع) « المتوفى سنة ٨٢٨م » خدم الرشيد والامين والمأمون وله عدة كتب منها رسالة الى المأمون في المطعم والمشرب ورسالة مختصرة في الطب

واخيراً ابن هذا (بختيشوع بن جبرائيل) خدم المهتدى والمتوكل وتوفي سنة ٨٦٩ م وله كتاب في الحجامة [2]

وعدا العائلة البختيشوعية كان في دار الخلفاء اطباء غيرهم منهم :

اولا (ابو ذكريا يحيى بن ماسويه) المتوفي سنة ٨٥٧ م كان مسيحي المذهب سريانياً قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه امينا على الترجمة وخدم الخلفاء نحو خمسين سنة فخدم هارون والامين والمأمون وبقي على ذلك الى ايام المتوكل وله مصنفات عديدة منها ترجمة ارسطوطاليس وكتاب « البرهان في الطب » ثلاثون بابا وكتاب « المنجح» في الصفات والعلاجات وكتاب « الحميات» وكتاب في « دخول الحمام » وقد طبعت مصنفاته عدة مرات في اوربا ويعرف عند الاوربيين باسم يوحنا بن ماسويه Johannes Damascenu وكان ابوه ماسويه واخوه ميخائيل طبيبين ايضا [3]

ثانيا (حنين بن اسحق) المتوفى سنة ٨٧٦ م المكنى بابي زيد العبادي والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة والنسبة اليهم عبادي وكان حنين فصيحا بارعا شاعراً واقام في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل بن احمد ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب واخذه عن يحيي بن ماسويه وبرع باللغات اليونانية والسريانية والفارسية وصار اعلم اهل زمانه فيها فنقل منها الى العربية عدة كتب وطاف بلاد الفرس واليونان وجمع منها كثيراً وخدم الخلفاء وطبب. ومن ترجماته الفصول الابقراطية والمدخل في الطب الى ظهور كان يعتمد عليها فقط في الطب

---

(١) انظر الكتاب نفسه الجزء الاول صفحة ١٢٥ (٢) انظر الكتاب نفسه الجزء الاول صفحة ١٣٨ (٣) انظر كتاب عيون الاول صفحة ١٧٥ ـ ١٨٣

الى ظهور مؤلفات ابن سينا وله عدا الترجمات العديدة مصنفات ايضا في عدة علوم [١]

ثالثاً (أبو يعقوب اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي) المتوفى سنة ٩١٠م وهو يلحق بابيه في النقل ومعرفته باللغات وفصاحته فيها الا ان نقله للكتب الطبية كان قليلاً جداً بالنسبة الى ما يوجد من نقل ابيه وخدم من خدمه ابوه من الخلفاء وكان منقطعاً الى القاسم بن عبيد الله وفضلا عن ترجماته فان له من المصنفات كتاب « الكناش » وكتاب « تاريخ الاطباء » ذكر فيه ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء . [٢]

علماء الطب في القرن العاشر

اولاً (ابو بكر محمد بن زكريا الرازي) توفي سنة ٩٢٣م ولد سنة ٨٦٠م في الري ونشأ فيها وصار رئيساً لمستشفاها ايضاً في ايام الخليفة المكتفي وكان في صباه يضرب بالعود ويغني فلما التحى وجهه قال « كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف » فنزع عن ذلك ولما كان عمره نحو الاربعين سنة اقبل على طلب علم الطب والفلسفة فبرع فيهما جداً وصار امام عصره تشدّ اليه الرحال من اقصى البلاد للدرس عليه وقد جمع الرازي العلم والعمل معاً جاريا على قول المثل « عالم بلا عمل كسحاب بلا مطر » فسمي جاليوس العرب وله نحو مئتي مصنف في الطب والفلسفة منها كتاب « الحاوي » وهو اجل كتبه واعظمها في صناعة الطب جمع فيه كل ما وجده متفرقا في ذكر الامراض ومداواتها من سائر كتب المتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه ومع ان الرازي توفي بعد ان عمي من كثرة درسه وشغله ولم يفسح له الاجل ان يحرر هذا الكتاب بنفسه بل وصل الينا مجموعا من تلاميذه فهذا الكتاب قد اشتهر جداً في الشرق والغرب ومن سنة ١٤٨٦ م طبع خمس مرات في اوربا ومنها كتاب « المنصوري » صنفه للامير ابي صالح منصور بن نوح وهو على صغر حجمه كثير الفائدة يحتاج اليه كل

(١) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الاول صفحة ١٧٤ — ٢٠٠ وكتاب الفهرست صفحة ٢٩٤ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٦٧

(٢) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الاول صفحة ٢٠٠ و٢٠١ وكتاب الفهرست صفحة ٣٨٥ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ٦٦ .

واحد [١] . ومنها « مقالة في الجدري والحصبة » اربعة عشر باباً مشهورة جداً [٢]

ثانيا من اطباء الاندلس الذين اشتهروا في القرن العاشر (أبو داود سليمان ابن حسان المعروف بابن جلجل) المتوفى سنة ٩٨٢ م كان في ايام الخليفة المؤيد بالله من اطبائه وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة وقد نشر اسماء الادوية المفردة من كتاب ديوسقوريديس فابان مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها وكان اصطفان بن باسيل قد ترجم كتاب ديوسقوريديس هذا الى العربية في ايام الخليفة جعفر المتوكل وصححه حنين بن اسحق حينئذ ولكن اصطفان ابقى فيه كثيراً من الاسماء اليونانية على اصلها بدون ترجمة اذ لم يكن يعرف مسمياتها العربية فانتشرت ترجمة اصطفان في كل البلاد وفي الاندلس ايضاً فانتفع الناس بالادوية التي ترجمت اسماؤها الى العربية وجرى الامر على ذلك الى ان اهدى القيصر ارمانيوس (Roman I) ملك الروم سنة ٩٤٨م للخليفة الناصر عبد الرحمن الثالث هدية وهي كتاب ديوسقوريديس فيه صور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب ولكن اذ لم يكن في الاندلس من يقرأ اللغة اليونانية بقي الكتاب في خزانة الخليفة الى ان ترجمه ابن جلجل بمساعدة راهب بعث به القيصر ارمانيوس الى الناصر يسمى نقولا ولابن جلجل مصنفات طبية اخرى . [٣]

ثالثاً (علي بن عباس المجوسي) المتوفى سنة ٩٩٤ م من الاهواز كان طبيباً مجيداً مميزاً في صناعة الطب وهو الذي صنف للملك عضد الدولة فناخسروا الديلمي الكتاب المشهور « بالملكي » وهو كتاب جليل مشتمل على اجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها وفيه عشرون مقالة وكانت الاطباء تعوّل عليه زماناً طويلاً . [٤]

---

(١) طبع عدة مرات مع ترجمات الى اللغتين اللاتينية والايطالية في أوربا بعنوان Ad Almansorem librim (٢) طبعت في اوربا والشرق عدة مرات من سنة ١٤٩٨ م الى ايامنا هذه . وانظر كتاب الفهرست صفحة ٢٩٩ ووفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثاني صفحة ٨٧ وكتاب عيون الانباء الجزء الاول صفحة ٣٠٩ — ٣٢١ (٣) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٤٧ — ٤٨

(٤) ترجم الى اللغة اللاتينية سنة ١١٢٧ م وطبع سنة ١٤٩٢ و١٥٢٥ م بعنوان Liber totins medicinae انظر عيون الانباء الجزء الاول صفحة ٢٣٦ .

علماء الطب في القرن الحادي عشر

(الشيخ الرئيس ابن سينا) هو ابو علي الحسين بن عبد الله ابن الحسن بن سينا المتوفى سنة ١٠٩٧م ٤٢٨ هـ وُلد في أنشنة وهي قرية من ضياع بخاري ثم انتقل مع والديه الى بخاري ودرس فيها القرآن وعلوم الادب واتى عليها وله من العمر عشر سنين ثم اخذ في درس المنطق والعلوم الرياضية والطبية والفلسفة واشتهر علمه في بخارى حتى انه لما بلغ ثمانية عشر سنة دُعي لتطبيب نوح بن منصور امير بخارى من مرض لجت (أي قصرت) عنه الاطباء فعالجه ابن سينا فشفي واقام في خدمته وسأله ان يأذن له في الدخول الى دار كتبه ومطالعتها فاذن له وصار يدخلها ويطالع فيها فانتفع بما فيها من كنوز العلم وفي اثناء ذلك توفي ابوه واضطربت امور الدولة السامانية فدعته الضرورة الى ترك بخارى والانتقال الى كركانج ثم الى نيسابور وطوس وغيرها من بلاد خراسان وجرجان وخوارزم وما زال ينتقل من مدينة الى اخرى ويتصل بحكامها وينفصل عنهم حتى اتى همذان وتولى الوزارة لشمس الدولة ولما مات شمس الدولة انتقل الى اصفهان واتصل بعلاء الدولة ابي جعفر بن كاكوية فمرض بها مرضاً شديداً بسبب ولعه بالمسكرات وسوء سيرته فرجع الى همذان ومات فيها وله من العمر ٥٨ سنة وكان ابن سينا في صغره وشبابه ديّناً حسن السيرة وفي آخر حياته رديء السيرة الا انه تاب قبل موته وكان نادرة عصره في علمه صنف نحو مائة كتاب في علوم مختلفة وكان فيلسوفاً شاعراً ومن مليح شعره قصيدة في النفس يقول فيها :

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها ... من ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع

تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى بمدامع تهمى ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص عن الأوج الفسيح الاربع
وغدت نهارقة لكل مخلف عنها حريف الترب غير مشيع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأي شيء أهبطت من شاهق سام الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة طويت عن الفطن اللبب الاورع
فهبوطها اذ كان ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ومن اشهر كتبه في الطب « القانون » وهو يشتمل على قسمي الطب النظري والعملي قسمه المؤلف الى خمسة ابواب اولاً : في الامور الكلية ثانياً : في الادوية المفردة ثالثاً : فى الامراض العضوية رابعاً : في الامراض التي لم تختص بعضو خامساً : في تركيب الادوية وله شروح عديدة واختصره غير واحد من العلماء (١) . وهذا الكتاب كان حقيقة قانوناً للاطباء وقاعدة لهم فى مطالعاتهم وتطبيبهم الى القرن السابع عشر في اوربا ولم يزل الى الآن في بلاد الشرق التي لم يدخلها الطب الاوربي . وكذلك كتاب « الادوية القلبية » (٢) . ولابن سينا مصنفات كثيرة في الفلسفة منها كتاب « المجموع » ويعرف أيضاً « بالحكمة العروضية » ألفه لابي الحسن العروضي وكتاب « المبدأ والمعاد » فى النفس وكتاب « الهداية في الحكمة » وكتاب « الحكمة

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد الرابع نمرة ٩٣٥٤ . وقد طبع القانون في رومية سنة ١٥٩٣ م وترجم الى اللغة اللاتينية ومن سنة ١٤٧٣ م طبعت ترجمته اكثر من ثلاثين مرة وعنوانها Canon medicinae (٢) طبع وترجم

المشرقية » وغيرها كثير في النحو والعروض والمنطق طبع منها رسائل في اسرار الحكمة الجزء الاول رسالة حي لابن يقظان [١] وتسع رسائل في الحكمة والطبيعيات [٢]

ثانياً (أبو الحسن المختار بن الحسن المعروف بابن بطلان) المتوفي سنة ١٠٥٢ نصراني من اهل بغداد درس الطب فيها وعلى علمائها وبرع واشتغل وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري وكانت بينهما المراسلات العجيبة ولم يكن احد منهما يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً الا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منه الى مشاهدة ابن رضوان والاجتماع به فلما وصل الى حلب أقام بها مدة وأحسن اليه معز الدولة ثمال بن صالح صاحبها واكرمه اكراماً كثيراً ثم اتى مصر ودخل الفسطاط وجرت بينه وبين ابن رضوان وقائع كثيرة ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة كثير منها في كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من مصر ولابن رضوان كتاب في الرد عليه وكان ابن بطلان شاعراً فصيحاً وله أشعار ونوادر ظريفة في كتابه المسمى «بدعوة الاطباء» وعدة مصنفات في الطب منها كتاب « تقويم الصحة » [٣]

واشتهر في القرن الحادي عشر والثاني عشر في الأندلس (بنو عائلة زهر) قام منهم الفقهاء والاطباء والشعراء والوزراء وكان أبوهم (زهر بن أبي مروان من بني زياد ابن عزار) طبيباً أيضاً هاجر الى الاندلس في بدء القرن العاشر وكذلك ابنه (أبو مروان

---

(١) طبعها العلامة مهران Mehren في ليدن سنة ١٨٨٩ م بعنوان Traités mystiques وفي القاهرة ايضاً سنة ١٠٩٩ هجرية (٢) طبعت في مطبعة الجوائب في القسطنطينية سنة ١٢٩٨ هجرية. انظر وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الاول صفحة ١٥٢ وكتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٣ — ٢٠ (٣) ترجم الى اللغة اللاتينية بعنوان Tacuimi sanitatis argenter وطبع سنة ١٥٣١ م . ثم الى اللغة النمساوية بعنوان : Schachtafeln der gesundheit ïbers von Mich. Herum Strasbarg سنة ١٥٣٢م انظر كتاب عيون الانباء الجزء الاول صفحة ٢٤١

مثل القانون ويسمى باللاتينية Medicinis Cordialibus

عبد الملك) المتوفي سنة ١١٦٩ م[1] لحق بأبيه في صناعة الطب وسافر الى بلاد الشرق وطبب فى عدة بلاد فشاع ذكره في الاندلس وانتشرت مصنفاته فيها وفي زمانه دخل الاندلس المهدي وشرع في بث دعوته فلما انتشرت كلمته واتسعت مملكته وملك البلاد قرب اليه أهل العلم واختص منهم أبا مروان عبـد الملك بن زهر فألف له « التر ياق السبعيني » وكتاب « التيسير في المداواة والتدبير »[2]

ثم ابنه (أبو بكر بن زهر المعروف بالحفيد) كان وزيراً وحكياً وفقيهاً شهيراً ولد باشبيلية ونشأ فيها وأخذ صناعة الطب عن أبيه وباشر أعمالها وكان حافظاً للقرآن وسمع الحديث واشتغل بعلم الادب والعربية ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة ونظم الشعر وأجاد فيه وله موشحات مشهورة ومن مليح شعره قوله :

اني نظرت الى المرآة اذ جليت	فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه	وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت اين الذي مثواه كان هنا	متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجهلتنى وقالت لي وما نطقت	قد كان ذاك وهذا بعد ذاك انى
هوّن عليك فهذا لا بقآء له	أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا
كان الغواني يقلن يا أخيّ فقد	صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا

وكان ابو بكر ماهراً بصناعة الطب وتعاطاها في اشبيلية ثم انتقل الى مراكش وخدم الخلفاء الموحدين عبد الملك يوسف ثم ابنه يعقوب الملقب بالمنصور ثم حفيده ابا عبدالله الملقب بالناصر وتوفي في بدء دولة الناصر سنة ١١٩٣ .[3]

وظهر في القرن الثاني عشر في الاندلس (ابو الوليد محمـد بن رشد) المتوفى سـنة ١١٩٨ م ٥٩٥ ﻫ ويعرف عنـد اهل اوربا (Averroes) وُلد في قرطبة سنة ١١٤٩ م وكان ابوه وجده من قضاتها واعتنى ابن رشد بتحصيل العلوم وبرع في

(١) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٦٤

(٢) طبع اول مرة مع ترجمة لاتينية في فينيسيا سنة ١٤٩٠ م . انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٦٦

(٣) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٦٧ — ٨٤

علم الفقه والكلام ثم تميز في علم الطب واخذ الفقه عن الحافظ ابي احمد بن رزق والطب عن ابي جعفر بن هارون وكان بينه وبين ابي مروان بن زهر مودة فتوظف قاضياً في اشبيلية ثم في قرطبة وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ولكن نقم عليه وامره أن يقيم في أليسانة وهي بلدٌ قرب قرطبة كانت اولاً لليهود وامره ان لا يخرج منها وفعل ذلك به وبجماعة ايضاً من الفضلاء لانه رفع الى المنصور انهم يشتغلون بالفلسفة وعلوم الاوائل وينكرون الدين ثم ان جماعة من اعيان اشبيلية برّروا ابن رشد في اعين المنصور وشهدوا له بالايمان فغض المنصور عنه وبعدها انتقل ابن رشد الى مراكش وتوفي فيها ونقلت جثته بعد ثلاثة اشهر الى قرطبة ودفن في قرية اجداده ولابن رشد عدة مصنفات في الطب والفلسفة اشتهر منها كتاب « الكليات »[1] « وفصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » طبع عدة مرات

علماء الطب في القرن الثالث عشر

اولاً (موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المعروف بابن اللباد) المتوفى سنة ١٢٣١م ٦٢٩ هـ وُلد ببغداد سنة ١١٦٢ م ودرس العلوم فيها ولما نبغ جعل ينتقل من مدينة الى اخرى فسكن تارة الموصل ومرة دمشق واخرى القاهرة وكان يتعاطى صناعة الطب وتدريس النحو والحديث وعلم الطب والفلسفة وهو مع كثرة تنقله واسفاره صنف كتباً عديدة في الطب وغيره تبلغ ١٦٦ كتاباً التي وصلت الينا مقتطفة وملخصة في كتابه المسمى كتاب «الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر»[2]

ثانياً (علاء الدين ابو الحسن عليّ القرشي المعروف بابن النفيس) درس الطب في دمشق واشتهر فيها كعالم مدرس وطبيب ماهر اختصر قانون ابن سينا وسماه « موجز القانون في الطب»[3]

---

(١) طبع عدة مرات في اوربا بعنوان Colligeti وقد سردت مصنفاته الاخرى في كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٧٥ــ٧٨ . (٢) طبعه العلامة سلوستر دي ساسي مع ترجمة فرنساوية في مجموع يسمى : Abd-Allatif relation d Egypte suivie de divers extraits d'ecrivains orientaux في باريز سنة ١٨١٠م

(٣) طبع في كلكته سنة ١٨٢٨ م

في الطبيعات

ان العلوم الطبيعية لم تكن عند العرب علوماً مستقلة بنفسها وموضوعاً للدرس والبحث الخصوصي بل كانت دائما فرعاً من فروع علم الطب وكانوا يدرسون ويفحصون فقط من النباتات والاعشاب والجوامد المستعملة في الطب كادوية نافعة ومع ذلك توجد في مؤلفاتهم التي يبحثون فيها عن الادوية المفردة والمركبة معلومات مفيدة عديدة تختص بعلم النبات وغيره من العلوم الطبيعية ويوجد كثير من مثل هذه الفوائد في كتب المصنفين في فن الفلاحة مثل كتاب (ابي زكريا يحيى بن العوام) الذي يظن انه عاش في أواخر القرن الثاني عشر المسمى كتاب « الفلاحة » [1] وعلى ما يظن ان كتاب الفلاحة لابن العوام ليس الا ملخصاً من كتاب « الفلاحة النبطية » (لابن وحشي الكلداني) الذي على ما يظن عاش في القرن العاشر وله مصنفات في الكيميا وعلم النجوم وغيرها

وممن اشتهر بمعرفة علم النبات في القرن الثالث عشر

أولاً (أبو العباس أحمد النباتي المعروف بابن الرومية) من أهل اشبيلية ومن أعيان علمائها واكابر فضلائها قد اتقن علم النبات ومعرفة خواص الادوية وقواها ومنافعها واختلاف اوصافها وحج الى مكة سنة ١٢١٥ م فطاف مصر والشام والعراق يدرس ويعاين نباتات تلك البلاد مما لم ينبت في الاندلس ولما وصل الى الاسكندرية سمع به السلطان الملك العادل الايوبي فاستدعاه من الاسكندرية الى القاهرة واكرمه وعرض عليه ان يبقى عنده فلم يقبل واقام عنده مدة ثم رجع الى اشبيلية وكتب مصنفه المسمى « الرحلة النباتية » يصف بها عدة نباتات المغرب ومصر وبلاد العرب والعراق وبعض نباتات بلاد الفرس وله تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب

---

(١) طبعه بانكري Banqueri في مدريد سنة ١٨٠٢ م مع ترجمة الى اللغة الاسبانيولية وعنوانه Libro di agricultura وطبعت ترجمته الفرنساوية في المجلة الاسيوية سنة ١٨٦٨ م

ديوسقوريديس (١)

ثانياً (ضياء الدين ابو محمد عبد الله المعروف بابن البيطار) المتوفى سنة ١٢٤٨ م اصله من بلاد الاندلس ونشأ ودرس العلم فيها ثم حج الى مكة وسافر منها الى بلاد اليونان وآسيا الصغرى ولقي علماءها ودرس عليهم وتعرف بنباتات تلك البلاد ثم رجع الى دمشق وخدم الملك الكامل الايوبي فجعله رئيساً على الصيادلة في مصر ولما توفي الملك الكامل خدم ابن بيطار ابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب وكان خطيباً عنده وفي ايامه توفي. ومن مصنفات ابن البيطار كتاب «الجامع في الادوية المفردة والاغذية» يصف فيه اكثر من الف وار بعمائة من النباتات وقواها ومنافعها أخذ وصفها عمن سبقه من العلماء وعما شاهده بذاته وفي هذا الكتاب معلومات مفيدة عن كثير من الاحجار والمعادن والحيوانات المستعملة في الطب وصنف بن البيطار هذا الكتاب للملك الصالح (٢)

ثالثاً (احمد التيفاشي) صاحب الرسالة المسماة «ازهار الافكار في خواص الاحجار» ذكرها العلامة كليمن موليه Clemen Mullet في مقال حرره في المجلة الآسيوية سنة ١٨٦٨ م سماه : Essai sar la mineralogiearabe واشتهر في القرن الرابع عشر

اولاً (جمال الدين يوسف بن اسماعيل الجويني المعروف بابن الكتبي) كان طبيباً في بغداد ألف سنة ١٣١١م مصنفاً سماه كتاب «ما لا يسع الطبيب جهله» اورد فيه كل ما يجب على الطبيب معرفته من مفردات الادوية مصححاً فيه كل ما وجد من الاغلاط والسهو والاختلافات في مؤلفات ابن البيطار ورتب فيه اسماء الادوية المفردة على حروف المعجم .

ثانياً (الشيخ كمال الدين ابو البقاء محمد الدميري) صاحب كتاب «حياة الحيوان الكبرى» اخذه من ٥٦٠ كتاب و ٥٩ ديوان ورتبه على حروف المعجم (٣) .

---

(١) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٨١

(٢) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحه ١٣٣ . وقد طبع جزءاً من كتاب الجامع العلامة ديتز Dietz على اصله العربى سنة ١٨٣٣ م وترجمه كله الى اللغة النمساوية العلامه سونتهيمر Sontheimer وطبع الترجمة سنة ١٨٤٠ م

(٣) وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة سنه ١٣١٣ هجرية

وللدميري كتاب «حياة الحيوان الصغرى» لم يطبع[1] . واما كتاب الحيوان لابي عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفي سنة ٨٦٦ م وقد سبق الكلام عنه فهو من كتب اللغة وليس من كتب علم الطبيعة .

الفلسفة

ان الفلسفة عند العرب لم تكن حسب رأي العلامة رينان الا مجرى من مجاري الافكار في الاسلام وحادثة من تاريخ نمو روح الحضارة العربية . ولذلك كان عدد الفلاسفة من العرب قليلاً جدًّا ولم يكن لهم تأثيراً عظيماً في تاريخ الشرق الا انهم كانوا واسطة عظيمة لنقل تمدن العالم القديم وحضارته وفلسفته الى الاوربين فبينما كانت اوربا في القرون الوسطى هائمة في ظلام الجهل كانت فلاسفة العرب حاملة نور العلم والفلسفة فنشرته وأضاءت فيها نوراً جديداً يستنير منه الى الآن كل العالم . ولم يكن للعرب في ابتداء ملكهم معرفة بالفلسفة وكان بدء ظهور فلسفة اليونان بينهم في قصبة الخلفاء العباسيين الاولين والاحرى ان يقال ان فلاسفة ذلك الزمان كانوا زعماء رأي مضاد لجنسية العرب ومع ذلك صارت بغداد بهمة واعتناء الخلفاء مركزاً جامعاً للفلسفة وانتشرت منه الى غيرها من مدن الخلافة العظيمة . وما الفلسفة العربية الا فرعاً من مدرسة البيريبائيين Peripatein وهم تبعة ارسطوطاليس[2] ثم ثاوفرسطيس وغيرهم من تلاميذها . وحقاً ان فلاسفة الاسكندرية الذين جمعوا تعليم ارسطوطاليس وابقراط كانوا ينبوعاً استقت منه اهل العلم في الشرق والغرب فان السريان تلامذة فلاسفة الاسكندرية كانوا اول من نقل الى العرب الفلسفة ولذلك نرى ان تعليم ارسطوطاليس ما وصل الى العرب على اصله ولكن كما فهمته وشرحته علماء المدرسة الاسكندرية ويمكن ان يقال ان فلاسفة العرب فضلوا آراء ارسطوطاليس على آراء افلاطون في الفلسفة واخذوا عن ارسطوطاليس وتركوا افلاطون ولكنهم اخذوا في

(١) انظر كتاب كشف الظنون لحاجي خلفا المجلد نمرة ٧٦٦٣

(٢) وبعضهم يكتب ارسطاطاليس واصطلحنا على كتابتها ارسطوطاليس لانها اقرب الى لفظها في الاصل اليوناني .

ذلك الزمان ما امكنهم اخذه وما سمحت لهم به ظروف الحال .

ومن احسن واضبط ترجمات ارسطوطاليس ترجمة (أبي يوسف يعقوب الكندي) المتوفي سنة ٨٦١ م فيلسوف العرب وأحد ابناء ملوكها من نسل الأشعث بن قيس كان ملكاً على بني كندة وكان جده الصباح ولي الولايات لبني هاشم نزل البصرة وانتقل بعد ذلك الى بغداد وفيها ولد ابو يوسف ونشأ وتأدب وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون [١] والهندسة وعلم النجوم وله تآليف كثيرة في فنون العلم وخدم الخليفتين المأمون والمتوكل وترجم شيئاً كثيراً من كتب الفلسفة منها كتاب ارسطوطاليس المسمى أورغانون Organon وقد شرحه ايضاً . ومن كلام الكندي «ان العالم يظن ان فوق علمه علماً فهو ابداً يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن انه قد تناهى فتمقته النفوس لذلك» . اما مصنفات الكندي فاكثر من مائتين [٢] .

ومن فلاسفة القرن العاشر اشتهر (ابو نصر محمد الفارابي) اصله من مدينة الفاراب وتسمى اليوم اطرار من اعمال خراسان توفي سنة ٩٥٠ م ٣٣٩ هـ وكان ابوه قائد جيش فارسي الاصل كان ببغداد ثم انتقل الى الشام ومات فيها اما ابو نصر فكان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وكان يسهر الليل للمطالعة والتصنيف ويستضي بقنديل الحارس وبقي كذلك مدة ثم عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار اوحد زمانه . وقيل ان ابا نصر درس الفلسفة على ابي بشر متّى بن يونس (أو يونان) من علماء النصارى فلما اشتهر امره انتقل الى بغداد ومنها الى حلب واتصل بصاحبها سيف الدولة ابي الحسن التغلبي فاكرمه اكراماً كثيراً ولكن ابا نصر لم يتناول منه ما كان ينعم به عليه سوى اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروريات عيشه وقيل انه كان يتغذى بمرق قلوب الحملان مع الخمر الريحاني ومن شعر في ذلك :

لما رأيت الزمان نكساً وليس في الصحبة انتفاع

(١) اي تأليف الالحان نظماً وكتابة . (٢) انظر كتاب الفهرست صفحة ٢٥٥ — ٢٦١ وكتاب عيون الابناء الجزء الاول صفحة ٢٠٦ — ٢١٤ .

كل رئيس به ملالٌ وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضي به من العزة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحاً لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامي ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم قد اقفرت منهم البقاع

ثم سافر ابو نصر الى مصر ورجع الى دمشق وتوفى فيها في ايام الخليفة الراضي وكان ابو نصر قد درس فن الموسقى وعملها ووصل الى غايتها واتقنها اتقاناً لا مزيد عليه وقيل انه صنع آلة غريبة تسمع منها الحان بديعة يحرك بها الانفعالات النفسانية وتقول بالاجمال ان الفارابي كان بحراً في كل علوم زمانه وخصوصاً في الفلسفة ويعد من احسن مفسري ارسطوطاليس ولذلك يسمى «المعلم الثاني» وله عدة مصنفات في علوم مختلفة منها كتاب «احصاء العلوم» شرح فيه مبادىء فلسفة ارسطوطاليس وافلاطون وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الاسكوريال وكتاب « مبادىء المخلوقات » يفسر فيه آراء ارسطوطاليس في المعقولات [(١)] وكان ابو نصر ينكر خلود النفس وحدها ويقول ان النفس خالدة اذ تتحد بعد الموت بالعزة الالهية وينكر الوحي ويقول ان الانسان اذا بلغ درجة الكمال يتوصل من ذاته الى معرفة كل ما هو ضروري للخلاص والاتحاد بالعزة الالهية . فاولد تعليم الفارابي بين علماء الكلام فرقتين الواحدة اعترفت بصحة آرائه وفسرت كل ما في القرآن عن النفس وخلودها وعن الوحي في المعنى المذكور والاخرى دحضت تعليمه كتعليم غريب لا يطابق روح العرب وذوقهم وتمسكوا بظاهر الكتاب واصحاب الفرقة الاولى هم المعتزلة وقالوا ان الوحي هو علامة الكمال وقالوا ان بالعقل ايضاً يصل الانسان الى معرفة ما هو ضروري وانشأوا بالبصرة في منتصف القرن العاشر مقاماً يجتمعون به ويتبادلون الآراء ويبحثون فيها وسمي مقامهم هذا بالمدرسة البصرية وصاروا ينشرون تعليمهم بواسطة مجموعات علمية تسمى «رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء» وزعماء هذه الفرقة (زيد بن رفاعة) و (ابو سليمان محمد البستي) و (ابو الحسن الزنجاني) و (ابو احمد النهجوري) وغيرهم فانتشر تعليمهم في اكثر

---

(١) طبعه سمولدر Smolders سنة ١٨٣٦

مدن الخلافة وتبعهم خلقاً عديداً فانشأوا في كل مدينة مقاماً . وتشمل مجموعاتهم المذكورة احدى وخمسون رسالة تقسم الى اربعة اقسام القسم الاول : ثلاث عشرة رسالة في العلوم الرياضية كآلة يتوصل بها الانسان الى ترويض عقله وتهذيبه وجعله قابلاً لاخذ مبادى الفلسفة والقسم الثاني : سبع عشرة رسالة في الطبيعيات والقسم الثالث : عشر رسالات في عوامل النفس والقسم الرابع : احدعشرة رسالة في علم الكلام [1]

وظهر في بدء القرن الحادي عشر الفيلسوف الطبيب (ابو علي حسين بن سينا) ويسمى عند علماء اوربا Avicina وقام بهمة ونشاط وبمعرفة تامة ينشر تعاليم تلاميذ ارسطوطاليس في بلاد الخلافة فان كتابه المسمى «الشفا في الحكمة» الذي انتشر جداً هودائرة في علوم الفلسفة وكذلك كتاب « النجاة » وكتاب «الانصاف» في عشرين مجلدشرح فيه كتب ارسطوطاليس وانصف فيه بين المشرقيين والمغربيين وكتاب«الهداية في الحكمة» ومما ساعد ايضاً على انتشار الفلسفة بين العامة رسالتان لابن سينا وهمارسالة حيّ بن يقظان الذي سبق الكلام عنه في باب الاطباء[2] و«رسالة الطير»[3] . وابن سينا لم ينكر في تعاليمه وجود الباري تعالى بل كان يأتي بالادلة الواضحة على وجوده .

---

(١) وقد طبع منها احدى وعشرون رسالة في كلكته سنة ١٨١٢ و ١٨٤٦ م وبحث فيها العلامة دياتريسي Dieterici وكانت نتائج بحثه اربع مصنفات :

١ Der streit zwischen Mensch und Thier برلين سنة ١٨٥٨

٢ Die Nutuwissen schaft der araber برلين سنة ١٨٦١ م

٣ Die Propēdeutik der araber in 10 Jahrh برلين سنة ١٨٦٥

٤ Die Logyx und Psycher logigie der araber in 10 Jahrh ليبسك سنة ١٨٦٨ م

وعن الفارابي انظر كتاب الفهرست صفحة ٢٦٣ وكتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ١٣٤ ــ ١٤٠

(٢) طبعها في ليدن العلامة مهران Mehren سنة ١٨٨٩م

(٣) طبعها مهران ايضاً سنة ١٨٩٠ . انظر مجلة المشرق ايضاً السنة الرابعة صفحة ٨٨٢

من ذلك وصية مشهورة كتبها الى احد اصدقائه وهو ابي سعيد بن ابي سعيد بن ابي الخير الصوفي اولها « ليكن الله تعالى اول فكرك وآخره وباطن كل امر وظاهره ولتكن عين نفسك مكحولة بالنظر اليه » الخ وفيها يقول :

ففي كل شيء له آيةٌ تدل على انه واحد

ولكنه مع ذلك كان يحقق ان المادة غير متناهية ويفسر كل التعاليم المتولدة من هذا المبدأ حسب رأي تلاميذ ارسطوطاليس فلذلك نظر علماء الكلام في تعليمه جحداً لتعليم الدين فانكروه واتوا بالحجج الدالة على تناهي العالم وانه مخلوق وعلى وجود الله تعالى قبله و بعده ووضعوا اساساً لتعليم الجوهر والعرض كما هو معلوم وحسب تعليمهم كل جوهر مخلوق من الله وهو يخلقه دائماً ويقدر ان يبيده وان الله يعمل في كل المواد وكل موجود عمله وهو يرسل الموت والراحة كما انه منبع الحياة ومسبب الحركة فان شاء يغير كل ما في العالم . ومن اشهر المحامين عن العقائد الاسلامية المضادة لتعاليم الفلاسفة اليونان (زين الدين محمد ابو حامد الطوسي الغزالي) المتوفي سنة ١١١١م ٥٠٥ ه السابق ذكره في علم الكلام (صفحة ١١٣) . لما ترك الغزالي التدريس رجع الى وطنه طوس وانشأ مقاماً للتصوف وضحى نفسه لاخماد نيران البدع التي ظهرت في الاسلام ولذلك لقب « بحجة الاسلام » وكانت اكثر سهام حججه موجهة نحو تعاليم فلسفة ارسطوطاليس ومفسريها واتباع الفارابي وابن سينا في كتابه المسمى «مقاصد الفلاسفة » يبين اصول تعاليم الفلاسفة في المنطق وعلم الطبيعة وعلم المعقولات (او ما وراء الطبيعة) وضعه كمقدمة لمصنف آخر له ايضاً يسمى «تهافت الفلاسفة» ردَّ به على آراء الفلاسفة وجحدها بمقابلة تعاليمهم المتناقضة بعضها ببعض فارتاب وشك في حقائق الفلسفة ولذلك عمد الى التصوف ليتخلص مما لحقه من الشك والريب . ولذا يرى الغزالي في كتابه «احياء علوم الدين» (الذي سبق ذكره صفحة ١١٤) و«المنقذ من الضلال»[1] ان الاقبال على اتمام فروض الدين والزهد والانقطاع الى الله تعالى يروض روح الانسان ويكفيه . ويقول الغزالي في كتابيه«ميزان الاعمال» و «يا ايها الولد» ان التقوى وعمل الخير هما الطريقان اللذان يوديان الانسان الى الخلاص . فنرى ان الغزالي قد سدَّ طرق البحث التي

(١) المطبوع في باريز مع ترجمة فرنسية

طرقتها الفلاسفة قبله الا انه لم يجد طريقة اخرى جديدة للبحث فيها (١)

وفي القرن الثاني عشر قام (أبو بكر محمد بن باجة) المتوفى سنة ١١٣٨م ٥٣٣ المعروف بابن الصائغ وعند الاوربيين Avenpace يضاد الغزالي ويحامي عن آراء الفلاسفة ولد في سراقوسة من الاندلس واشتهر بمعارفه في الطب والفلسفة وعلوم الفلك وانتقل سنة ١١١٨ الى اشبيلية ومنهـا الى فاس واتصل بالامير يحيى بن توشفين وله اقاويل كثيرة في حسن فهم ارسطوطاليس وابن سينا والفارابي ولذلك اتهم في جحد الدين وقيل انه مات مسموماً . وفي مقالة له تسمى «رسالة في تدبير المتوحد» يبرهن ان الانسان بواسطة العلم ونمو قواه العقلية بالتدريج يصل الى الاتحاد مع العقل الازلي العالم المدبر وهذا الاتحاد هو المقصد الاسمى لحياة الانسان . وفي مقالة اخرى تسمى «رسالة الوداع» يعظم تلك الفلسفة التي تؤدي بالانسان حسب رأيه الى معرفة ذاته ومعرفة الطبيعة التي حوله (٢) .

ومن المضادين لآراء الغزالي (ابو بكر محمد بن طفيل) المتوفي سنة ١١٨٥ م ٥٨١ ﻫ اصله من وادي عاش من اعمـال غرناطة واشتهر كطبيب فيلسوف وخدم الامير ابا يعقوب يوسف الموحدي وكان استاذاً لابن رشد السابق ذكره ومات في مراكش . وفي رسالة «حيّ بن يقظان» التي اخذ معانيها عن ابن سينا يوضح ابن طفيل للقارىء كيف يقدر الانسان بواسطة تأمله ودرسه ما حوله من الطبيعة وبدرسه ذاته ايضاً ينمو عقله بالتدريج فيصل الى فهم المعقولات اي عالم الهيولي والنفس والذات الالهية وهذه الرسالة مكتوبة بصورة حكاية ظريفة فصيحة العبارة (٣) .

ولكن اكبر محام عن رأي الفلاسفة المتقدمين (ابو الوليد محمد بن رشد)

---

(١) كتابه «يا ايها الولد» طبعه مع ترجمة نمساوية في فينا العلامة همير Haumer سنة ١٨٣٩ م . (٢) انظر كتاب عيون الانباء الجزء الثاني صفحة ٦٢

(٣) طبعت اول مرة في اكسفورد سنة ١٦٧١ م ثم ترجمت الى اللغة الانكليزية وطبعت في لندن سنة ١٧١١ م والى النمساوية وطبعت في برلين سنة ١٧٨٢ م وطبعت ايضاً في القاهرة سنة ١٢٩٩ هجرية .

(انظر صفحة ١٦٥) وكان من احسن المفسرين لارسطوطاليس وكتب ملخصات لتصانيف هذا الفيلسوف وشروحاً لها . ولابن رشد كتاب «تهافت التهافت» ردَّ به على كتاب الغزالي المسمى تهافت الفلاسفة السابق ذكره وله ايضاً كتاب « مناهج الادلة في عقائد الملة» يبرهن فيه ان العقائد الاسلامية لا تغاير ولا تضاد الفلسفة ويعد درس الفلسفة من اسنى ماوهبه الله للانسان ويعتقد بضرورة الوحي الذي ينشر حقائق الفلسفة بين الناس في صورة اقرب الى فهمهم فلذلك يقول انه وان كانت الفلسفة توضح معنى الاعتقادات الدينية الحقيقي لكن اتمام الفروض الدينية واجب على كل انسان حتى على الراشدين ايضاً . وعلى ما يظهر ان ابن رشد لم يقصد في مؤلفاته تأسيس طريقة جديدة للفلسفة بل اكتفى بترتيب وتنظيم طريقة ارسطوطاليس وزاد عليها بعض نتائج فقط وصل اليها من نفسه واغلب مؤلفات ابن رشد في الفلسفة لم يصل الينا منها الا لمكتوب بالحرف العبراني (١)

واشتهر من تلاميذ ابن رشد الشيخ ابو عمران ابو المنى (موسى بن ميمون) المعروف عند الاوربيين Maïmonide ولد بقرطبة في اواخر القرن الثاني عشر ودرس التلمود وعلوم الدين والطب والفلسفة فيها ولما هجم الامير عبد المؤمن بن علي الموحدي على قرطبة هاجر من الاندلس الى مصر هو وعائلته ونزل الفسطاط وكان يعلم هناك الفلسفة ويتاجر بالاحجار الثمينة ثم عينه السلطان صلاح الدين طبيباً خاصاً له . ولابن ميمون مؤلفات عديدة في علم الدين والفلسفة والطب

وفي ابتداء القرن الثالث عشر حدث اضطهاد عظيم للفلاسفة ومصنفاتهم في الشرق والغرب وحينئذ انتقلت الفلسفة اليونانية العربية الى اوربا وصارت مؤلفات ابن رشد وغيره من فلاسفة العرب احدى الحلقات المهمة التي تربط ابتداء درس الفلسفة في اوربا مع فلسفة العالم القديم وحينئذ انقطع في الشرق البحث في هذا العلم المفيد

(١) وطبع منها العلامة مولر M. J. Müller كتابه في الفلسفة وعلم الكلام في المذكرات الاكاديمية المونخنية سنة ١٨٥٩ م الجزء الاول نمرة ٣ . وابتدىء بترجمة مصنفات ابن رشد في اوربا من سنة ١٤٨٠ م .

الخاتمة

فيظهر من بحثنا في تاريخ آداب العرب مدة عشرة قرون ان ما فعلته العرب في خدمة الحضارة والتمدن العام كان هاماً جداً . فمن حين ظهورهم في عالم السياسة واشتغالهم بالعلم جمعوا كنوزاً ثمينة جداً لدرس اللغة العربية وصنفوا مؤلفات لا تحصى في علم الكلام والفقه وزادوا على مؤلفات القدماء معلومات جديدة في الجغرافيا وأصلحوا أغلاطهم وجمعوا فوائد عديدة تتعلق بالدين وتاريخ الشرق وآدابه يلزم لعلماء اوربا سنين عديدة لتنظيمها وترتيبها . اماعلوم الرياضية كالجبر والهندسة وعلم الفلك فقد تقدمت تقدماً عظيماً بسبب درسهم وبحثهم وهم يعدون واضعي علمي الطبيعة والكيميا على المبادئ الحديثة التي هي عليها الآن في اوربا لان مطالعتهم العلوم الطبية أدت بهم الى البحث في قوى الطبيعة فزادت معارفهم في النبات والحيوان والجماد على معارف اليونان وغيرهم من امم العالم القديم ومصنفاتهم في الطب التي ترجمت الى اللغة اللاتينية كانت هي الكتب الوحيدة المعول عليها في اوروبا الى اوائل القرن الماضي . وبواسطة مؤلفاتهم في الفلسفة توصلت اوربا الى معارف اليونان الذي خطت العرب فيه خطوات واسعة اكثر من اساتذتهم اليونان الذين اخذوه عنهم فضلاً عن انهم حفظوا بكل حرص النتائج التي وصلت اليها فلاسفة اليونان . ونقول بالاختصار ان العرب كانوا اكثر الامم حضارة ومدنية في القرون الوسطى وهم حلقة متينة ربطت حضارة العالم القديم بحضارة العالم الجديد .

تم الكتاب

والحمد لله

فهرست

المنتخب في تاريخ آداب العرب

العلوم العربية

الخطا والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	٩	المعيقات	المعلقات
١٩	٤	وتجمل	وتجلد
١٩	٩	ولايأتيك	ويأتيك
١٩	١١	عداد	اعداد
٢١	١	الفضار	ولا الغضار
٢١	٢	الخذار	الجذار
٢٢	٢	دفينا	وفينا
٢٢	٣	مسوتهم	مسرتهم
٢٢	٢٠	تلادكم	بلادكم
٢٧	٨	اصلاً لا	طويلا كي
٢٧	٢٤	صود	صرد
٢٩	١٩	يكلفني ليلى	تكلفني ليلى
٢٩	١٩	ولبها	اهلها
٣٠	١٢	والري	والروي
٣٢	١٧	عوث	غوث
٣٣	٧	بمغدورق	بمغرورق
٣٣	٨	ساكبة	سالبه
٣٩	٧	بني اشرف	ابن الاشرف
٣٩	١٦	وقلبي	فقلبي
٤١	١٩	وسيبه	وسعيه
٤١	٢٠	لوري	لويرمي
٤١	٢١	المهوّدا	المبردا
٤١	٢١	عمرة	غمرة
٤٣	٢١	الفرزوق	الفرزدق

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٣	٢٢	اعدُ	اعدوا
٤٤	٢	يا خزر	يا آل
٤٥	١٠	تباج	بتاج
٤٥	١٢	يميز	يجز
٤٧	٤	عدت	غدت
٤٨	٤	منيعها	منها
٤٨	٥	دعينا له هؤلاء	وعينا له خولاء
٤٨	١٨	بابن ظالم	وابن ظالم
٥٥	١٨	للنار	للناس
٥٥	٢٢	يردعني	يروّعني
٥٦	١٦	دعى	وعى
٥٧	٢١	النوى والياس	الندى والباس
٦٤	١٣	يحظين	يحظى
٦٤	١٨	نفدت	فغدت
٦٥	١٧	انه	انك
٦٥	٢١	الرأي	الرأس
٧٠	٨	يزء	يرؤ
٧٠	١٤	لجانها	لحانها
٧٢	٣	الآثام	الأنام
٨٠	١١	سخطين	سمطين
٨٠	١٢	ازني	اذني
٩٨	٤	الزبيري	الزبيدي
١٣٤	١٩	بابن العديم	بابن النديم
١٥٠	١١	قطلوبعا	قطلوبغا


Bibliotheca Alexandrina
0428242